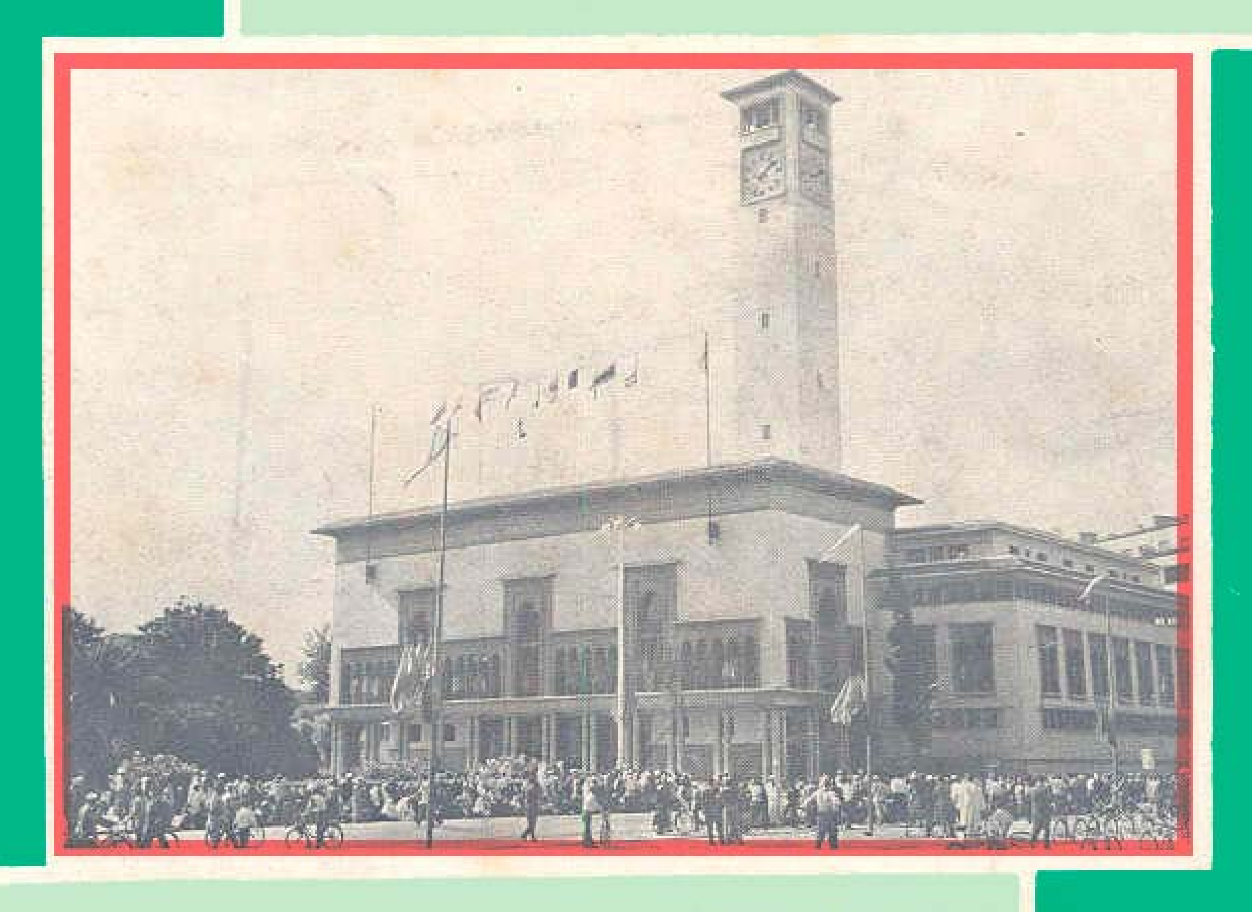


مجلة شهرية تعنى بالدراسات
الاسلامية وبشؤون الثقافة
والفكـــــــر

تصدرها وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب



الثمـن 100 فرنـك



العدد الأول السنة الثالثة
فاتح أكتوبر 1959 - 28 ربيع الأول 1379

المدير
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

دعوة الحق

العدد الأول
السنة الثالثة
فاتح اكتوبر 1959
28 ربيع الاول 1379

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط . المغرب

صورة الغلاف



تمثل الصورة واجهة عمالة الدار البيضاء ، حيث عقدت الدورة الثانية والثلاثون لجامعة الدول العربية ، ابتداء من فاتح سبتمبر المنصرم

تبدو في الصورة اعلام الدول العربية الاعضاء في الجامعة العربية

اقرأ في اول هذا العدد خطاب جلالة الملك في حفلة الافتتاح

واقرأ في داخله مقالا عن اهمية الدورة ونتائجها

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك العادي عن سنة 1.000 فرنك ، والشرفي 2.000 فرنك فأكثر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ

DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT

او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفون 308.10 ـ الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم

تهنئة... وشكر

تغتنم إدارة مجلة .. دعوة الحق .. وأسرة تحريرها فرصة صدور العدد الأول من سنتها الثالثة لتتقدم إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم سيدي محمد الخامس نصره الله بتهانيها القلبية الصادقة على ما أنعم الله به على جلالته من نعمة الشفاء، راجية من الله العلي القدير، أن يكلأ جلالته بعين رعايته التي لا تنام وأن يحفظه لشعبه المخلص المتفاني في محبته، والذي يعلق على جلالته أكبر الآمال في هذه الفترة الدقيقة من تاريخه، ليبلغ به شاطئ السلامة، بما عهد في جلالته من الحكمة والتبصر وبعد النظر.

وإن هيئة هذه المجلة لتجد نفسها مدينة لجلالته بالشكر الجزيل، إذ ما فتئ جلالته منذ أن أمر بإصدار هذه المجلة يغمرها بالعطف والتوجيه والتشجيع على المثابرة والاستمرار.

حفظ الله جلالة الملك، وسدد خطاه، وأبقاه ذخرا للمغرب والعروبة، والقيم الإنسانية النبيلة السامية.

خطاب جلالة الملك في حفلة افتتاح الدورة الثانية والثلاثين لجامعة الدول العربية

في فاتح شتنبر 1959 بالدار البيضاء

ألقاه بالنيابة عن جلالته صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن ولي عهد المملكة المغربية ورئيس أركان القوات الملكية المسلحة

وقد ارتجل صاحب السمو الملكي الامير مولاي الحسن ، بين يدي الخطاب الملكي الكريم ، هذه الكلمات :

كلفني صاحب الجلالة الملك نصره الله ان القي بالنيابة عنه الكلمات التالية ، واني ـ حين اقوم بهذه المهمة المشرفة ـ يسرني أن ابلغكم العواطف النبيلة التي تخامر جلالته ، واسفه العميق لعدم حضوره في هذه الحفلة .

وقد سهر جلالة الملك ـ حرسه الله وشفاه ـ بنفسه على وضع جميع فقرات هذا الخطاب ، بل يمكنني ان اقول ان جميع سطوره مكتوبة بعواطفه وشعوره واحساساته نحوكم ، ونحو الشعوب الشقيقة التي تمثلونها ، وكلفني جلالته ان اطلب منكم اعتبار هذا الوطن وطنكم .

وهاكم سادتي خطاب جلالة الملك :

الحمـد للـــــــه

حضرات الاخوان :

كان من الاماني العزيزة على جلالتنا أن نحضر شخصيا في حفلة افتتاح الدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة العربية ، ولكن حالتنا الصحية لم تبح لنا ذلك ـ مع الاسف الشديد ـ ورغم ذلك ، فاننا نشاركم مشاركة معنوية ، وقد ابينا الا ان نوفد ولي عهدنا للاعراب عن ترحيب المغرب ملكا وحكومة وشعبا بكم وان كنتم في غنى عن الترحيب ، لانكم انما وفدتم على جزء من وطنكم الكبير الذي يعتبر العربي مواطنه حيثما حل من ربوعه ، او ارتحل في اطرافه ، وكم كان سرورنا يكمل لو انتظم عقد هذا الجمع بحضور جميع الدول المنخرطة في الجامعة ، ولكننا متيقنون أن الدول المتغيبة متجاوبة المشاعر مع الدول الحاضرة ، وانها لن تلبث ان تعود الى احتلال مكانها في حضن الجامعة كسالف عهدها .

وانه لسرور عام يغمر قلوب جميع المغاربة الذين طالما تطلعوا بشوق الى سنوح فرصة كهذه يرون فيها المسؤولين عن السياسة العربية يجتمعون بين ظهرانيهم للنظر في القضايا المشتركة بين العرب والدفاع عن المصالح التي تهمهم حاضرا ومستقبلا ، ولا عجب فالشعب المغربي شعب مسلم عربي : بعقيدته ولسانه ، وماضيه وثقافته ، وآماله ومطامحه ، يعنيه ما يعني اخوانه في الدين واللغة وان شطت الدار ونأى المزار

ومن الدار البيضاء كبرى حواضر مغرب عربي يسعده أن يرى الاقطار والشعوب العربية متآخية متآزرة ، قوية عزيزة ، نبعث الى اخواننا ملوك العرب



صاحب السمو الملكي الامير مولاي الحسن يلقي خطاب جلالة الملك فى حفلة افتتاح الدورة الثانية والثلاثين لجامعة الدول العربية بالدار البيضاء

ورؤسائهم وقادتهم تحياتنا الودية الخالصة ، متمنين لهم كل توفيق فى خدمة شعوبهم وتحقيق مطامحها ، كما نحيي اخواننا ابناء العروبة فى كل مكان ، راجين لهم المجد والعلا ورغد العيش فى اوطان محررة تخفق عليها الوية العز والكرامة والرخاء .

حضرات الاخوان

لقد كان انشاء منظمة تلم شعث العرب وتوجههم توجيها سديدا نحو مستقبل اسعد وافضل الامنية الحبيبة التي اختلجت بها اذهان المفكرين المخلصين والرواد الاولين للقومية العربية فى مطلع هذا القرن ، وبقدر ما كانت تزداد المطامع الاجنبية فى استعباد الامة العربية وتمزيقها وسلب خيراتها كانت الفكرة تعظم وتنمو ، حتى خرجت من الحيز الضيق الى الافق الفسيح ، واصبحت فكرة شعبية يتبناها ابناء الامة العربية فى كل مكان ، اذ ادركوا عن حق ان لا خلاص لهم مما يعانون ويكابدون الا بائتلافهم واتحادهم وانطلاقهم فى صفوف متراصة لكسر القيود التي تعوقهم عن التحرر والنهوض ، وقد كان هذا الشعور المشترك بادرة خير لهم ، اذ جعلهم ـ وهم لا يزالون يناضلون فى سبيل الحرية ـ متضامنين متآزرين ، يشعر المغربي ان حرية مصر والعراق حريته ويحس التونسي ان معركة فلسطين والسودان معركته ، فلما تكلل كفاح العروبة فى بعض اقطارها بالنجاح ، تبلورت فكرة الوحدة العربية أكثر من ذي قبل ، واصبحت فى طليعة ما يشغل الراي العام العربي ، ثم كان انشاء الجامعة العربية اول لبنة فى صرح هذه الوحدة التي ينشدها العرب مؤملين ان يستعيدوا فى ظلالها مجدهم وعظمتهم، ويستانفوا نشر رسالة الامةالعربية كمافعل اجدادهم فى الماضي ، ولقد عبرنا فى مناسبات عديدة عن استبشار المغرب بمولد الجامعة العربية وتاييده لها ، لا سيما فى خطابنا بطنجة سنة 1947 والمغرب يخوض غمار معركة الحرية ، وتصريحنا الصادر فى نهاية زيارتنا لذلك الثغر ، والذي قلنا فيه يومئذ بالحرف : « وغني عن البيان ان المغرب دولة عربية ، صلتها وثيقة بالشرق العربي ، فمن الطبيعي ان يزداد هذا الاتصال متانة وقوة ، سيما وقد اصبحت الجامعة العربية تقوم بدور مهم فى السياسة العالمية »

ويطيب لنا ان ننوه في هذه المناسبة بالعطف والتشجيع الذين كان ممثلونا يلقونهما في حظيرة الجامعة ، والمساعدات المادية والمعنوية التي بذلتها الدول الشقيقة لصالح المغرب أثناء كفاحه التحريري ، وخاصة عند ما تعرض عرشه وشعبه لاكبر امتحان .

ان العالم تقاربت ابعاده ، وتشابكت مصالحه ومشاكله ، وتشابهت مفاهيمه ومقاييسه ، بفعل التطور المادي والعلمي العظيم ، ومختلف وسائل الاتصال السريع ، حتى صارت دول لا تجمعها لغة ولا دين تتدانى من بعضها تحت تأثير المنافع المشتركة ، مكونة فيما بينها اتحادات سياسية أو عسكرية او اقتصادية او ثقافية وان كلفها ذلك تضحيات شخصية، والاقطار العربية التي تجمع بينها روابط الدين واللغة والتاريخ والجوار واشتراك المصالح ووحدة الشعور والمصير ، هي اولى الاقطار بالتقارب ، وأجدرها بالاتحاد ، واحراها بجمع القوى وتوحيد الجهود ؛ اذ ليس لها غير ذلك سبيل لحفظ كيانها ، واسماع كلمتها، وصيانة حريتها ، واقامة اقتصادها على اسس متينة ؛ فلا حياة – في عالم اليوم – لاقطار تعيش في عزلة ، ولا خير فيه لشعوب تحيا منطوية على نفسها ، قابعة داخل حدودها الاقليمية ، ان حياة اليوم مد وجزر ، واخذ وعطاء ، وجدال وحجاج ، والركب الصاعد لا يقف لانتظار المتشككين والمتمردين والمعتزلين ، بل يتركهم حيث انتهى بهم المطاف ، ويواصل سيره قدما الى الامام .

والجامعة العربية حقل طبيعي يجدر أن يعمل داخله قادة الامة العربية ، وكنف ينبغي أن تتصافح فيه ايديهم ، وتتصافى قلوبهم ، وشاطىء يتعين ان تتحطم على صخوره الخلافات التي لا يستفيد منها الا خصومهم ، بل هي البيت الذي يجب ان يجتمعوا فيه في جو عائلي لوضع الخطط الكفيلة بحفظ كيانهم ، وصيانة تراثهم ، ورعاية نهضتهم ، واستغلال ثرواتهم لصالحهم ونشر العدالة الاجتماعية بين أوساطهم ، وانتهاج سياسة خارجية تهدف الى التعاون مع جميع الدول على اساس المساواة والاحترام المتبادل .

والمغرب الذي لم يتردد في الانتظام في سلك الجامعة العربية بعد استقلاله ، عازم على القيام بدوره الكامل في حضنها بجانب اشقائه ، اداء لواجب يفرضه عليه انتماؤه للعروبة ، وشعورا بمسؤولية العمل لحفظ السلم العالمي داخل منطقة اقليمية نص على مثلها ميثاق الامم المتحدة ، وسعيا في نصرة المبادىء التي قامت عليها الجامعة ، وتحقيق اهدافها ، وتبليغ رسالتها ، تلك الرسالة المستوحاة من تقاليد الامة العربية ومثل الاسلام العليا ، **وهو يرى ان الوقت قد حان للسعي في جعل الجامعة العربية متلائمة مع مقتضيات الوقت ومشاكل الساعة الراهنة ، فقد انشئت منذ خمسة عشر عاما في ظروف دولية خاصة، وآفاق عربية محدودة ، ولاغراض معينة ، ومنذ ذلك الحين قطع العالم العربي اشواطا كثيرة في طريق التحرر والنهوض ، واستقلت بعض اقطار جناحه الغربي ، وحصل في العالم تطورات جوهرية في السياسة والاقتصاد والعلم ، فلم يبق هناك مفر من التفكير من جديد في دور الجامعة على ضوء تلك الاحداث والتقلبات ، لذلك يقترح المغرب ان يجتمع اقطاب الامة العربية للنظر في المهمات الجديدة للجامعة العربية ، ودراسة الوسائل التي تستطيع بها حل المشاكل الداخلية والخارجية التي تواجه البلدان العربية .**

حضرات السادة :

ان من اعظم مشاكل الامة العربية والقضايا المهمة في جناحها الغربي قضية الجزائر الشقيقة التي تخوض منذ خمس سنوات غمار حرب قاسية دفاعا عن حقها المشروع في الحرية والاستقلال ، واننا من فوق هذا المنبر نترحم على شهدائها الابرار ، ونحيي ابطالها الميامين الذين نالوا اعجاب الاحرار في جميع بقاع العالم وتقديرهم ، ونحن متيقنون ان الدماء المراقة لن تذهب سدى ، وان كفاحهم سيعقبه فوز تكمل به حرية المغرب العربي ، وتنعم الجزائر بعده بعيشة حرة رضية .

حضرات الاخوان :

اننا نعلن افتتاح الدورة الثانية والثلاثين لمجلس الجامعة ، ولنا اليقين في انكم ستخرجون منها بنتائج ايجابية تعود عائدتها بالخير على الامة العربية ، وتفسح امامها المجال لقيامها في العصر الحاضر بدور الوصل بين الشرق والغرب ، وصهر الثقافات والمدنيات كما كانت تفعل في القديم .

واملنا ان يتسع النطاق بتحرر اقطار عربية جديدة وانضمامها الى الجامعة ، ورجاؤنا ان تقضوا في المغرب الاقصى العربي اياما سعيدة ، وتحملوا عنه ذكريات طيبة ، والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة العدد



بصدور هذا العدد تدخل مجلة « دعوة الحق » في سنتها الثالثة ، يشد من ازرها ويساعدها على المضي في سبيلها ، ما كتب لها في سنتيها المنصرمتين من التوفيق والنجاح ، وهو نجاح مهما تحدثت عنه الصحف ، ومهما اشاد به القراء والنقاد ، ومهما وصلتنا في شانه من داخل المغرب وخارجه من رسائل ومكاتبات وقصاصات من الصحف ، فاننا لا نراه الا نجاحا نسبيا ، نعتز به ، ولكنه لا يحملنا على الغرور .

انه نجاح نسبي ، ما كنا في الحقيقة نحلم بمثله في هذا الظرف الوجيز ، ولكنا مع ذلك لا نزال نراه دون الغاية التي رسمناها منذ البداية ، وصممنا على بلوغها مهما تكن المعوقات ، ومهما يعترض طريقنا من الصعوبات والعراقل والاشواك .

واهم هذه الصعوبات اننا نحيا في المغرب منذ ثلاث سنوات حالة انتقال صعبة وخطيرة ومعقدة ، حالة انتقال بكل ما يصحب هذه الحالة عادة من البلبلة والاضطراب والتوتر ، وهي حالة يعاني منها الجميع من غير شك ، ولكن المثقفين يعانون منها على الخصوص اكثر من غيرهم ، ولا غرابة في ذلك ، فهم المسؤولون عن قيادة مجتمعاتهم ، وهم الذين تناط بهم ـ بحكم ثقافتهم ـ مهمة التفكير والبحث ووضع التصميمات اللازمة لمستقبل احسن .

نحن لا ننكر دور الجماهير في خط الطريق الى المستقبل ، ولا نقلل من قيمة الوعي الجماعي والاحساس الفطري للشعب ، بل ان هذا الاحساس بما يكون عليه في الغالب من الصفاء والبساطة والبعد عن التعقيد قد يكون اقدر من تفكير المثقفين على تحديد الغايات والاهداف ، والتحمس لها ، وحمل صاحبه على بذل كل التضحيات اللازمة من اجل الوصول اليها ؛ ولكن الاحساس مع ذلك شيء والتفكير شيء آخر .

الاحساس عامل فطري ذو اهمية كبيرة ، وذو تأثير فعال ، وهو العامل الاساسي في تحديد الغايات والاهداف ، ولكن الصعوبة ليست في تحديد الغايات والاهداف ، وانما في وضع التصميمات اللازمة للوصول اليها ، وتلك هي مهمة التفكير ، تلك هي المسؤولية الكبرى للمثقفين في المجتمع ، فاما ان ينهضوا بها ، واما ان يعلنوا عن افلاسهم وسلبيتهم .

والمثقفون في بلادنا ليسوا سلبيين الى الحد الذي يشاع عنهم ، وهم يحاولون باستمرار ان ينهضوا بمسؤولياتهم ، كل في ميدانه ، واذا كان يبدو عليهم انهم يعانون اكثر من غيرهم من حالة البلبلة والاضطراب والتوتر التي تحدثنا عنها ، فلعل ذلك لا يعدو ان يكون ظاهرة طبيعية ، ما داموا يعانون عملية التفكير ، وما داموا لم يقطعوا فيها شوطا بعيدا ، وما دامت النتائج لم تتراء بعد لاعينهم ، فتطمئنهم الى انهم وفقوا في اختيار الطريق .

وما بالك بفئة محدودة العدد ، عليها ان تنقل امة بكاملها من التبعية الى الاستقلال ، ومن الجهل الى المعرفة ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن الاقطاعية الى نظام اجتماعي عادل .

عليها ان تمحو ، باسرع ما يمكن لها ان تفعل ذلك ، ما خلفته اربعون سنة من الاستعمار في ابشع صوره من التعفن والانحطاط والتخلف عن ركب الانسانية .

وعليها في الدرجة الاولى ان تنزع في حزم وفي غير هوادة او تردد ، آثار اربعين سنة من الاستعمار، من نفسها هي ، من لسانها وعقلها وشعورها ، حتى يمكن لها ان تفكر في حرية ، وحتى تتم لها الصلاحية للقيادة والتوجيه ، وحتى تستطيع ان تختار للمستقبل التصميم الذي يمليه ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا ، التصميم الذي يمليه كوننا مغاربة لا

فرنسيين او اسبانين ، التصميم الذي يمليه كوننا عربا وكوننا مسلمين ، وكوننا الى جانب كل ذلك نتحرق شوقا الى التحرر الكامل في جميع مظاهره السياسي والاقتصادي واللغوي والفكري ، ونتحرق شوقا الى ان محترمين موفوري الكرامة ، والى ان نحتل مكانتنا الدولية اللائقة ، والى ان ننظم علاقاتنا مع غيرنا على اساس التعاون من اجل السلام والحرية والاحترام المتبادل بين جميع الناس .

قلنا في اول هذا الكلام ان اعظم صعوبة تعترض طريق هذه المجلة ، هي ما يعانيه المثقفون بصورة خاصة في بلادنا من البلبلة والاضطراب والتوتر ، ذلك ان المفروض في كل مجلة ثقافية انها ملتقى المثقفين والمفكرين ، والحالة التي يعيشها المثقفون في بلادنا والتي شرحنا بعض جوانبها تحول بين الكثيرين منهم وبين ان يكتبوا افكارهم ليطلع عليها الناس ، اما لانهم غير واثقين منها ، واما لانهم يشفقون على انفسهم من الافصاح عن آرائهم في جو مضطرب مكهرب مشحون ، واما لانهم هم انفسهم بحاجة الى مدة حتى تتبلور افكارهم وتهدأ اعصابهم وتذهب عنهم حالة التوتر والقلق والحيرة .

وهكذا تخسر هذه المجلة ، او اية مجلة ثقافية اخرى يمكن ان تظهر في المغرب في مثل هذه الظروف ، مساهمة عدد كبير – نسبيا – من الباحثين والكتاب والشعراء والقصاصين .

وهناك قضية اخرى ذات اهمية كبيرة في هذا المجال ، وربما كانت اثرا من آثار احتكاكنا بالفرنسيين المعروفين في العالم بصورة خاصة بما يدعى بالبرلمانية، اي الجدل السياسي الذي لا يستهدف في الغالب الا الظهور بمظهر المتفوق في القدرة على الكلام ، واستخدام المنطق المصطنع ، والعمل على كبت الخصم واسكاته واقامة الحجة عليه ، ولو كانت حجة لا تقوم على اي سند آخر غير لفظي .

هذه (البرلمانية) قد ابتلينا بها بصورة واسعة مشوهة الى الحد الذي كان يشل تفكيرنا ، وكاد يشغلنا عن مواصلة العمل الجدي البناء في الميادين الاخرى ذات الصبغة غير السياسية الواضحة ، بل الى الحد الذي كاد – منذ الاستقلال حتى الآن – ان يعرقل اعمالنا حتى في الميادين السياسية نفسها .

هذه (البرلمانية) تجني علينا فيما تجني ، انها تساهم في الحيلولة دون ظهور حركة فكرية مشرفة بالمعنى الصحيح ، لانها تشغل الوقت كله ، والفكر كله ، ولانها تعمي السبل ، وتخلط بين المفاهيم ، وتحجب الحقائق في اجواء كثيفة من الظلام والضباب.

وعلى القارىء ان يتصور وحده كيف يمكن لمجلة ثقافية كهذه ان تصدر بانتظام في مثل هذا الجو ، وان تصدر حافلة في كل شهر بمختلف الدراسات والمقالات والابحاث والقصائد والقصص والتعليقات ، وعليه وحده ان يتصور الجهد المبذول في حمل الكتاب على ان يكتبوا ، وحمل النقاد على ان يدلوا بآرائهم فيما يقراون ، وحمل الشعراء على ان ينفضوا عن شاعريتهم ما ران عليها من الغبار ، وان يفتحوها على صور الكفاح في بلادهم ، وعلى موكب الزحف العربي في كل بلاد العروبة ، وعلى موكب الانسانية في صراعها من اجل السلم والحرية والكرامة الفردية والاجتماعية .

ومع ذلك فقد قطعت هذه المجلة من عمرها سنتين ، وها هي تدخل اليوم في سنتها الثالثة اكثر عزما وتصميما على السير في طريقها حتى النهاية ، مهما تكن الظروف المحيطة بها ، ومهما تتلاطم من حولها الامواج .

ان لهذه المجلة رسالة ، هي ان تخلق للفكر دولة في المغرب ، وعليها لذلك ان تفسح المجال لكل رأي سديد بعيد عن التعصب والكراهية والكيد ، ولا عليها ان تكون – كما يلاحظ احيانا – ملتقى لخليط من التيارات الفكرية ، فان علينا ان نضع افكارنا كلها على الصعيد ، وان نتيح لها الفرصة لتتعرف على بعضها وتتفاعل ، لكي تتبلور اخيرا عن تيار فكري واحد ، او عدة تيارات متجانسة متكاملة .

وقد وفت المجلة لرسالتها هذه خلال السنتين الماضيتين ، وهي اليوم تدخل سنتها الثالثة اكثر ما تكون وفاء لهذه الرسالة ، وتشبثا بها وحرصا عليها .

لقد كان رائدنا منذ اليوم الاول هو النزاهة والحكمة والتجرد والاخلاص والارادة الحسنة ، وكان من الطبيعي نتيجة لكل ذلك ان تبلغ هذه المجلة ما بلغته من نجاح حتى اليوم ، وهي موقنة – ما دامت مصممة على التمسك بهذه الصفات – انه لن يصادفها فيما تستقبل من عمرها المديد الا مزيد من النجاح .

دعوة الحق

دراسات إسلامية

النظام الخلقي في الإسلام

للسيد أبي الأعلى المودودي أمير الجماعة الإسلامية بباكستان

الشعور الخلقي فى الانسان شعور فطري فطره عليه الخالق تعالى ، فيحمله على حب بعض صفات الانسان وكراهة اخرى . وهو ، وان كان متفاوتا وعلى اقدار متنوعة فى مختلف افراد البشر ، الا ان الشعور العام ، بقطع النظر عن الافراد ، لا يزال يحكم على بعض السجايا الخلقية بالحسن وعلى بعضها بالقبح فى كل زمان . فالصدق والامانة والعدالة والوفاء بالعهد مثلا ، كل ذلك مما عدته الانسانية من الصفات الخلقية الجديرة بالثناء والمدح فى كل دور من الادوار ، ولم يات على الانسانية حين من الدهر استحسنت فيه الكذب والظلم والغدر والخيانة . وهكذا امر المواساة والتراحم والسخاء وسعة الصدر والتسامح ، فان كل ذلك مما لم تنظر اليه الانسانية الا بنظر التقدير والاجلال فى كل زمن من الازمان ، بخلاف الاثرة وقساوة القلب والبخل وضيق النظر ، فان الانسانية ما عدتها قط فى شيء مما يستحق التوقير والاكرام . ثم ان الانسانية ما زالت تكرم الصبر والاناة والثبات والحلم وعلو الهمة والبسالة وتنظر اليها بعين الاجلال ، كما لم تزل تحتقر وتزدري الجزع وقلة الاناة والتلون وخور العزيمة والجبن . وكذلك لم تبرح الانسانية تعد ضبط النفس والانفة وحسن الخلق والمؤانسة من مكارم الاخلاق ومحاسنها . اما اتباع الهوى والنزالة وقلة الادب وسوء الخلق ، فلم يكن لها مكان فى ما تعده الانسانية من مكارم الاخلاق . وكذلك لم تزل الانسانية تجل قدر اداء الواجب وحفظ العهد والنشاط فى العمل والشعور بالتبعة ، كما انها لم تنظر بعين الاستحسان الى الذين لا يقومون بواجباتهم ولا يوفون بعهودهم ومواعيدهم ولا ينشطون للعمل والجد ولا يابهون لما يترتب عليه من التبعات .

هذه الصفات كلها شخصية فردية ، اما الشؤون الاجتماعية وحسناتها وسيآتها وصفاتها الحميدة والذميمة ، فما فتئت تنظر اليها الانسانية بعين واحدة وتزنها بميزان واحد ، فما عرفت من بين المجتمعات البشرية مستحقا للاجلال والتوقير الا المجتمع الذي يتمتع بحسن الادارة وجودة النظام ويرفرف عليه لواء التعاون والتكافل والتحاب والمناصحة والعدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس ، ولم تنظر قط بعين الاعجاب والتوقير الى مجتمع خيمت عليه عناكب التشتت والتفرق والفوضى واضطراب الاحوال واحاط به من كل جانب التباغض والتنافر والتحاسد والجور والتفاضل بين افراد البشر .

وكذلك امر السجايا والطباع ، خيرها وشرها ، لا يزال على ما كان عليه فى كل الازمان السالفة . فما نظرت الانسانية الى اعمال السرقة والزنا والقتل والتلصص والتزوير والارتشاء والبذاءة وايذاء الناس والغيبة والنميمة والحسد والقذف والافساد فى الارض بنظر التقديس والتمجيد ، كما نظرت الى بر الوالدين والاحسان الى ذوي القربى واكرام الجيران ومناصرة الاصدقاء على الحق والاشراف على حاجات اليتامى والمساكين وعيادة المرضى ومساعدة البؤساء واعانة

المنكوبين . وكذلك ما انزلت الختال والاشر والمرائي والمنافق واللجوج والشره منزلة الاجلال والاحترام ، كما انزلت عفيف المئزر فكه القول لين العريكة الناصح الامين .

وجملة القول ان الانسانية ما اعتبرت قوامها وما عدت خير اهل الارض واكرمهم الا الصادقين فى اقوالهم الذين يوثق بهم ويعتمد عليهم فى كل شان ، والذين ظاهرهم وباطنهم سواء واعمالهم تطابق اقوالهم ، والذين يقنعون بحظوظهم وحقوقهم ويتسابقون الى اداء ما عليهم من الحقوق والواجبات لغيرهم ، والذين يعيشون عيشة الامن والدعة ويامن غيرهم شرهم ولا يرجى منهم الا الرشد والخير .

فتبين من ذلك ان القواعد الخلقية هي حقائق ثابتة عالمية ما زال جميع ابناء البشر على معرفة بها . فليس الخير والشر مما يخفى على احد حتى يكون بحاجة الى البحث عنه اذا اراد معرفته والوقوف عليه ، بل انهما مما عهده ابن آدم منذ اول امره ؛ وقد وهب الله له الشعور بهما واودعه جبلته التي فطره عليها . ومن ثم ترى ان القرآن يسمي الخير « بالمعروف » والشر « بالمنكر » ومراده بذلك ان المعروف ما عرفه الناس ورغبو فيه واستانسوا به ، وان المنكر ما نكره الناس واشمأزوا منه واستنكفوا عنه . وفى هذا المعنى نفسه ورد فى التنزيل : « الهمها فجورها وتقواها » اي النفس الانسانية .

وربما يسائل القارىء فى هذا المقام فيقول : اذا لم تزل محاسن الاخلاق ومساوئها معروفة معهودة فى العالم ولم يزل اهل هذه المعمورة منذ عمروها على راي واحد فى حسن بعض الصفات وقبح بعضها ، فلم هذه النظم الخلقية المختلفة المنبثة فى العالم ؟ واي شيء سبب الفرق بينها وميز بعضها من بعض ؟ وما الذي نستند اليه فى قولنا ان الاسلام له نظام خلقي خاص ؟ ثم ما هي المزايا والخصائص التي يمتاز بها نظام الاسلام الخلقي من بين النظم الاخرى والتي كانت ، ولا تزال غرة فى تاريخ المناهج الخلقية ودرة فى تاجها ؟

فاذا تعرضنا للنظم الخلقية المختلفة فى العالم لادراك هذه المسالة ، يتراءى لنا فى اول وهلة انها تفترق فى ما بينها فى ادماج مختلف الصفات الخلقية فى نظامها الشامل وتعيين حدودها ومكانتها ومواضع استعمالها والتوفيق بينها . ثم اذا دققنا النظر فيها وسبرنا غورها تبين لنا سبب هذا الفرق ، وهو ان هذه النظم تختلف فى تحديد معيار للحسن والقبح فى الاخلاق ووسيلة للعلم يعرف بها الخير من الشر ، كما لا تتفق فى تقرير القوة المنفذة (Sanction) التي تعمل عملها وراء القانون وتجعله نافذا فى الناس وتعيين الوازع الذي يحمل المرء على اتباع القانون والمواظبة عليه . ثم اذا بحثنا عن اسباب هذا الاختلاف واعملنا فيها الفكر والروية ، ظهرت لنا الحقيقة واضحة ، وهي ان الذي بدد طرق هذه النظم الخلقية جمعاء وابعد بعضها عن بعض ، انها تختلف فى التصور لهذا الكون ومنزلتها فى نظامه الواسع وغاية الحياة الانسانية فيه . وهذا الاختلاف هو الذي اثر فيها اثره وتولد عنه الاختلاف الاساسي حتى فى حقيقتها وطباعها واوضاعها .

ان المسائل التي يقوم عليها اساس الحياة البشرية وتعيين اتجاهاتها فى هذه الدنيا . هي انه : هل هناك اله لهذا الكون ام لا ؟ فاذا كان ، فهل هو اله واحد ام معه آلهة اخرى ؟ ومن هو الاله الذي نومن به من بينها ؟ وما هي صفاته التي يتصف بها؟ وما هي العلاقة بيننا وبينه؟ وهل تفضل بارشادنا ودبر أمر هدايتنا ام لا ؟ وهل نحن مسؤولون بين يديه؟ فان كنا كذلك ، فما الذي نحاسب عليه ؟ ثم ما هي غاية حياتنا ومآل امرها الذي نجعله نصب اعيننا ونعمل وفق مقتضياته فى هذه الحياة الدنيا ؟

فهذه مسائل اساسية خطيرة يتوقف على جوابها نشاة نظام الحياة الانسانية . فلا ينشا اذن نظام الاخلاق الا وفق ما يناسب حقيقة هذا الجواب . ويتعذر علي فى هذه المحاضرة الضيقة النطاق ان افصل القول فى نظم الحياة المختلفة فى العالم ، فاخبركم بما اختاره كل واحد منها جوابا عن هذه المسائل الاساسية ، ثم ماذا احدث هذا الجواب من الاثر والسمة فى اشكالها وتعيين الطرق لسيرها . بيد اني اقتصر على الاسلام من بينها واتصدى لما اختاره جوابا عن هذه المسائل وايضاح ما جاء به من نظام مخصوص للاخلاق على اساس هذا الجواب وطبق مقتضياته .

فهو يقول جوابا عن هذه المسائل : ان لهذا الكون الها وانه ما من اله الا الله . فهو الذي خلق هذا الكون واوجد كل ما فيه ، وهو المتصرف فى امره لا شريك له فى ذلك. وله الامر والنهي وهو رب السماوات والارض ومن فيهن. وهذا النظام الكوني الذي نراه سائرا بانتظام

وثبات لا يسير الا مذعنا لامره ومشيئته وهو الحكيم القدير عالم الغيب والشهادة الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الارض ، الملك القدوس الذي يجري امره فى هذا الكون بقدر معلوم لا يتطرق اليه وهن ولا خلل . فالانسان عبد لله بخليقته وجبلته ولا وظيفة له فى الدنيا الا ان يعبده وينقاد لامره ، ولا معنى لحياته الا ان تكون باجمعها عبودية لله خالصة . وليس من وظيفة الانسان ان يعين من تلقاء نفسه منهاجا لعبوديته ، بل انما ذلك على الله الذي خلقه وجعله عبدا من عباده . فقد ارسل الله تبارك وتعالى اليه الرسل وانزل معهم الكتاب لهدايته وارشاده الى طريق الخير والسعادة . فواجب عليه ان لا يقتبس نظام حياته الا من تلك المشكاة المضيئة النيرة . ثم ان الانسان مسؤول امام ربه عما كسب واكتسب فى حياته الدنيا ، ومحاسب بين يديه فى الدار الآخرة ، لا فى هذه الدنيا . وما هذه الحياة الدنيا الا بلاء له من ربه ليختبره . فالانسان ينبغي له ان لا يضع لحياته غاية يطمح اليها ببصره ويسعى وراء تحقيقها الا ان يكون من الفائزين فى الدار الآخرة عند ربه . والانسان داخل فى هذا الامتحان بجميع قواه ، فان فيه ابتلاءا لجميع قواه ومواهبه وامتحانا لحياته من جميع نواحيها ، فهو يختبر فى جميع ما يحاوله ويزاوله من الاشياء فى هذه الدنيا اختبارا خالصا لا يشوبه شيء من ادران هذا العالم .

اضف الى ذلك ان هذا الاختبار يقوم به الذي عنده علم الكتاب والذي لا يقف علمه ومعرفته عند ما سجله من اعمال الانسان وحركاته على جميع اجزاء هذا الكون من الارض والهواء والماء واجواء الفضاء وفى قلب الانسان وذهنه ويده ورجله ، بل يحيط علمه بكل ما يخطر فى نفس الانسان من الهواجس والارادات ولا يعزب عنه منها شيء .

هذا هو جواب الاسلام عن مسائل الحياة الاساسية، وهذا هو تصوره للكون ومنزلة الانسان فيه . وهو يعين الغاية الحقيقية السامية التي ينبغي ان تكون الغاية القصوى من مجهودات الانسان ومساعيه فى هذه الدنيا — الا وهي « ابتغاء وجه الرب تعالى ونيل رضاه » . فهذا هو المقياس الذي يقاس به فى نظام الاسلام الخلقي كل عمل من اعمال الانسان ويحكم عليه بالخير او الشر . ثم ان هذا التعيين يزود الاخلاق الانسانية بمحور تدور حوله حياة البشر بحذافيرها ، فلا تبقى بعد كسفينة فى البحر تتقاذفها الرياح وتقلبها الامواج يمينا وشمالا . وكذلك يضع هذا التعيين بين يدي الانسان غاية حقيقية يمكنه بعدها ان يعين لجميع الصفات الخلقية فى الحياة حدودا ومنازل وصورا عملية ملائمة لكل واحدة منها ، كما يظفر من اجلها بالقيم الخلقية (Ethical Values) المستقلة التي لا تزال قائمة متاصلة فى مكانها على تقلبات الاحوال والشؤون. وفوق كل ذلك اذا تعين ابتغاء وجه الرب ونيل رضاه غاية منشودة للانسان ومرمى لمساعيه وجهوده، فقد ظفرت الاخلاق البشرية بغاية سامية تمكنها من الارتقاء الخلقي الى ما لا نهاية له من معارج النمو والرقي ولا يشوبها ابدا ادناس عبودية الاغراض والمآرب النفسية فى مرحلة من مراحل سيرها الحثيث .

فكما ان الاسلام ينعم علينا بفضل تصوره للكون والانسان بهذا المقياس ، يزودنا فى الوقت نفسه بوسيلة دائمة لمعرفة الحسن او القبح الخلقي . والاسلام لم يحصر علمنا بالاخلاق على العقل او المشيئة او التجارب او العلوم الانسانية فقط ، حتى تتغير احكامنا الخلقية بتغير هذه الوسائل الاربع ولا يقر لها قرار ابدا . بل الاسلام يمنحنا مرجعا ثابت الاركان يزودنا بالتعاليم الخلقية فى كل حال وزمان ؛ الا وذلك المرجع هو كتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) ؛ وهذه التعاليم ترشدنا الى الطريق الاقوم وتضيء لنا الخطة المستقيمة فى كل شان من شؤون الحياة من اتفه المسائل البيتية الى مسائل السياسة الدولية العظيمة ومشاكلها الخطيرة. ونجد فيها انطباقا متسعا لاصول الاخلاق على شؤون الحياة المختلفة لا نحتاج بعده فى مرحلة من مراحل الحياة الى وسيلة للعلم اخرى .

ثم نجد فى تصور الاسلام هذا — للكون والانسان — تلك القوة الوازعة التي لابد لقانون الاخلاق ان يكون مستندا اليها ؛ وهذه القوة قوة خشية الرب تعالى والاشفاق من المسؤولية الاخروية والخوف من سوء العاقبة فى المستقبل السرمدي . ولا ريب ان الاسلام يريد أن يوجد ويهيىء من الهيئة الاجتماعية والراي العام ما يحمل الافراد والطبقات ويجبرهم على القيام بالقواعد الخلقية والداب عليها ، كما يريد ان يقيم نظاما سياسيا يتمكن بسلطانه من تنفيذ القانون الخلقي فى الناس بالقسر ، الا ان الحقيقة ، مع ذلك ، انه لا يعول على هذا الوازع الخارجي مثل ما يعول على الوازع النفسي الذي تنطوي عليه عقيدة الايمان بالله واليوم الاخر . ومن ثم يريد الاسلام — قبل ان يامر

الانسان بالتقيد بالاحكام الخلقية — ان يلقي في روعه ويلقنه :

« انما امرك الى الله البصير الخبير الذي لا يعزب عنه من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ، وهو يراك اين ما كنت وكيف ما كنت . يمكنك ان تتوارى من غيره ولا يمكنك ان تتوارى منه ، وتقدر ان تخدع جميع افراد البشر ولا تقدر ان تخدعه هو . وتستطيع ان تعجز كل من في الارض ولا تستطيع ان تعجز من خلق السماوات والارض . انما ينظر العالم الى ما يظهر لهم من اعمالك واخلاقك ، ولكنه عالم الغيب والشهادة يعرف اسرار النفس ونجوى القلب . فمهما اتيت من الاعمال في حياتك الفانية هذه فلا مندوحة لك عن ارتشاف كاس الموت والرجوع الى المحكمة التي لا تنفعك فيها محاماة ولا ارتشاء ولا شفاعة ولا شهادة زور ولا خديعة ولا غش ، يوم يضع ربك الموازين بالقسط ويجزي عباده على اعمالهم جزاءا وفاقا .

فالاسلام يثبت هذه العقيدة — عقيدة الايمان بالله واليوم الآخر — في قلب الانسان فكانه بذلك يلقي في روعه حارسا من الشرطة الخلقية يدفعه الى العمل ويحثه على الائتمار باوامر الله — جل وعلا — سواء عليه اكان في الخارج من الشرطة والمحكمة والسجن ما يحمله على القيام بها ام لا . وهذا الحارس الداخلي وهذا الوازع النفسي هو الذي يشد عضد قانون الاسلام الخلقي ويجعله نافذا بين الناس في حقيقة الامر ، وان كان مع ذلك من تاييد الحكم والراي العام ما يسهل تنفيذه فذلك اجدى وازكى ، والا فالحقيقة ان هذا الايمان وحده يضمن هداية الفرد المسلم والامة المسلمة الى سواء الطريق ، اذا كانت خالطت بشاشته قلوبهم وتغلغلت هذه العقيدة في نفوسهم تغلغلا .

زد على ذلك ان تصور الاسلام هذا ، للكون والانسان ، يهيء عوامل تستحث المرء وتحضه على العمل وفق ما يقتضيه القانون الخلقي ، وكفى المرء دافعا الى الاذعان لمرضاة الله وامتثال اوامره ان يرضى بالله ربا وبعبادته منهجا في الحياة وبرضاه غاية لها . والعامل الآخر الذي يزيد هذا العامل قوة الى قوته هو الايمان باليوم الآخر واعتقاده ان من اطاع الله وائتمر باوامره فطوبى له في الدار الآخرة السرمدية ، فانه يفوز بحياة طيبة ومستقبل زاهر ونعيم مقيم ، وان تحمل في هذه الدار الفانية من صنوف الاذى والآلام والمصائب والشدائد ، وان من قضى حياته في هذه الدنيا عاصيا لله عاتيا اوامره ، فلا جرم ان مصيره في الآخرة الى العقاب الصارم والعذاب الدائم ، وان تقلب في الدنيا في صنوف النعم وانواع الرغد من متاع الحياة الدنيا . فذانكما الرجاء والخوف اذا اجتمعا في رجل واحد وتمكنا من سويداء قلبه فكأنه نشأ في اعماق فؤاده عامل قوي يقدر ان يحثه على الخير ويبعثه على الاستمساك بعروة الحق في اوقات واحوال ربما يظهر له فيها ان الاستمساك بالحق يضر بمصالحه في هذه الحياة الدنيا ايما ضرر . وكذلك يقدر هذا العامل النفسي على ان يقيه منازع السوء ويبعده عن مواضع الفساد والشر في احوال يتراءى له فيها ان الشر فيه متعة للنفس ومنفعة في هذه الحياة الدنيا .

فالذي يتضح بهذا التفصيل ان الاسلام له تصور خاص للكون ومقياس للشر والخير ومرجع لعلم الاخلاق وقوة منفذه خاصة به وعامل يدفع الى العمل، وهو يختار في هذا الباب طريقا غير طرق سائر النظم الخلقية في العالم . فيرتب بمساعدة هذه العوامل نفسها مواد الاخلاق المعروفة وفق مقاديره الخاصة وينفذها في جميع شعب الحياة ونواحيها . فلهذا يسوغ لنا القول بأن الاسلام له نظام خلقي جامع ملائم لطبيعته وتعاليمه .

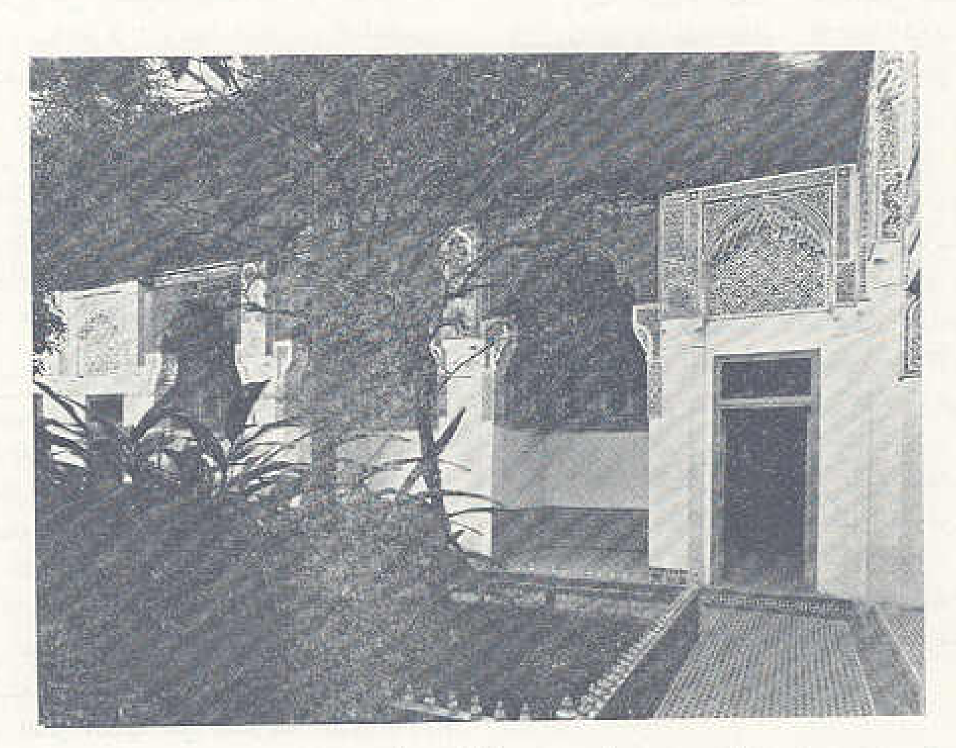
ولهذا النظام الخلقي خصائص وميزات لا يمكن استيفاؤها في هذا المقام . الا انني اريد ان اذكر ثلاث خصائص بارزة هي زبدتها ولبابها ، بل الحق انها من اوليات الاسلام في باب النظام الخلقي .

فالميزة الاولى انه يجعل « ابتغاء وجه الرب ونيل رضاه » غاية منشودة في الحياة الانسانية ويجعل بذلك مقياسا ساميا للاخلاق لا يقوم معه في وجه الارتقاء الخلقي شيء يعوقه عن الارتقاء والتقدم . وكذلك يقر مرجعا للعلم ، فهو ينعم بذلك على الاخلاق الانسانية من الثبات والرصانة بما يمكن معه الرقي والازدهار ولا يمكن التلون والتقلب حينا بعد حين . وكذلك يهيء للاخلاق من خشية الله تعالى قوة منفذة تحث الانسان على القيام والاضطلاع بمقتضياتها من غير ان تكون فيها يد لعامل من العوامل الخارجية . وكذلك يلقي في روع الانسان ويكون فيه بفضل عقيدة الايمان بالله واليوم الآخر قوة حثيثة ترغب المرء وتشوقه الى العمل بقانون الاخلاق من تلقاء نفسه .

والثانية منها انه لا يشكل ولا يوجد بهذا التحريض والترغيب المحض اخلاقا وآدابا مبتكرة غير معهودة ، ولا يحاول حط بعض الاخلاق الانسانية

المعروفة ورفع بعضها . فهو لا يتناول من الاخلاق الا ما كان معروفا عند جميع الناس ؛ حتى لا يغادر من الاخلاق المعروفة صغيرة ولا كبيرة الا اقتناها واخذها كلها . ثم يضع كل واحدة منها موضعها من الحياة الانسانية ويحلها محلها اللائق بها من مسالك الحياة البشرية ويوسع في تطبيقها على الحياة الانسانية توسيعا عظيما ، الى ان لا تبقى ناحية من نواحي الحياة ولا شعبة من شعبها كالاعمال الفردية والشؤون البيتية والعشرة المدنية والشؤون السياسية والاقتصادية والسوق والمدرسة والمحكمة والشرطة والمعسكر وساحة الحرب ومؤتمرات الصلح وما الى ذلك من نواحي الحياة الانسانية الاخرى ـ فلا تبقى ناحية من نواحي الحياة ولا شعبة من شعبها الا وترى فيها للاخلاق اثرا جامعا متغلغلا في اعماقها . فالاسلام يجعل الاخلاق مسيطرة في جميع نواحي الحياة ومهيمنة عليها . وهو يريد بذلك ان ينتزع زمام شؤون الحياة من ايدي الشهوات والاغراض والمصالح ويضعه بيد الاخلاق الزكية والآداب الحسنة .

والميزة الثالثة لنظام الاسلام الخلقي انه يطالب الناس ويلتمس منهم اقامة نظام للحياة ينهض بنيانه على المعروف ولا يشوبه شيء من المنكر . فيدعوهم قاطبة الى ان يقيموا الخيرات ويعمموا الحسنات التي نظرت اليها الانسانية في كل زمان ومكان بنظر الاكبار والاجلال وان يرفضوا ويقضوا على المنكرات التي طالما نظرت اليها الانسانية بعين الازدراء والاحتقار . فهذه الدعوة هي التي دعا اليها الاسلام جميع ابناء البشر ، فالذين استجابوا له ولبوا دعوته جمعهم على كلمته الجامعة واتخذ منهم امة مسلمة ؛ وما كان غرضه بجعلهم امة واحدة الا أن يجمعوا ما في مستطاعهم من الجهود ويسعوا سعيا اجتماعيا في اقامة المعروف وتدعيمه وتعميمه وكبح جماح المنكر والقضاء عليه واجتثاث شجرته من جذورها فان كانت هذه الامة قد عادت الى اقتراف المنكر واجتراح السيآت تسير سيرة من يقاومون المعروف ويسعون وراء اطفاء نوره ؛ فعلى الدنيا وعلى هذه الامة السلام، ولا حول ولا قوة الا بالله .



جانب من جوانب قصر الباهية بمدينة مراكش

شكيب أرسلان

بين القومية العربية والجامعة الاسلامية

للاستاذ الكبير علال الفاسي

ليس هنالك رجل تتعدد جوانب حياته ، وتتشعب مظاهر اعماله كشكيب ارسلان الذي ساير النهضة العربية والاسلامية منذ بداية عهدها ، وساير التقلبات التي سارت فيها الشعوب العربية والمسلمة قبل ان يتبلور عندها الاتجاه الغالب اليوم وهو الاتجاه القومي الخالص .

وشكيب ليس من اولئك القادة الاقليميين او المحليين ، ولكن البطل الذي عم كفاحه كل جوانب الارض المسلمة ، ولذلك لا مناص من ان يكون تفكيره تفكيرا شموليا لا تقف به الحدود ولا تضيق به الاعتبارات ؛ انه لبناني وشامي وعربي ، ولكنه مع هذا وذاك عثماني ومسلم .

والذين يتلمسون اليوم روح القومية عند شكيب ، تختلط عليهم الافكار وتتبلبل عندهم الآراء بسبب هذه الدعايات الغربية التي ما بذلت من جهد بقدر ما بذلته في سبيل تفريق كلمة المسلمين وبعث الشعوبية الضيقة في اوطانهم ، اما شكيب والقوميون الاحرار امثاله فهم لا يجدون هنالك تناقضا بين ان يكون الرجل قوميا واسلاميا او عالميا اي انسانيا ؛ ان كل هذه الاشياء تتحد في حقيقتها حينما يصغي المرء لضميره ويبدا في العمل لتحرير قومه والطائفة التي ينتمون اليها ليجعل منهم اداة صالحة في مجتمع انساني افضل

وتلك هي المبادىء التي كانت تغمر قلب شكيب وتوجهه في سائر اعماله .

كان مسلما يعرف كل محاسن الاسلام ويناضل عنها ، ولكنه ما كان يقف موقف المتعصب ازاء ابناء قومه من رجال الملل الاخرى ، ولعله لم يحظ زعيم عربي بتأييد رجال الدين المسيحي في لبنان وسوريا كمثل ما حظي به شكيب في اخطر ظروفه واقواها ، وهي ظروف الاتهام الذي وجه اليه بسبب دفاعه عن مسلمي الحبشة .

وكان عثمانيا يدعو الى الجامعة الاسلامية كرابطة سياسية واجتماعية بين مختلف الشعوب التي تنضوي تحت لواء العثمانيين ، وهذه احدى الصفات التي جلبت له الكثير من الاعداء والعديد من الخصومات ، لان اصدقاءه الكثيرين بل اخوته كانوا يختلفون معه في هذا الاتجاه في وقت كان اعظم رجال العرب يضيقون ذرعا باعمال الاتراك ويطالبون بالاستقلال العربي ثم بتكوين خلافة عربية .

ولكن شكيب كان ابعد نظرا منهم واكثر تقريرا للمستقبل ، فقد كان يعرف ان الاتراك يرتكبون من ضروب الظلم مع العرب ما يستوجب الثورة ويدعو الى الانفصال ، ولكنه كان يعلم ان ذلك الظلم لم يكن ينبعث الا من رجال (الاتحاد والترقي) أي من الاتراك المستغربين بل من مهاجري التركستان الذين كانوا يريدون بعث الجامعة الطورانية رغبة في تحرير اوطانهم من الاحتلال الروسي ، وان عامة الاتراك ما يزالون متمسكين بمبدا الوحدة الاسلامية التي خلقت لهم ماضيهم المجيد . ولذلك فالاوفق للعرب ان يغالبوا التيار ويطالبوا بالاصلاح حتى تتكون لا مركزية عثمانية يحصل معها العرب على حكمهم الذاتي دون ان ينهار صرح الخلافة الذي هو اساس وحدة المسلمين وحفظ كيانهم .

وكان شكيب اكثر الناس اطلاعا على ما آلت اليه الحركة العربية من خروج عن خطتها الاولى المبنية على الاخلاص والتضحية، واكثرهم معرفة باتصالات الكثير

من رجالات العرب بفرنسا وانكلترا واستمدادهم من هذين الدولتين كل وسائل الاغراء والتشجيع على الثورة على الترك باسم الاستقلال ، وقد سمعت شكيبا يتحدث فى هذا الموضوع وقرات له الكثير من رسائله ومقالاته فيه ، وتتلخص كلها فى ان صالح العرب هو فى صالح اتحاد المسلمين وجمع كلمتهم، وان الخليفة مهما كان وضعه غير طبعي وحاله غير شرعي فانه محور تلتقي حوله اهداف المسلمين لا فى البلاد ذات الاغلبية المسلمة فقط ، ولكن حتى بالنسبة للاقليات المسلمة فى سائر انحاء الدنيا ، وقد اعطاه التاريخ من الاعتبار ومن الحقوق ما لا يمكن ان ينزعه منه احد ، فهو الذي له الحق وحده فى الاحتجاج الرسمي على كل اذى يلحق المسلمين او يصيب ديارهم ؛ وان ثورة العرب عليه لن تؤدي الى تكوين الخلافة العربية كما يزعم البعض ، وانما تؤدي الى تفكيك عرى وحدة المسلمين ووحدة العرب ثم استيلاء الغربيين الانكليز والفرنسيين على اوطانهم وافساد اخلاق اهلها .

وقد دار الزمن دورته وثار العرب على العثمانيين واعلنوا الخلافة الهاشمية ، وأراقوا دماءهم فى سبيل الحلفاء الذين كالوالهم من الوعود المعسولة والاموال المنقولة ما اعمى قادتهم عن تبصر الحقيقة على وجهها ؛ وزاد الطورانيون ايضا فى غواياتهم فتم للاجنبي ما اراد، وانتهت الحرب الكبرى بنصرة الحلفاء على تركية وحليفتها المانيا ، وكان اول ما عملته انكلترا وفرنسا ان اعتقلت الاولى جلالة الامام حسين وطردت الثانية ابنه فيصلا من بلاد الشام ثم استولتا على الارض العربية وانتهى الامر بطرد الاتراك لخليفتهم واعلان الحكم اللاديني فى تركيا الفتاة .

اما رجالات العرب والاتراك ، فقد دخلوا فى هذه الاطوار الجديدة التي يقتضيها العهد الجديد ، وقبلوا العمل فى الغالب فى دائرة قومية ضيقة ترضي الانكليز وان كانت تحاربهم ، ويعطف عليها الفرنسيون وان كانت ستطردهم ، وهكذا ترك مصطفى كامل وحزبه الميدان للذين يعملون باسم القومية بمعناها الغربي الجديد ، وتبلورت الوطنية فى العراق حول ملكها الهاشمي فيصل العظيم ، واستيقظت الجزيرة العربية على صوت الوهابية ونظامها ، وغطت اليمن فى نومتها العميقة الى اليوم ، وسارت ليبيا والمغرب العربي والشام يكافحون المستعمر فى جو ملؤه الشوق الى الحرية والاتحاد ، وبقيت الشام باجزائها الثلاثة تفكر كيف تعيد للحركة العربية روحها فتكونت اللجنة السورية الفلسطينية لتعبئة القوى العربية ومواجهة الاستعمار .

وكان شكيب زعيم هذه المنظمة يسير بها وبرجالها فى الداخل والخارج لمكافحة المستعمر الفرنسي والانكليزي ، ولكنه وحده الذي ما كان يحس فى اعماقه الا بانه على ثغرة من ثغر الجهاد العربي والاسلامي ، يحرر وطنه ليكون جزءا لا يتجزا من بلاد العرب ثم من دولة الاسلام .



الامير شكيب ارسلان بالزي المغربي التقليدي اخذت هذه الصورة لسيادته فى سنة 1350 هجرية . وهي من محفوظات الصور التاريخية للاستاذ محمد داود بتطوان

ومن السهل ان نتصور الآن جو الالام التي كان يعيش فيها هذا البطل الكبير ، رجل كافح لتجديد الامة الاسلامية جمعاء ؛ يرى آماله تنهار بيد اعداء ، ثم يرى زعماء المسلمين انفسهم يقبلون ان يكونوا اداة للفرقة ينظرون الى قضيتهم الخاصة من الزاوية التي علمهم المحتل ان ينظروا اليها ، يكافحون وحدهم دون

ان يفكروا في تعبئة جميع القوى المنكوبة بالاستعمار لتضرب المستعمرين ضربة الرجل الواحد ، وذلك مما يجعله يقف موقف المبشر الداعية ليعيد الامر لنصابه الطبيعي ، فيتصل بكل القادة ويكاتبهم ويعمل على عقد المؤتمرات الاسلامية او العربية ، ولكن جهوده كلها لم تكن تؤدي الا الى اليسير من النتائج ، وان كانت تؤدي به الى غضب المستعمرين عليه وعملهم على ابقائه في عزلة عن بقية اقطاب العالم العربي .

وحينئذ تتجلى عظمة شكيب ، فقد جعل من نفسه علما تتجه اليه انظار المسلمين في كل انحاء الارض ، لقد اصبح مكتب التنفيذ لمؤتمر اسلامي غير موجود ، ورئيس الديوان لخليفة اسلامي معدوم ، ومكتب الاستعلام والاعلام عن كل قضية وكل بلد للعرب وللمسلمين فيها حق او نصيب ، ولكن جهاده الاسلامي العام لم ينسه ابدا وطنه الخاص الذي هو بلاد الشام بكل اجزائها ، بل انه كان يخدم سوريا الكبرى بخدمته لقضايا المسلمين ، اذ كان يكفي ان تتوجه منه رسائل وبرقيات لدنيا المسلمين لكي تثور ضد فرنسا وبريطانيا والصهيونية ، وتتوالى الاحتجاجات من كل جهة على اعمال الاستعمار والصهيونية في اراضي الشام .

اجتمعت معه ليلة في منزله بجنيف ، فقرا علي رسائل وردت اليه من الملايو والصين والهند وافغانستان وايران والبلاد العربية وأثيوبيا ومن افريقيا وامريكا ، وكلها تشكو من احوال المستعمر او تطلب الدعاية لقضية بلادها او تستشير الامير فيما يجب ان تعمله ازاء بعض القضايا القائمة ، وكان الامير يعلق في حديثنا معه على كل واحدة منها وياخذ رأينا فيها ثم يستيقظ مبكرا ليجيب عن جميعها ، وكان من جملة هذه الرسائل رسالة اندونيسيا تحكمه في الخلاف القائم بين العلويين وبين غيرهم في اطلاق كلمة السيادة على الجميع ، وقد كتب جوابا يندد فيه بالخلاف ويحكم باقباره لان الوقت لا يسمح للمسلمين ان يختلفوا في قضايا غير ذات اهمية كهذه ، ورسالة من احد التجار المسلمين في أثيوبا يشكو من اضطهاد النجاشي للمسلمين ويقول ان النجاشي يؤثر غير المسلمين بفتح وسائل التجارة والاقتصاد في وجوههم ، في هذا الوقت الذي لو بعث الله فيه نبيا لجعل معجزته المال .
ورسالة من تركي يشكو فيها الكبت الديني الذي تقوم به حكومة اتاتورك ، وقد تولى الامير الدفاع عن كل هذه القضايا وغيرها ، وارسل للنجاشي عدة رسائل يعظه فيها بالتخلي عن ظلم المسلمين وكان آخر ما طالبه به اصدار اعلان رسمي بمساواة المواطنين الحبشيين جميعا في الحقوق والواجبات ، ولكن طلبه لم يحظ بالقبول ولا حتى بالجواب ، الامر الذي اغضب الامير وجعله يقف من الحبشة موقفه المعروف عند الاحتلال الايطالي .

وغضب على الاتراك غضبة اقضت مضجع رؤسائها فبعثوا يسترضونه مع سفيرهم في سويسرا ولكنه رفض مقابلة السفير ، وحينما دعا لعقد مؤتمر سلمي في اوربا عملت تركيا كل الوسائل ليدعوها للحضور في المؤتمر فرفض ، وصارح مبعوثها بقوله : لقد دعاكم العرب لحضور المؤتمر الاسلامي في القدس فرفضتم الدعوة على البرلمان ثم قررتم رفضها، اتريدون ان اتيح لكم فرصة رد الدعوة مرة اخرى ؟ .

لم تكن تصرفات الامير واعماله الا بوحي من مبادئه القومية والملية في وقت واحد ، فقد حارب فرنسا لاحتلالها بلاد الشام بكل ما استطاعه من سياسة ومن سلاح ، وحينما دخلت الحكومة السورية في مفاوضةمعها سنة 1936، وقف موقفالمتحفظ المتحفز وكان الوفد السوري اللبناني يتردد عليه لاستشارته في بنود المعاهدة القائمة ، ولكنه لم يرض عنها كل الرضا بعد توقيعها من الطرفين ، الامر الذي اضطرهم . فيينو الى توسيط احد الساسة العرب السيد اميل الخوري لاسترضائه حتى قبل ان يتناول العشاء مع فيينو الذي قدم لسويسرا لزيارته ، وقد كتب الي الامير بعد هذا العشاء رسالة يقول لي فيها : لقد اعلنت لفيينو مرة اخرى عن عدم رضاي عن المعاهدة السورية الفرنسية ، ولكنني لم ارد ان اضيع الفرصة فقلت لفيينو : يمكنكم ان تعوضوا لي بامرين :

تأييد سوريا امام جمعية الامم للمحافظة على سنجق الاسكندرونة، وبارضاء الاماني القومية للشعب المراكشي ، وقد بقي فيينو فعلا متصلا بالامير بواسطة السيد اميل الخوري سواء في قضية الاسكندرونة او في قضية المطالب المراكشية ، حتى تحولت السياسة الفرنسية الى عداء للسوريين بعدم المصادقة على المعاهدة وللمراكشيين بعمليات القمع التي ارتكبتها ضدنا سنة 1937 .

فنحن نرى كيف ان الامير لم يستنكف عن الاستعانة بالخارجية الفرنسية في دفع مطالب تركيا في جزء من الوطن السوري ، وهو الذي لا يتأخر عن

ابقاء وطنه كله جزءا من اجزاء الخلافة العثمانية لو ظلت موجودة ، لانه في مثل هذه الحال ، لا يعتبر بلاده مستعمرة للاتراك ولا يعتبر الا ان هناك رباطا بين دول عديدة ، هو عمامة الخليفة الذي يمكن ان يعين من اي بلد اسلامي متى رضي المسلمون ، اما وقد اصبحت تركيا دولة مستقلة عن هذا الاتحاد الاسلامي فليس هناك مانع من ان تعامل على اساس انها دولة اجنبية تريد التوسع على حساب غيرها ، ولكن وقع في هذا الوقت بالذات ان كتب رياض الصلح الزعيم اللبناني الكبير نداء نشرته جريدة البوبلير الاشتراكية يدعو فيه اخواننا الريفيين لعدم الثقة في الجنرال فرنكو ووعوده ، وكان ذلك من رياض مجاملة للاشتراكيين الفرنسيين في الوقت الذي كانت المفاوضات جارية بين الوفد السوري واللبناني وبين فرنسا ، فكتب الامير يقول : بمجرد ما اطلعت على مقال الاخ رياض كتبت اليه الومه على ندائه ، لانه ترضية للاشتراكيين على حساب اخواننا الريفيين ، ومن المعلوم ان الحرب الاسبانية كانت ضد الجبهة الشعبية الاسبانية المتحالفة مع الجبهة الشعبية الفرنسية ، وكل من الجبهتين والثائرين عليها سواء في السياسة التي اتبعت لحد تلك الساعة في المغرب الاقصى .

وحارب ايطاليا بالدعاية وبالسلاح في ليبيا وفي غيرها من الاماكن التي نكبت باستعمارها ، ولكنه لم يتأخر عن مد اليد لموسوليني حينما اراد هذا الاخير ان يدشن عهدا للتقارب بين ايطاليا وبين العالم الاسلامي ، ولم يكن الامير في عمله هذا اكثر من سياسي يستعمل التاكتيك اللازم لانجاح قضايا العرب والمسلمين المتحدة في اهتمامه وتفكيره ، وقد هاجت الدعاية الانكليزية لموقف الامير من اعمال ايطاليا ، وبدات الهيئات المصرية تتحرك باسم الدفاع عن وادي النيل من الاستعمار الايطالي ، ولكن الامير كتب الرسائل وجند الصحف لتوجيه الراي العام العربي قبل كل شيء لمحاربة الانكليز ، قائلا لهم : قبل ان تحذرونا من الخطر الانكليزي اعطونا استقلال مصر ، ووجد كلامه صدى في ابناء الكنانة ردده في مقالات عديدة الكاتب الاكبر الاستاذ عباس محمود العقاد ، وغيره من رجال السياسة والفكر ، وانعقدت الاجتماعات المتوالية ووقعت المظاهرات ، وانتهى الامر بعقد معاهدة 1936 ، التي كانت في وقتها خطوة لا باس بها بالنسبة لما تطلبه مصر من استقلال وجلاء .

وقد وجه بعض اصدقاء الامير من الفرنسيين له عدة رسائل ينعون عليه موقفه ازاء اثيوبيا ، فكتب الى المسيو جان لونكي النائب الاشتراكي الفرنسي المعروف رسالة ذات اثنتي عشرة صفحة باللغة الفرنسية بعث لي الامير نسخة منها للاطلاع ، وقد قال له فيها : انكم تلومون ايطاليا على الاستعمار ، وماذا هو موقفكم من الاستعمار الفرنسي والانكليزي ؟ ان حفنة من الاحرار مثلكم لا تستطيع ان تغير شيئا من الاضطهاد الديني الذي تقوم به فرنسا نحو المسلمين في المغرب وفي سوريا ، وانكلترا في غيرهما من البلدان ، انني لا اؤيد ايطاليا في استعمارها ، ولكن ايطاليا اعلنت كثيرا من الحقوق الدينية للمسلمين في مستعمراتها الافريقية تدشينا لعهد جديد في سياستها الاستعمارية ، وقد رفض النجاشي ما طالبته به مرارا من اعلان مساواة المسلمين الاحباش باخوانهم المسيحيين ، انني لست حبشيا ، والذي يهمني هو ان يعيش المسلمون الاحباش احرارا في شؤونهم الخاصة ، ثم عليهم ان يحرروا بلادهم من الاستعمار اذا شاءوا .

ليس من شاني ان اؤيد موقف الامير او انتقده ، وانما يجب ان اقول : انه كان منسجما مع مبادئه في جميع المواقف التي اتخذها — وان سياسته الخارجية لم يكن يمليها عليه مبدا مثالي محضر ، ولكن كان يمليها عليه ايمانه بقوميته العربية وبمليته الاسلامية ، فالجهة التي فيها مصلحة العرب والمسلمين هي الجهة الحق التي يجب ان يناصرها ، ولو كانت ضد المبادىء العامة التي يشيد الناس بذكرها في كل المناسبات .

ولكي نفهم عقلية الامير في هذا ، يجب ان نذكر على جهة المثال : قضية قبرص التي تطالب اليونان بتحريرها من السيطرة الانكليزية بينما تريد الاقلية المسلمة المقيمة بها ان تبقى مؤقتا تحت حكم الانكليز الى ان ترجع الى امها تركيا ، فلو كان الامير حيا لما وقف غير موقف التأييد للاقلية المسلمة ، اي لبريطانيا عدوته اللدود ، ولما شغل نفسه بمبدا تقرير المصير العزيزعلى دول الامم المتحدة .

ساكون منكرا لجميل الامير اذا اخليت حديثي عن قوميته من موقفه ازاء القضية المغربية عموما والمراكشية بالخصوص ، وقد كان لحركتنا الوطنية فضل الاتصال الاول مع الامير ، حتى كان واحدا من رجالنا ، وعمدة من اهم العمد التي تستند اليها في الحصول على تأييد العرب والمسلمين لقضيتنا ،

وبمجرد ما قامت حركة الاحتجاج المراكشية على الظهير البربري ،انتقل الامير رحمه الله الى تطوان واتصل ببعض اخواننا الحاج عبد السلام بنونة والحاج عمر عبد الجليل وعرف معنى السياسة البربرية ووقف على اسرارها ، ثم رجع الى سويسرا حيث اعلنها حربا شعواء على الفرنسيين ، ولم يزل يوالي كتاباته واتصالاته بنا وباقطاب العالم العربي والاسلامي وتعريفنا بهم وتقديمنا اليهم حتى اصبحت حركتنا فى عداد الحركات التي يستند اليها المكافحون فى المشرق والمغرب لحماية التراث العربي الاسلامي والدفاع عن وحدة اراضيه وتحريرها .

وقد اخرج الامير من طنجة ، ومنع من الدخول لمنطقة الحماية الفرنسية فى المغرب الاقصى كما منع من زيارة الجزائر وتونس وفرنسا نفسها منذ ان بدأ يتحدث عن المغاربة ويدافع عن حقوقهم .

وكان الامير رحمه الله كثير الاعجاب بسير حركتنا الوطنية وتنظيمها ، وكان يعلق آمالا كبيرة عليها لاذكاء الروح العربية فى المغرب ، وكانت صلته بي وباصدقائي صلة الاب الحنون بابنائه الابرار ، والاستاذ العظيم بتلامذته الاحرار .

ولا اعتقد انه احب رجالا كمثل ما احب ابناء المغرب ، خاصة الاخوين محمد الفاسي واحمد بلافريج وقد سألته مرة بمحضر الشيخ مصطفى النياتي بجنيف ايهما احب اليه ، فقال لي : كيف يخير المرء بين عينيه الاثنين ، ثم قال لي : ولا بين عينه الثالثة التي هي انت .

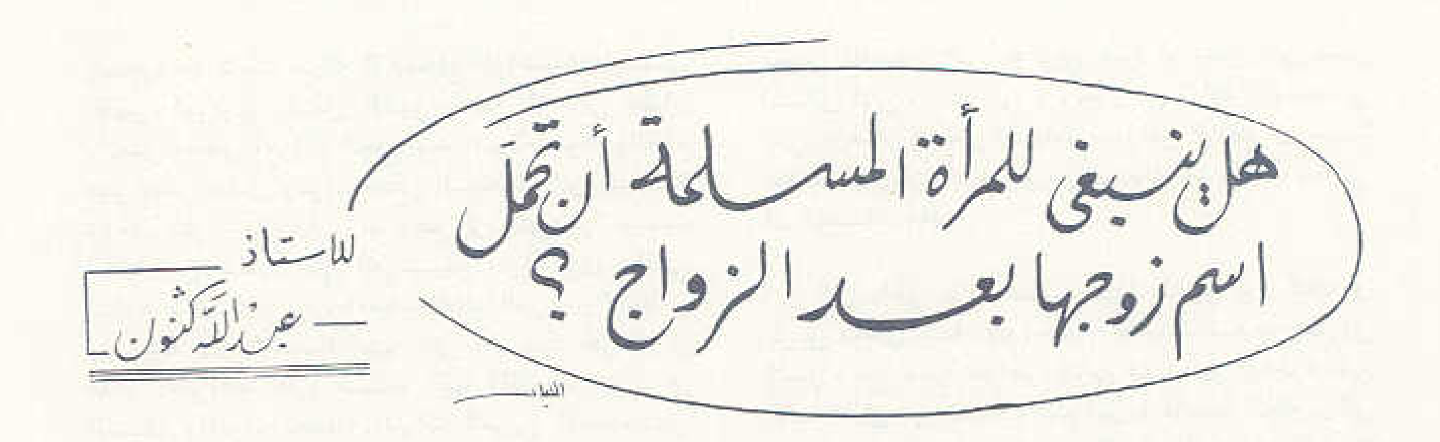
وقلت له مرة : اراك تحب تخليد اصدقائك فى جميع ما تكتبه ، فتنتهز فرصة سؤالنا عن بعض المسائل ثم تأبى الا ان تشيد بذكرنا فيها بكل مناسبة ، فابتسم ، وقال لي هو ذاك ، ثم عاد يبعث لي دائما ببعض الفصول التي يذكرني فيها او ينقل عني بعض المسائل التي وجهها الي ، ويقول لي : انك تتهمني باني اريد ان اسجل اسماءكم ، ولكن الواقع ان ما حكيته او رويته عنك هو من صنع يدك ، وكيف يمكنني ان ابخسك حقك .

كان آخر مرة اتصلت فيها بالامير يوم كنت فى طريق منفاي سنة 1937 ،حيث اجتمعت صدفة وبطريق السر ، مع تاجر جواهر شامي على ظهر الباخرة التي كانت تقلني من مدينة (ليبرفيل) عاصمة الجابون الى مدينة (بورجنتيل) فعرفت الشاب السوري الذي لا اذكر اسمه ، قضية اعتقالي وابعادي ، ورغب مني ان ادله على خدمة يقدمها الي ، فقلت له اكتب الى الامير شكيب رسالة بالنيابة عني اخبره فيها خبر ما رأيته ، واعطيته عنوانه ، وقد علمت بعد رجوعي ان الشاب كتب للامير ، وان شكيبا رحمه الله نشر رسالته واقام الدنيا العربية واقعدها احتجاجا على سوء المعاملة التي ارتكبها الفرنسيون معي .

ولكني بالاسف ، ما عدت من منفاي سنة 1946 ، وبدأت افكر فى الاتصال به من جديد حتى توفاه الله اليه بعد ان اقر عينيه باستقلال سوريا ولبنان وتأسيس الجامعة العربية .

لو عاش شكيب لما اعتبر مهمته قد انتهت بذلك الاستقلال القومي ، ولاستمر فى كفاحه يسند الجامعة العربية وقضاياها والمؤتمر الاسلامي وغايته ، ولن يرضى الا اذا استقلت كل بلدان العرب وبلدان المسلمين واتحدت فيهما القومية العربية الخاصة بالملية الاسلامية العامة .

وتلك هي رسالته للقوميين العرب ، ورسالته للمسلمين جميعا .



. . . .

تحية أخوية خالصة

وبعد ،

كثيرا ما نرى بعض السيدات المسلمات بالمغرب يودعن اسماءهن العائلية بمجرد زواجهن ، حاملات بعد ذلك اسماء ازواجهن العائلية كما هو الشأن عند الغربيين سواء بسواء .

وقد نوقشت هذه القضية – كما هو معلوم – مرات متعددة في جل البلاد الاسلامية وكان من نتيجة هذه المناقشات ان ظهرت عدة نظريات وحلول لهذه البدعة.

وكم ارجو ان تبسط هذه الظاهرة ويتناولها كتاب **(دعوة الحق)** الفقهاء . وخاصة كم ارجو ان يعرض هذا الموضوع على استاذنا العلامة السيد عبد الله كنون ، لما نعهده فيه من حسن تفهم .

هذا ، وفي الانتظار تفضلوا بقبول فائق عبارات التحية والسلام .

طنجة : محمد المنتصر الحداوي

ليس من شك في اننا معشر المغاربة منذ الاستقلال نخوض غمار انقلاب خطير سيكون له اعظم الاثر على كياننا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي . واذا لم نستطع السيطرة على عوامل هذا الانقلاب وتوجيهه التوجيه الصالح ، فسيقودنا لا محالة الى نهاية غير محمودة العقبى ؛ وهذا اقل ما يمكن ان يقال في الانسياق مع مختلف التيارات الاجنبية التي تهز كيان الامة هزا عنيفا كل يوم تطلع فيه الشمس .

ولسنا الآن بصدد الخوض في هذا الموضوع المتعدد الجوانب المختلف المظاهر ، وانما نتناول منه هذه الجزئية الصغيرة التي اشار اليها السيد منتصر الحداوي في رسالته المنشورة اعلاه . والقصة طريفة حقا ؛ وان يكن الكاتب قال : انها نوقشت مرارا في جل البلاد الاسلامية فانا لا اذكر اني اطلعت على شيء مما راج فيها ولا علمت براي لاحد القادة حولها ، ومهما يكن الامر فاني احكم على هذه العادة بالزيف والتزوير ، ولا ارتضيها لمن يحترم نفسه واسرته ويحب ان يكون لامته كيان حضاري متميز تعرف به من بين غيرها من الامم .

اما من اين استمد حكمي هذا ، فمن ثلاثة امور :

اولها – ما تشير اليه الرسالة من ان الباعث على هذه البدعة هو التقليد الاعمى للعادات الغربية ، والتقليد كله مذموم لا من وجهة النظر الدينية فحسب ، ولكن من وجهة النظر الاجتماعية ايضا ، وهي التي تركز عليها الكلام في هذه النقطة . فمما لا خفاء به ان التقليد يدل على عدم الاصالة ، وان المقلد لا يفتا يعلن بفعله فضلا عن قوله انه نسخة من غيره وانه تابع لا متبوع ومصنوع لا

مطبوع ؛ وبقطع النظر عما يكون في المقلد (بالفتح) من عيب ، وفي النسخة من تحريف ، فان مجرد الانسياق في حبل الغير كاف وحده للغض من شأن المقلـــــد والتنقيص من قيمته ؛ فالفرد رجلا كان او امـــرأة اذا انسلخ من شعارات قومه ونبذ تقاليد امته مستبدلا بها شعارات وتقاليد اخرى اجنبية عنه ، انما يبرهن على على انه امعة لا رأي له ؛ وانه بالتالي ينتمي الى شعب بدائي ليـس له عرق في الحضارة ، ولولا ذلك لما تهافت على مواضعات الاجانب وآدابهم الاجتماعية تهافـــت الذباب على الشراب . ومن ثم فان المرأة التي تتخلى عن اسمها العائلي بمجرد الزواج وتحمل اسم زوجها تقليدا للغربيين ، اما ان تكون وضيعة فهي تتستر من وراء زوجها حتى لا تظهر وضاعتها ، واما ان تكون غيـــــر راضيـة عن تقاليد قومها فهي تحتقر امتها وتريد ان تكون هي وقومها ذيلا مهينا للاجنبي الذي قلدته . وفي احســن الاحتمالات يكون فعلها ذلك بغير وعي ولا تفكير، وانما هو اندفاع في التقليد وتمسك بكل جديد ، وهذه هي الامعية التي لا يرضى بها شخص يحترم نفسه .

والغالب ان الزوج هو الحامل لها على ذلك ؛ فعليه اذن اكبر قسط من المسؤولية في هذا التصــــــرف الاناني الذميم .

واحب ان الم الى ان هذا التقليد السهل الرخيص قديم في الناس ، وانه في المسلمين شيوخهم وشبانهم عميق الجذور ، فالشيوخ لا يحلو لهم تقليد السلف الصالح الا في المظاهر التافهة والطاعات اللسانية الخفيفة ذات الثواب الجزيل والتعب القليل ؛ واما الطاعـــــات العملية من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله والعزوف عن المطامع ، فانها قد ضيعت من زمان لثقلها على النفوس ومحافاتها للسلامة ؛ والشبان انما يقلدون الغربيين بحجة التطور والتقدم في ما كان من من قبيل ما نحن بصدده ، من انتحال المرأة لاسم زوجها، ومثله ضم الرجل اسم ابيه الى اسمه وربما اسم امه ايضا ؛ وحذف كلمة ابن التي يثبتها العرب تخفيفـــا لتسبهم ومحافظة عليه ؛ فيختلط من جراء ذلك الاسم البسـيط (محمد بن العربي) مثلا بالاسم المركب (محمد العربي) ومحمد بن الحسن بمحمد الحسن ، ويقــع الذهن في الارتباك وتخالف اصول العرب ، ولكنه ما دام تقليدا غربيا سهلا فهو مقبول لانه دليل على التقـدم الرخيص ! .

قد تكون الاساليب الكلامية في اللغات الاجنبية هي التي تمنع من ذكر كلمة ابن بين اسم الوالد والولد ، ولكن من المحقق انها كانت مستعملة في بعضها ، فهل يكون تكاثر الاولاد غير الشرعيين في المجتمعات الغربية هو الذي رجح حذفها ؟ .. وايا ما كان باعث اصحابنا على هذا (التجديد التقليدي) فان المقاييــس العربية ، لغوية واجتماعية، ما كانت لتقبله قط، وقد واجه العرب شخصية من اعظم شخصياتهم في العصر الامـــوي بالحقيقة المرة عن اصله ، ولم يشفع له نبوغه في الحكم والادارة ان لا يدعوه زياد ابن ابيه ! ..

ومن امثلة التقليد التقدمي عند الشباب قـــص الاظفار طويلة ، وتوفير اللحية على هذا الشكل الدقيق الذي شاع في الايام الاخيرة ؛ ولو اتيت لهؤلاء الشبـــاب بكل ما روي في الآداب الاسلامية عن خصال الفطــــرة ومنها قص الاظفار ، ومما ورد عن النبي الكريـــــم في اللحية ، لما قابلوك الا بالسخرية والاستهزاء ، ولكن لما اصبح الامر تقليدا غربيا سهلا يدل على (روح التطور) المتمكنة في اصحابه ، سارع اليه هؤلاء الشباب بكـــل طواعية واختيار ! ...

اما تقليد الغرب في علمه وصناعته ومغامراتـــه في بحوثه وكشوفه وتضحيته في سبيل حماية الحضارة المسيحية ونشرها في الآفاق ، فهذا امر صعب علـــى شبابنا المتحلل المتفسخ ، الا من رحم ربك وقليل مـــا هــــم ! ...

ولعل مما يوحي الى النساء اللائي اتبعن التقليـــد المتحدث عنه بترجيحه على عادات قومهن ، انه يــدل على عاطفة الحب بين الرجل وامرأته، وان زواجهن مبني على حسن التفاهم ، لا كما كان زواج آبائهن واجدادهن ارتباطا ماديا وزواجا مصلحيا فحسب . ولست ادري الى اي قاعدة ترجع هذه الحركة النسوية التي تتزعمها المرأة الجديدة ؟ فهي بينما تزعم ان الرجال اضطهدوا المرأة وتجاهلوا شخصيتها ، فالواجب عليها ان تثـــور طلبا لمساواة الجنسين في الحقوق ، اذا بها تذوب في الرجل وتلاشي كل ملامحها الشخصية حتى اسمهـــا الخاص، ولكن ما دام ذلك تقليدا غربيا سهلا فهو مقبول لانه دليل على التقدم الرخيص ! ...

وخلاصة القول ان هذه المشكلة ، مشكلة التقليد الاعمى في خطوطها العامة ، هي اساس الخلاف بيننـــا وبين هؤلاء المتزعمين للدعوة الى التحرير واللحاق بركب

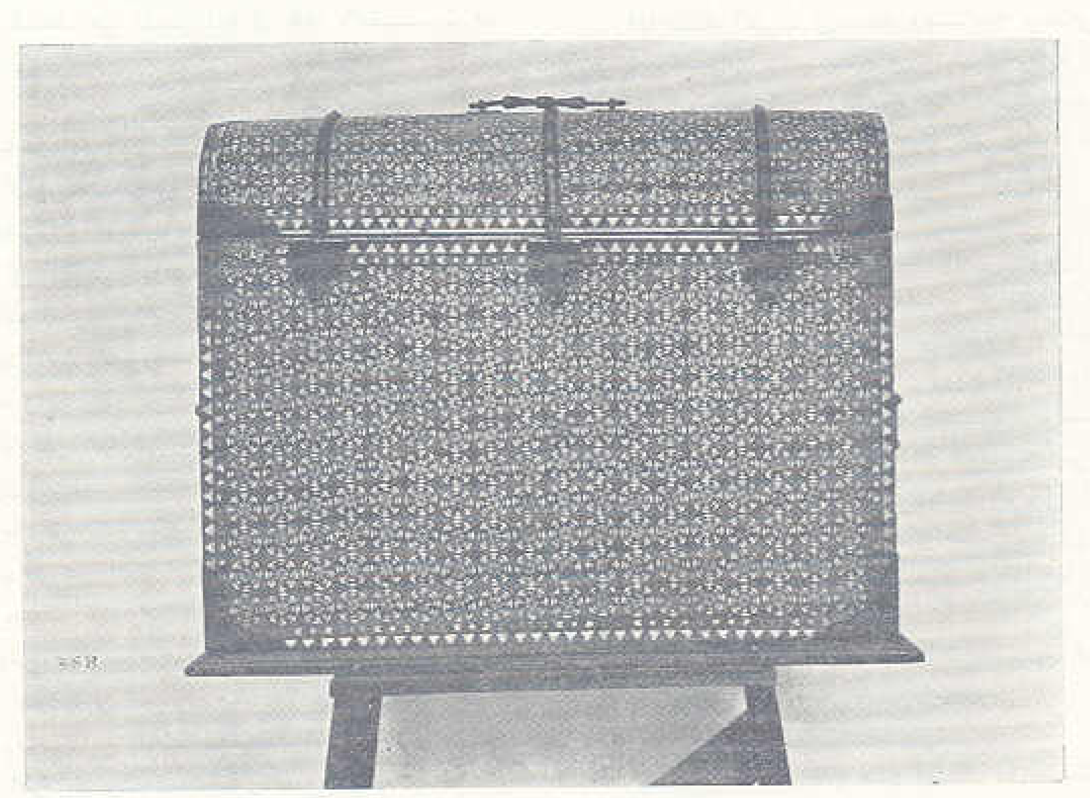
الحضارة الغربية ؛ وما هذه الجزئية التي جرى الكلام فيها الا مظهر صغير من مظاهرها الكبرى التي تتمثل في جميع ميادين النشاط الحيوي للامة .

ثانيها ـ قضية زيد ابن حارثة الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم تبناه فلم يكن يعرف الا بزيد بن محمد حتى نزلت آية « ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله » فنسب من حينئذ الى ابيه . وظاهر انه اذا امتنع هذا في حق سيد المرسلين وخاتم النبيئين ، فلان يمتنع في حق غيره بالاولى والاحرى ... على ان النهي عن ذلك ورد صريحا في الاحاديث النبوية الصحيحة كحديث البخاري : « لا ترغبوا عن آبائكم ، فمن رغب عن ابيه فهو كفر » يعني كفر حق ابيه لا كفر العقيدة ؛ وحديث الصحيحين معا : « من ادعى الى غير ابيه او انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ؛ لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » .

والاحاديث في ذلك كثيرة ويكفي اهل الايمان ما ذكرناه منها .

ثالثها ـ ان المراة بصدد الفراق اما بالموت او الطلاق ثم الزواج بعد ذلك بغير زوجها الاول ، فهي مضطرة الى نبذ اسم الزوج السابق واتخاذ اسم الزوج الجديد ، وهو عمل ان دل على شيء فعلى الزيف والتذبذب ، ولو احتفظت باسمها العائلي اولا لما تعرضت لشيء من هذه الاحوال المضطربة .

وهنا يظهر سمو التقليد الاسلامي في الاحتفاظ للمراة بشخصيتها كاملة وان تزوجت ، وان كان زواجها مبنيا على ما شاءت من العواطف ، لان الاسلام لم ينهها عن هذا الزواج ، بل حض على المودة والتعاطف بين الزوجين ، وامر حتى بعد الفراق بعدم نسيان الفضل والمعاملة الحسنة ؛ الا انه لم يدع الزوجة قط الى التنزل عن شخصيتها والمسامحة في حقوقها ، وذلك هو الاحترام الصحيح للمراة وحفظ كرامتها التي طالما اهدرت على مذبح الاغراض والشهوات ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .



صندوق بديع يرجع الى القرن السادس عشر الميلادي . ويضم مصحفا مهدى من السلطان العثماني بتركيا الى الملك المغربي احمد المنصور

السياسي المسلم

للأستاذ محمد الحمداوي



لو ان (بارتيليمي سانتهيلير) الذي صرح بحق قائلا [1] : « ان السياسة وهي مستغرقة في مشاكل الساعة لا يسعها ان تسمو الى المبادىء ، وان رجل السياسة بما انه يرعى المصالح ، ويخدم الشهوات ، ويسعى للتوفيق بينها — ولو انه قد شارك في امرها — يتزلزل رأيه ، ويعمى بصره ، وتوقعه المنازعات اليومية في الحيرة في ان يقول باي نور سام ينقاد » .

لو ان هذا العلامة الفرنسي — اذ يئس من ان السياسي الراغب في النجاح القريب والمطمع الخاص ، يطابق سلوكه بالمبادىء الاساسية التي قامت عليها دعوته اول الامر — جعل من بعض دراساته السياسية والاخلاقية ، البحث عما يمكن ان يجده من النماذج الحية للسياسة التي تجعل الصلة محكمة بين المبادىء والغايات ، ولا تبالي بعد بالنتائج المحصلة الا اذا كانت وفق تلك المبادىء وضمن حدودها ، لو انه فعل ذلك لوجد في تاريخ « السياسي المسلم » المثل الاعلى للسياسة التي حددت « فكرة » وعملت على ان تبني عليها كيان المجتمع باسره ، ولكان قد اضاف بذلك الى دراساته السياسية والاخلاقية والفلسفية الزاخرة بالعلم وبالفائدة وبالعمق حقا ، شيئا من العلم وشيئا من الفائدة ، غير ان مترجم ارسطو وناقد الفلاسفة ، قد حصر الثقة في العقل البشري المجرد ، وفي المنهج العقلي ، وبالتالي في « السياسي الفيلسوف » فوقع في شيء من التهافت على حين قد وقع في شيء من التحيز القومي ايضا ، فهو بالرغم من انه صرح بان الفيلسوف على استقلاله الشخصي لا يخلص تماما من تاثير القرن الذي يعيش فيه ، وانه عبثا يحاول التجرد ، بما انه دائما يتصل بزمانه ، وان الدولة المثالية التي يرسمها افلاطون يتسنم فيها روح السياسة الاغريقية ، وان حكومة الفرد التي كان يحلم بها (منتسكيو) هي حكومة الفرد الوحيدة المقيدة في كل اوربا ، وان اعمال الفلاسفة مهما يظهر عليها انها شخصية فانها ايضا مظاهر اجتماعية . انه بالرغم من ادراكه لهذه الحقائق واعترافه بها يناقض نفسه ويعلن « ان الاولى باسترعاء النظر من بين جميع الاعمال المختلفة الانواع والتي كلها باعتراف الانسانية بجميلها هي اعمال الفلاسفة فانها قد ساعدت على بلوغ النتيجة العامة » . وهو في الوقت الذي يقرر فيه « ان هدى رجال السياسة ينطفىء نوره غالبا في سجلات التاريخ » « يطالب الفيلسوف السياسي بان يعتمد في تحديده لمبادىء السياسة العليا على السيكولوجيا ويجعل دراسة التاريخ مراقبة لهذه الادراكات السيكولوجية » .

انه اذا كان لابد لنا من ان نعتمد على العقل — بدل الهوى — بما انه القبس الالهي الذي خصصت الحكمة الالهية به انسان هذه الارض من بين سائر المخلوقات ، وكان لابد لنا من ان نجعل على هذا العقل « مراقبة » تقيه التلف في متاهات الشهوات والشبهات ، فان هذه المراقبة لا يحق ابدا ان تكون للتاريخ انها للدين ، الذين

---

1) جميع ما يدور عليه موضوع المقال من كلام (بارتيليمي) هو منقول من مواضع مختلفة ، وببعض التصرف اللفظي ، من مقدمته على كتاب السياسة لارسطو .

الذي جعله خالق الانسان لاعمال الانسان عصمة و «حدودا» يقول « الدوس هكسلي » : « ان العقل الناقد قوة محررة الى حد ما ، غير ان الوسيلة التي بها يصير ذا فائدة تتوقف على الارادة ، وحيثما لا تكون الارادة نزهة وغير متحيزة فان العقل يصبح وسيلة لتحكيم الاهواء والاوهام وتبرير المصالح الخاصة ، وهذا هو السبب الذي من اجله كان اولئك الفلاسفة الاذكياء الذين حرروا انفسهم بكيفية تامة ، من السجن الضيق لعصرهم وبلدهم من القلة بحيث لا يذكرون » (2). والدين بما انه الخاصة الانسانية التي لم يستطع الانسان ان يستغني عنها في اي حقبة من احقاب تاريخه المتعاقب ، فانه هو وحده القوة التي تستطيع ان تمسك بزمام العقل وتربطه برباط الارادة الطيبة التي هي شرط في ان يكون العقل اداة بناء لا اداة هدم، واداة اصلاح لا اداة افساد ; ولقد كان الشاعر الفيلسوف ميخائيل نعيمة من الشعراء المهتدين حين ادرك ما للعقل من قابلية الوقوع في الضلال والحيرة والشك ، وعبر عن هذا المعنى في شعره الرائع من قصيدته « ابتهالات » حين قال :

فاذا ما راح فكري عبثا

في صحاري الشك يستجلي البقاء

سر منهوكا بقلبي فجثا

تائبا يمتص من قلبي الرجاء

اما اذا كانت هناك قيمة يجب ان تعطى للتاريخ ، فهي قيمة العبرة والتأييد والاستشهاد والاستئناس ، لا الاعتماد العلمي ، والمراقبة الاساسية ; ولقد تفطن لهذا المعنى العلامة ابن قيم الجوزية حين قال : « ان الانسان يجب عليه لتتميم سعادته وفلاحه ان يعرف تفاصيل اسباب الشر والخير ويكون له بصيرة في ذلك ما شهده في العالم وما جربه في نفسه وغيره ، ومن انفع ذلك تدبر القرآن ، فانه كفيل بذلك على اكمل الوجوه وفيه اسباب الخير والشر جميعا مفصلة مبينة ; ثم السنة ، فانها شقيقة القرآن وهي الوحي الثاني ، ومن صرف اليهما عنايته اكتفى بهما عن غيرهما ، وهما يريانك الخير والشر واسبابهما حتى تعاين ذلك ، فاذا تأملت اخبار الامم وايام الله في اهل طاعته واهل معصيته طابق ذلك ما علمته من القرءان والسنة ، ثم قال : « فالتاريخ تفصيل لجزئيات ما عرفنا الله ورسوله من الاسباب الكلية للخير وللشر (3) » وهو في كتاب السياسة الشرعية يثبت « ان من له ذوق في الشريعة واطلاع على كمالاتها وانها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ، ومجيئها لغاية العدل الذي يفصل بين الخلائق ، وانه لا عدل فوق عدلها ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح ، وعرف ان السياسة العادلة جزء من اجزائها وفرع من فروعها ، وان من له معرفة بمقاصدها ووضعها مواضعها وحسن فهمه فيها لم يحتج معها الى سياسة غيرها البتة ، فان السياسة نوعان سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها ، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر بعين الشريعة ، علمها من علمها وجهلها من جهلها » .

وفي الدراسات الاجتماعية والسياسية المعاصرة الرامية الى تحديد المثل والاهداف العليا للانسانية نجد ان الكاتب الانجليزي الذكي (الدوس هكسلي) ، الذي ادرك ان الانانية السياسية هي اسباب الفساد في السياسات الحاضرة ، وانه لا سبيل الى الاصلاح الصحيح الا بالرجوع الى الدين الصحيح ، هو الذي ادرك الداء في مكمنه ، والحقيقة في اصلها ، لقد ادرك « هكسلي » عن وعي ان جميع الامثلة التي رسمت في عصره ومن قبل عصره لان تكون المثال المحتذى لعالم افضل ، وحياة مثلى ، غير حرية بان تكون ذلك المقام المطلوب ان تتبوأه الجماعة البشرية فوق هذه الارض ، وهي اسعد ما تكون ، واعدل ما تكون ، واكثر جمعا لعناصر الخير والحب الاخوي ، ذلك ان جميع الهيئات والجمعيات واكثر الفلاسفة والمفكرين الذين رسموا تلك الامثلة وخططوا الطرق الموصلة اليها كانوا عرضة لتاثير البيئات والظروف المحيطة ، كما ان الهوى والتعصب كان الديدن والشيمة المسيطرة على هؤلاء ، وعلى من اطاعهم طاعة عمياء ، واتبعهم تبعية تقليدية جازمة بغير دليل ولا برهان . وبخصوص الخطط السياسية للقرن العشرين ـ القرن الذي سمى العالم السياسي والاقتصادي « جستاف شتلبر » ما بعد سنة 1914 « عصر الخرافة » ، وقال(4) : «ان الجماهير الجاهلة ورجال

---

(2) نقلت هذه الفقرات من الاصل الانجليزي لكتاب « الغايات والوسائل » لهكسلي ، حيث لم يترجمها مترجمه الاستاذ محمد محمود ، اما ما سانقله من كلامه بعد ، فهو منقول من الترجمة العربية للكتاب .

(3) الجواب الكافي .

(4) عصر الخرافة ، تعريب محمد علي ابو درة ص 29 ج 1

العلم والمال والفن والادب كل اولئك استووا فى التملق بخرافاته » ـ بخصوص هذا القرن ، وبخصوص ساسته الذين حملوا علم السياسة زاعمين انهم سائرون بالانسانية الى اهدافها العليا قال (هكسلي) « ان اكثر شعوب العالم اليوم ابعد ما تكون عن المثل العليا والاهتداء بهديها » « انه لا شك ان التقدم العلمي والفني يسير بخطى حثيثة ، ولكن تبادل الحب بين القلوب لا يسير مع هذا التقدم جنبا لجنب ، واذن فليس من وراء التقدم العلمي والفني فائدة بل انه من بواعث التأخر والتدهور فى كرم النفوس وطيب الاخلاق »

« ان الدكتاتوريين الاقتصاديين والسياسيين فى العصر الحاضر يخترعون الاكاذيب بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ وهم يبثون اكثر هذه الاكاذيب فى الدعاية المنظمة التي تنفث الكراهية والغرور فى صدور الناس » .

« ان تبادل الحب لا يمكن ان يتمكن من القلوب الا اذا عاد الناس الى الدين الصحيح والعقيدة فى اله واحد ولكن العامة اليوم تعبد آلهة متعددة ، فهي تعبد الامة ، او تعبد طبقة معينة من الناس ، او تقدس الفرد » .

« ان اهداف الانسانية هي بعينها فى كل زمان ومكان » « وان الذين استطاعوا ان يدركوها حق الادراك وان يخطوا لتنفيذها خططا متشابهة انما هم اولئك الذين حرروا انفسهم من تاثير البيئة والظرف والزمان، ومن دواعي الهوى والتحيز والتعصب ، واولئك ـ كما يقول هكسلي ـ ليسوا الا الانبياء ورجال الدين ومن اتبعهم من بعض الفلاسفة الاحرار .

لم يضع (هكسلي) اذن الثقة فى « السياسي الفيلسوف » بعد ان فقدها من السياسي الاناني المراوغ كما فعل (بارتيليمي سانتهيلر) ولكنه وضعها فى « السياسي المتدين » .

لقد وضع (بارتيليمي سانتهيلر) مقياسا تاريخيا فسيحا وعادلا حقا كما يقول ، يجب ان تؤسس عليه « محكمة قضاء » يمكن ان ترد اليها جميع اعمال الجمعيات القديمة والحديثة وجميع اعمال رجال السياسة والمقننين فى كل الازمان ، وديانة الشرك ، وديانة المسيحية ، هذا المقياس هو « ان كل جمعية ايا كانت صورتها السياسية يجب عليها ان تحترم « حقوق الانسان » وتكفلها بمقدار معرفتها اياها ، تحترمها وتكفلها اولا فى ذاتها ثم فى جميع النتائج المترتبة عليها » وعلى هذا المقياس التاريخي ناقش (بارتيليمي سانتهيلر) اعمال افلاطون وارسطو واعمال من سبقه هو من فلاسفة السياسة ورجالها العمليين ، فاثبت منها ما اثبت ، وزيف منها ما زيف ، غير ان العالم الفرنسي كان ابلغ فى التناقض ، واظهر عرضة لتاثير البيئة والظرف والعرق الدساس ، وابعد عن تحكيم مقياسه التاريخي الذي وضعه لمحاكمة الناس وآراء الناس عند ما حكم ب « ان الجمعية التاسيسية الفرنسية قد فاقت فى عملها جميع من سبقها من الحكماء باعلانها حقوق الانسان » « وان الفلسفة ذاتها لم تكن محيطة بها علما ، وان الديانات الا قدس ما تكون لم تستطع ان توحيها !! » « وانه اذا كان بين الامم الحديثة امة تستحق قصب السبق فهي امتنا ... » حقا ان العلامة والسياسي الفرنسي كان اكثر عرضة لتاثير الوطنية الضيقة وابعد عن الاستجابة لنداء الحق عند ما حكم بان السياسة الفرنسية التي تمثلت صورتها فى الجمعية التاسيسية الفرنسية هي وحدها السياسة التي خرجت بريئة امام محكمة القضاء التاريخية لاعمال الجمعيات السياسية والدينية التي تكفلت بالعمل لخير الانسان وحقوقه .

ولنضع نحن امامنا الان على ضوء هذا المقياس التاريخي الذي وضعه (بارتيليمي سانتهيلر) وحكم به للجمعية الفرنسية ، اعمال الجمعية الاسلامية اي اعمال « السياسي المسلم » لنر الى حد استطاع ان يحرر نفسه ، ويحرر الانسانية ، اي الى اي حد استطاع ان ياخذ بزمام الانسانية للتمكن من حقوقها الطبيعية التي كرمها بها ربها ، وخلقها من اجل التمتع بها .

لقد كان محمد (ص) هو السياسي الاول فى الجمعية الاسلامية ، وبما ان السياسة تعني فى اصدق معناها الاشتقاقي ، قيادة الانسانية الى الخير والصلاح والفلاح والحياة السعيدة ، فقد كان محمد سياسيا مسلما باصدق ما تكون هذه الكلمة ، علما وعملا ، مبدءا وخلقا ، وتحقيقا فى عالم الواقع التاريخي ، وهو (ص) وان لم يكن بدعا من الرسل قبله فى مبادىء هذه السياسة واصولها ، واغراضها وغاياتها ، ـ فجميع رسل الله من قبله كانوا ساسة لاممهم بهذا المعنى الشريف والاقدس للسياسة ، فمحمد (ص) هو القائل « كانت بنو اسرائيل تسوسهم انبياؤهم كلما هلك نبي خلفه نبي » (5) ـ فقد كانت سياسته القرءانية مهيمنة

---

5) البخاري

على كل سياسات الرسل من قبله ، بما انه كان سياسيا ، عالميا ، على حين كان الرسل من قبله ساسة « اميين » « وارسلنا نوحا الى قومه » « والى عاد اخاهم هودا » « والى ثمود اخاهم صالحا » « وما ارسلناك الا كافة للناس » .

ان محمدا كعقل انساني كلف من قبل رب البشرية الى هدايتها الى طريق تمتعها بحقوقها وقيامها بواجباتها ، كان يستمد علمه بقوانين هذه الهداية من السماء ، من الوحي ، ولكي يسلم هذا العلم بشؤون هداية الناس واساليب سياستهم وقيادتهم من الضلالات والانحرافات ، وتاثير الظروف والبيئات ، وكل انواع المؤثرات على العقل وعلى العاطفة ، منع الوحي محمدا ان يصغى لغير نداء هذا العلم الذي هو وحده العلم الحق وغيره الضلال ، والذي هو وحده العلم وغيره الجهل ، ذلك انه وحده العلم الصادر عمن خلق العقل وغير العقل من اشياء يتاثر بها العقل مهما كان مبلغ طبيعته من الاستقلال فى التفكير وفى الادراك وفى الحكم ، ومن ثم جاء الوحي ينهي محمدا ان يتبع اهواء الذين لا يعلمون ، وان يتخذ من ظنون الناس وتخرصاتهم بديلا بعلم الله « قل ان هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير » « وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون» « ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون » . وبما ان علم محمد بقوانين سياسة الناس وهدايتهم الى الخير كان مستمدا من الوحي فقد كان محمد ينطق فى كل شيء بالعلم لا بالهوى ، وتصدر جميع اعماله وسلوكه السياسي فى كل ذلك تبعا لمقتضيات هذا العلم « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » .

وفى هذا جاء حديث عائشة انه (ص) « كان خلقه القرءان » (6) ومن ثم ايضا لم يقل محمد من شيء من العلم بالاشياء انه اوتيه من عنده ، بل كان دائما شعاره « اللهم انك تعلم ولا اعلم ، وتقدر ولا اقدر وانت علام الغيوب » .

ومن ثم ايضا كانت سياسة محمد للناس وقيادتهم سياسة « المبدأ قبل الغاية » لا « الغاية تبرر الوسيلة ومن ثم كانت سياسة محمد لا تحفل بالمنافع الحاضرة ولا تتبع اسلوب الدوران واللف، ومن ثم وقفت سياسة محمد فى الاخذ بزمام الانسانية للتمتع بحقوقها ، وجعل هذه الحقوق محققة الوجود العملي فى كل ميادين الحياة الانسانية ، والحجة ثابتة ، والتاريخ شاهد .

اعتبر (بارتيليمي سانتهلير) ان وثيقة « حقوق الانسان » الفرنسية هي اول صك مكنته الجمعية التاسيسية الفرنسية للانسان ليخوله التمتع بما لم يتمتع به من حقوقه الطبيعية من قبل اعلان هذه الوثيقة ، ولقد غفل (بارتيليمي سانتهيلير) عن ان التاريخ اثبت انه كان هناك من قبل « وثيقة حقوق الانسان الفرنسية » « وثيقة حقوق الانسان القرءانية » فاذا كانت الوثيقة الفرنسية قد اعلنت سنة 1798 فى اول مبادئها الاساسية « ان الناس قد ولدوا احرارا متساوين فى الحقوق » فان الوثيقة القرءانية قد هدمت من قبل ذلك بما يزيد على الف ومائة سنة كل اعتبار للحسب والنسب واللون والطبقة والجنس ، واعلنت فى العبارة القدسية على لسان النبي محمد ، ان الحرية الانسانية والمساواة الانسانية مكفولة لكل من ولد من بني آدم من ذكر وانثى ، وانه لافضل لانسان على انسان الا بالتقوى ، بالعمل الصالح للفرد وللجماعة فى المجتمع الانساني باسره « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولئن كانت الوثيقة الفرنسية قد اعلنت فى مبدئها الثاني « ان الناس يمكنهم ان يفعلوا ما لا يضر بالغير ، ويمكنهم بناء على ذلك ان يفكروا وان يكتبوا وان يطبعوا فى حرية » فان الوثيقة القرءانية قد اعلنت من قبل بمئات السنين ، ان الناس احرار فى ان يفعلوا ما يشاؤون وان يتمتعوا بما خلقهم الله للتمتع به بما يشاؤون ، ما لم يتعدوا حدود شريعة الله ، او يعتدوا بغير حق على حقوق عباده « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » «قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق » « انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق » اما عن حرية القول والكتابة والنشر فان الوثيقة القرءانية تعتبر ان الناس ليسوا

(6) مسلم وابو داوود واحمد

فقط احرارا فى ان يقولوا باللسان او بالقلم ، من حسن القول وطيبه ما يشاؤون ، بل هم فوق ذلك مطالبون بان يعلنوا باللسان او بالقلم ما يرونه كفيلا باصلاح المجتمع بارشاد الضال ، واقامة المعوج ، وارجاع الظالم الى الحق ارجاعا ، « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » « كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » « وقولوا للناس حسنا » « لا خير فى كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس » .

ولئن اعلنت الوثيقة الفرنسية فى مبدئها الاساسي الثالث « ان للمواطنين الذين تتكون منهم الامة الحق المطلق فى ادارتها » فان الوثيقة القرءانية قد اعلنت من قبل ذلك بمئات السنين ؛ ان صاحب الحق فى ادارة شؤون الامة عليه ان يشاورها فى الامر كله ، وان لا يستبد بالامر دونها ، وان الامة لها الحق فى ان تنازعه ، وان توقفه عند حده فيما لم تره من التصرفات يجري على غير ما تقتضيه مصلحتها المرسلة ، ومنفعتها العامة ، « فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر » « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تومنون بالله واليوم الاخر » .

ولئن اعلنت الوثيقة الفرنسية فى مبدئها الاساسي الرابع « انه يجب على الامة صاحبة السلطان ان تضع نصب عينها دائما حقوق الافراد من جهة ، والمصلحة العامة من جهة اخرى » فان الوثيقة القرءانية قد كفلت كل حقوق الافراد والجماعات ، واوصت بالمحافظة عليها ، والضرب على يد من يريد الاساءة اليها والتعدي عليها ، « ان الله يامر بالعدل والاحسان » « ان الله يامركم ان تودوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض » بل ان الوثيقة القرءانية فوق ذلك قد اوجبت القتال فى سبيل الدفاع عن حقوق المستضعفين فى الارض « وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا » لقد كفلت الوثيقة القرءانية للانسان كل حقوقه بالجملة وبالتفصيل وهدته الى مثله العليا، والى السبل التي حققت له بالفعل هذه المثل ، وجعلتها حية تمشي على الارض فى شخص رجل الدولة ، وفى شخص رجل الشارع معا .

اعترف (بارتيليمي سانتهيلير) ان رجل السياسة الفرنسي اضطره التطبيق العملي ، ومراعاة العواطف والميول والاغراض فى الميدان السياسي ، الى نسيان المبادىء التي اعلنتها الوثيقة الفرنسية ولقدزعم زاعم (7) « ان النبي لما صار رئيسا سياسيا تغير عما كان عليه لما كان لا يزال طامحا فى الرئاسة ، وان الحكومة التيوقراطية من حيث السياسة الفعلية تغيرت عنها لما كانت فكرة ، وعلى هذا صار الطابع السياسي يزداد بروزا والطابع الديني يزداد تراجعا » .

غير ان تاريخ الرسول وتاريخ رجال السياسة الاسلامية من بعد الرسول ، يدل دلالة قاطعة على ان هذا الزاعم لم يعتمد فى دعواه على حجة علمية بالغة ، وسند تاريخ قوي .

كان محمد فى اول قيامه بالدعوة الاسلامية النبي المسلم ، والرسول المكافح فى سبيل نشر المبادىء الاسلامية ومثلها العليا ، وتركيزها وغرسها فى نفوس الناس ،وعند ما اصبح نبي الله ، نبيا سياسيا كرجل للدولة وكقائد مظفر ، فهل فتنته نعمة الحكم عن الذي اوحي اليه ؟ هل اخرجته عن مبادئه التي كان يكافح من اجلها من قبل ان يكون حاكما ؟ هل اصبح بعد الحكم القائد الصلف ، والحاكم المستعلي ، والسياسي المداور ؟ هل استغل او انتهز او تكبر وتجبر ؟ هناك الامثلة الرائعة تحتويها شمائل الرسول محمد ، وهي حجة قاطعة على ان رجل الدولة فى الجماعة الاسلامية ، ظل بعد الحكم نبيا ، كما كان قبل الحكم نبيا ، وظل بعد الحكم انسانا ، كما كان قبل الحكم « انسانا » وظلت جملة « انما انا بشر » تتصدر كل كلماته الشريفة التي يلقيها على الناس فى الحياة وشؤون الحياة .

---

(7) يوليوس فلهوزن فى كتابه تاريخ الدولة العربية ، ترجمة الاستاذ محمد عبد الهادي ابو زيدة .

انصتوا – ان شئتم – الى هذا المثل الرائع الذي يدل دلالة قاطعة على ان مثل السياسة العليا للديموقراطية الاسلامية – التي قررت الاعتراف بحق المطالبة بالحقوق من اي من كان مهما علت منزلته فى الجماعة ، وواجب اعطاء الحقوق لاي من كان مهما نزلت منزلته فى الجماعة – ظلت تحتل مكانها فى نفس النبي محمد وهو القائد المظفر كما كانت تحتل مكانتها فى نفسه وهو الرجل الضعيف يكافح مع زمرة قليلة من المستضعفين فى الارض يخافون ان يتخطفهم الناس ، كان الرسول وهو يقوم بوظيفة القائد العسكري فى احدى غزواته يسوي الصفوف ، فانحرف جندي عن الصف فطعنه رسول الله (ص) بقدح كان فى يده يعدل به القوم آمرا له ان يقف مستويا فى الصف فقال الجندي الصغير للقائد الاعلى : يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فاقدني . فهل تغطرس محمد او تجبر او اخذته عزة القائد العسكري فقدم جنديه للمحاكمة العسكرية بتهمة اساءة الادب ومخالفة الاوامر ، كلا ، بل كشف عن بطنه قائلا للجندي البسيط استقد ، وهنا سرت الاحاسات الشريفة بالديموقراطية وبالحق وبالتسامح وبالحب من نفس الرسول القائد الى نفس الجندي المأمور فقبل بطن قائده بعد ان اعطاه الحق فى طعنه بالقصاص العادل . وهذا مثل آخر من الامثال العديدة على ان الرسول (ص) لم يتزحزح عن مقتضيات المبادىء الاسلامية التي قامت عليها دعوته الاولى ، ولم يستعمل اسلوب الاصولية والانتفاع الخاص مما شاع اليوم فى اخلاق ساسة الدنيا وقادتها . انتصر محمد فى احدى غزواته فغنم غنائم من الخدم والمتاع ما جعل بنته فاطمة تتشوف الى نيل بعض ما يخفف عنها آلام الحياة وصعوبة العيش ، وشدة ما تقاسي من تعب الخدمة البيتية وذهبت الى ابيها المنتصر الغانم تطلب اليه ان يمنحها خادما يخفف عنها ما تلقاه من آلام الطحن فى الرحى فلقنها محمد كلمات من الذكر ضبط بها نفسها ، واوقفها عند حدود العفة ، وعرفها انها مخطئة فى اعتبار الغنائم غنائم ابيها ، انها غنائم الامة وان الاحق بها هم مساكين الامة وضعفاؤها وارامليها قائلا « والله لا اعطيك وادع اهل الصفة تطوي بطونهم من الجوع ، ولكن ابيعهم وانفق عليهم » (8) .

اسس محمد للجماعة الاسلامية قواعدها وثبت اركانها ، وبنى اسس الحياة الانسانية فيها على قاعدة، العبودية لله ، والاخوة للانسان ، والكرامة للتقوى ، والكلمة للعدل ، ثم خير فاختار ، اختار الرفيق الاعلى، وانتقل الى رحمة ربه راضيا مرضيا، وخلفه فى سياسة الجماعة الاسلامية من بعده ابو بكر بن ابي قحافة فكان سلوكه السياسي فى القوم سلوك صاحبه لا يحيد ولا يند ، وبنى القاعدة الاساسية لخلافته على اساس انه مطلق « انسان » كلف بواجب من الامر : فلا استئثار ولا استبداد، ولا تحكم ولا استغلال، انه ليس الا فردا من الجماعة ، فاذا كلفته الجماعة بواجب القيام بشؤونها ، فعلى الجماعة ان تقوم بواجبها فى النصح والتسديد والتصويب ورده الى جادة الحق اذا هو خرج عنها ، اليس هو القائل فى اول كلمة فى القوم « اما بعد فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان رايتموني على حق فاعينوني ، وان رايتموني على باطل فسددوني ، اطيعوني ما اطعت الله فيكم ، فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، الا ان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له الحق ، واضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق » .

ومن بعد ابي بكر جاء الخليفة عمر ، ذلك السياسي «العبقري» (9) المسلم الذي جعلته مبادؤه الاسلامية يحس بعناصر الحرية تحيى فى نفسه كانسان ، فادرك بوعيه الاسلامي انها فى نفس الآخرين كذلك ، وبذلك كان مضرب الامثال فى تمكين الضعفاء المحكومين ، من اخذ حقوقهم من الحكام الاقوياء ، عمر الذي هتك ستر « البرستيج » القيصري والكسروي فى الحكومة الاسلامية واوقف العمال ابناء الاكرمين امامه تصفعهم اكف المواطنين المظلومين بالقصاص العدل قائلا للاولين كلمته الخالدة فى سجل « حقوق الانسان » فى تاريخ السياسة الاسلامية « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا » .

ان الامثلة كثيرة وغزيرة فى تاريخ السياسة الاسلامية وهي كلها تشهد على ان هذه السياسة كانت سياسة المبادىء لا الاشخاص ، فعندما اشيع فى غزوة احد ان رسول الله (ص) قد مات خشى الناس ان يكون

---

(8) من حديث البخاري واحمد .

(9) اطلق المحب الطبري كلمة « عبقري » على عمر (ض) .

تشخص الرسول قد فقد فنزل القرءان . وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » .

ان « السياسي المسلم » كانت قاعدته في السلوك السياسي « المبدا قبل الغاية » لا « الغاية تبرر الوسيلة » كان يزن سلوكه السياسي بمبدئه فيضع هذا في كفة وذاك في كفة اخرى ، فان تعادلا فذاك ، والا فما كان لينقص من مبدئه ليخف ، وتصير المبادىء العليا لاقيمة لها في واقع الحياة .

وبعد فان اي سياسة لا تقوم على هذا الاساس « المبدا قبل الغاية » سواء في ذلك سياسة الهيئات والاحزاب ، او سياسة الحكومات والامم ، فهي سياسة معرضة الى الانزلاق ، ومحكوم عليها بالفشل قطعا ، وان كانت هناك كلمة معاصرة هي اصدق وصفا للهيئات حين تنحرف عن خطتها الاصلية فهي تلك الكلمة التي وصف بها المفكر المسلم الاستاذ مالك بن النبي ، جمعية العلماء الجزائريين حين زجت بنفسها في مهاوي السياسة الوضعية قال (10) « ان الحكمة قد تركت مكانها للانتهازية السياسية ... » « وانقلبت الحركة الاصلاحية على عقبها ، واصبحت تمشي على قمة راسها ، وما كان الامر خاصا بالجزائر، بل كان العالم الاسلامي مصابا بمثل ما اصاب الجزائر ، فقد نشأت فيه التيارات الحزبية وانعكست فيه روح السمو ، وقوة الصعود ، الى عاطفة سفلية وجاذبية سفلية » .

---

(10) في كتابه شروط النهضة ص 26 ، 27 ـ الترجمة العربية .



باب الملاح ـ تطوان ـ
رسم مائي للفنان المغربي محمد السرغيني

إحذروا رواسب الثقافة الخرافية

للأستاذ محمد الطنجي

إننا نعيش الان في عصر العلم والثقافة ونود من صميم فؤادنا ان تتوحد هذه الثقافة العامة لتتقارب الافكار ولا يبقى بين خواص المفكرين في الامة الا الاختلاف في نواحي الاختصاص العلمي الذي لا اثر له في اتجاه الامة العام

ومن اسباب الاختلاف التي ينبغي اجتنابها رواسب الثقافة الخرافية التي ملأ القصاص والوعاظ الخرافيون كتب الاخبار بها من قصص الانبياء والامم السابقين ، ولا يزال بعض هذه المعلومات الخاطئة يلقيه بعض الوعاظ الذين يفسرون القرءان او يلقون احاديث نبوية غير متحرين في صحتها ، والكل ممزوج بالاسرائليات واخبار مبدأ الخليقة والمبالغات في اخبار الفتوحات والكرامات المنسوبة لبعض الاشخاص التي تفوق معجزات الرسل

وقد كانت لعلماء المسلمين والحفاظ المطلعين جولات صادقة في تنفير المسلمين من هذا النوع من القصص والوعاظ والاخبار ، ولكن ذلك التنفير لم يكن نتيجته الحاسمة في صرف المسلمين عن هذا الاتجاه لان النفوس مولعة بالاخبار الغريبة وخصوصا نفوس العوام ، وذلك مما دفع بعض القصاص والوعاظ الذين لا ضمير لهم الى اختراع اخبار وافتراء احاديث على الرسول راجت في هذه الميادين رواجا عظيما ، وهذا يدفعنا لاعطاء فكرة عن القصاص والوعظ لانهم ليسوا في درجة واحدة ، بل منهم ائمة عظام في الدين ، ومنهم كذابون مستغلون دعاة للنزعات السياسية والدينية

وقد استحدث هذا النوع من القصص بتشجيع الامويين ، ففي كتاب الشهاب الراصد ، ان اول قاص في تاريخ الادب العربي عبيد بن شرية الجرهمي العالم بالانساب والاخبار ، وكان من المخضرمين ، استحضره معاوية بن ابي سفيان الخليفة الاموي الاول من صنعاء اليمن ، فسأله معاوية عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم وسبب تبلبل الالسنة وافتراق الناس في البلاد ونحو ذلك ، فلما اجابه امر معاوية أن تدون اقواله وتنسب اليه .

وهكذا تابع الامويون خطة معاوية ، فذكر المقدسي في الآداب الشرعية ان الامام احمد روى عن غضيف بن الحارث قال بعث الي عبد الملك بن مروان قال : ابا اسماء انا جمعنا الناس على امرين قال وما هما ؟ قال رفع الايدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر ، قال اما انهما افضل بدعتكم ولست بمجيبكم الى شيء منها ، قال لم ؟ قال لان النبي ص قال ما احدث قوم بدعة الا رفع من السنة مثلها ، فتمسك بسنة خير من احداث بدعة .

ثم تطور الوعظ الى جد حيث خاض ميدانه علماء معروفون بالجد وصدق العزيمة والنصيحة للمسلمين مهما كلفهم الامر فقص بمكة عبيد بن عمر الليثي وابو بكر الهذلي وقص بالمدينة مسلم بن جندب

وبلغ الوعظ والنصيحة درجة الكمال بالحسن البصري بالبصرة ومن قاربه كابن ذؤيب والشعبي وامثالهما ، ولما ازدهرت المدنية الاسلامية في القرن الثالث ايام العباسيين حصل فتور عام عن هذا النوع من الوعظ والقصص والاخبار لان العصر عصر علم ، ولكن بقي اثاره وكثير من المنتحلين له من ضعفاء العلم يستغلون العوام الا في الاقل النادر حيث ينبغ بعض الافراد في العلم مع الدين المتين فيحيون سننا كثيرة ويميتون بدعا منتشرة ، وقد عاب الحافظ ابو محمد ابن حزم في كتابه « الملل والنحل » طائفتين اضرتا بالدين وجرتا وبالا على المسلمين ، الطائفة الاولى من درسوا علوم الحساب والهياة والطبيعيات وعوارض الجو واراء الفلاسفة في الدين ، وحملوا كل كلامهم العلمي والظني والخيالي محملا واحدا وقبلوه قبولا مستويا دون ان يفرقوا بين المسائل التي قامت عليها الحجج البرهانية كعلم الهياة والحساب ، وبين

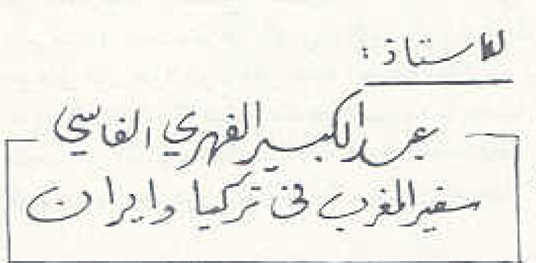
المسائل الروحية التي يتكلمون فيها عن حدس وتخمين دون علم ويقين ، وقد وجدت هذه الطائفة الجو خاليا من المعارضة بالحجج الصحيحة فاقامت على شلالها واغرقت في استهتارها بالدين والقيم الروحية يقول ابن حزم في حال هؤلاء ولم تلق هذه الطائفة المذكورة من حملة الدين الا اقواما لا عناية عندهم بشيء مما قدمنا ، وانما عنيت من الشريعة بأحد ثلاثة اوجه اما بالفاظ ينقلون ظاهرها ولا يعرفون معانيها ولا يهتمون بفهمها .

واما بمسائل من الاحكام لا يشتغلون بدلائلها ومبعثها وانما حسبهم منها ما اقاموا به جاههم وحالهم

واما بخرافات منقولة عن كل ضعيف وكذاب وساقط لم يهتبلوا بمعرفة صحيح منها من سقيم ولا مرسل من مسند ولا ما نقل عن النبي ص مما نقل عن كعب الاحبار او وهب بن منبه عن اهل الكتاب ، فنظرت الطائفة الاولى من هذه الاخيرة بعين الاستهجان والاحتقار والاستجهال فتمكن الشيطان منهم وحل فيهم حيث أحب ، فهلكوا وضلوا واعتقدوا ان دين الله لا يصح منه شيء ، ولا يقوم عليه دليل ، فاعتقد اكثرهم الالحاد والتعطيل ، وسلك بعضهم طريق الاستخفاف والاهمال ، واطراح ثقل الشرائع واستعمال الفرائض والعبادات ، وآثروا الراحات وركوب اللذات من أنواع الفواحش المحرمات ، من الخمور والزنى واللواطة والبغاء وترك الصلوات والصيام والزكاة والحج والغسل ، وقصدوا كسب المال كيف تيسر ، وظلم العباد واستعمال الاهزال وترك الجد والتحقيق الى ان يقول في شان القصاص الذين اذوا الاسلام والمسلمين : واما الطائفة الثانية فهم قوم ابتدؤا الطلب لحديث النبي ص فلم يزيدوا على طلب علو الاسناد وجمع الغرائب دون ان يهتموا بشيء مما كتبوا او يعملوا به وانما تحملوه حملا لا يزيدون على قراءته دون تدبر معانيه، ودون ان يعلموا انهم المخاطبون به ، وانه لم يات هملا ، ولا قاله رسول الله ص عبثا ، بل امرنا بالتفقه فيه والعمل به ، بل اكثر هذه الطائفة لا يعمل عندهم الا ما جاء من طريق مقاتل ابن سليمان والضحاك بن مزاحم وتفسير الكلبي وتلك الطبقة ، وكتب البدء (ي بدا الخليقة) التي انما هي خرافات وموضوعات واكذوبات مفتعلات ولدها الزنادقة تدليسا على الاسلام وأهله ، فاطلقت هذه الطائفة كل اختلاط لا يصح من ان الارض على حوت والحوت على قرن ثور ، والثور على الصخرة ، والصخرة على عاتق ملك ، والملك على الظلمة ، والظلمة على ما لا يعلمه الا الاله عز وجل ، وهذا يوجب ان العالم غير متناه » وبالغ ابن حزم فقال ، وهذا هو الكفر بعينه انتهى ، فقد حكم هذا الحافظ الفذ على هذه الاشياء بانها خرافات ، وان كانت هذه الخرافات مع الاسف لا زالت تعشش في ادمغة بعض العوام بواسطة بعض المغفلين من الوعاظ ، وهذا ما جعل ابن عقيل في الفنون يقول : لا يصلح للكلام على العوام ملحد ولا ابله وكلاهما يفسد ما يحصل لهم من الايمان ، وقال المرء مخبوء تحت لسانه ولا بد ان ينكشف قصده من صفحات وجهه وقلبه ولسانه ، وقال ما اخوفني على من كانت الدنيا اكبر همه ان تكون غاية حظه) واذا نظرنا الى استهتار بعض الشباب بالفروض والاوامر الدينية والى الانحلال الاجتماعي الذي يشكو منه كثير من المفكرين المتدينين ، ونظرنا من جهة اخرى الى تمسك بعض المتعاطين للوعظ بالتساهل في المرويات وجلب اخبار الخليقة وكثير من الاسرائليات والاخبار التي لا تصح علميا وتاريخيا في مجتمعنا نجده قوي التشابه بعصر ابن حزم ابان ازدهار واختلاط العلوم الفلسفية والدينية والقصصية والخرافية ، وانها تحتاج الى تطهير وميز النافع من الضار فيها ، فما اشبه الليلة بالبارحة والتاريخ يعيد نفسه كما يقولون وكان من واجب علماء الدين المتيقظين ان يؤدوا زكاة علمهم الصحيح بملء الفراغ في ميدان الارشاد الاسلامي الذي يحس به كل منصف في مغربنا ، حتى يحتفظ المجتمع بقيمه الروحية ولكن القائمين بهذا الواجب قليلون ، والاكثرون استطابوا الراحة والتمتع بالرواتب المرتفعة في عهد الاستقلال ، فتعلل القضاة ببحث القضايا المعروضة على المحاكم ، والاداريون وممثلو السلطة العلماء بالاشغال الادارية ، والاساتذة بكثرة الدروس والمراجعة ، والله يهدي من شاء الى صراط مستقيم ، وربك يعلم ما تكن صدوركم وما يعلنون .

أبحاث ومقالات





لكل امة في عهد من عهود تاريخها ادب خاص ليس هو الادب الذي تخلقه الحياة العادية للامة ، ايام تكون اوضاعها مستقرة وايام يكون اهلها راضين بماهم فيه من الوان العيش ، نعيمها وبؤسها ، سرائها وضرائها، مما جاءت به طبيعة الحياة ولم يكن ناتجا عن عوارض خارجية من فتح او غزو او من غير ذلك .

اما هذا الادب الخاص فهو وليد ظروف قد يقصر امدها كما انه قد يطول ، وهذه الظروف قد تكون مثلا لفترة غزو اجنبي يفضي اولا يفضي الى احتلال قد يطول امده او لا يطول ، وكل احتلال من شانه ان يقلب الاوضاع في الامة المفتوحة ، بعض الاوضاع او جميعها ، وكلما انقلبت الاوضاع في امة فقدت التوازن وسادتها بلبلة في المعتقدات والقيم والاخلاق والآراء .

كما ان الغزو قد يكون مجرد غزو فكري عندما تلتقي حضارتان ان لم تتغلب احداهما وهي الطارئة — على الاخرى — وهي الاصلية في البلاد — فقد يقع بينهما صراع قوي ومرير تكون منه ماساة يحياها كل فرد ، ولكن رجال الفكر وقادته يتاثرون بها اكثر من غيرهم لانهم مهياون للتفكير ، مهياون لمقابلة الاشياء بعضها ومقارنة الاحوال بضدها ، لا مندوحة لهم عن ذلك بحكم تكوينهم ومقدراتهم ومكانتهم في المجتمع ، فهم بذلك من المعذبين في الارض ، ارض آبائهم واجدادهم التي داهمها فاتح برهط جديد من الحياة ورهط جديد من الحضارة ، يوشك ان يقلب الاوضاع، كبير الشان منها وحقيره .

وهذا الصراع وتلك البلبلة ، وهما نتيجة حتمية لكل غزو وفتح ولكل اصطدام لحضارتين — يظهران في الادب الذي كان ولا يزال مرءاة تنعكس عليها ما في النفوس والعقول من انواع الاحاسيس والوجدانات وما يسود النفوس من ايمان واطمئنان او حيرة وشك ويأس وما تقوم عليه اخلاق كل امة من استقامة او زيغ وانحراف .

وليس الادب غير ذلك كلما جاء عفوا وكلما كان غير موجه ، وما زاد على ذلك فانما هو من براعة الفنانين من الكتاب والشعراء في التصوير والتعبير والاداء .

وهذا الادب الناشيء عن التقاء حضارتين والذي يمتاز بالحيرة والبلبلة ويعبر عنهما ، هو ما قصدنا اليه بالعنوان اعلاه ، ويمكن التدليل عليه بامثلة تاريخية كثيرة تؤخذ من اصطدام الحضارتين الرومانية واليونانية والتقاء حضارة اليونان بحضارة فارس عند ما فتح الاسكندر المقدوني البلاد الشرقية وبث فيها مظاهر الحضارة اليونانية الراقية . ويمكن ان يمثل لذلك بما وقع لفارس من تدهور وبلبلة بعد الفتح العربي الاسلامي واصطدام تعاليم المزدكية بتعاليم الاسلام والذي نتج عنه هذا النوع من مفاهيم الاسلام وعقيدته ، الذي ظهر بمظهر التشيع لعلي وبنيه ، وكأنه رد فعل لما كان للاسلام من وقع في نفوس الايرانيين .

ويغلب على الظن ان برابرة افريقيا الشمالية وقع لهم مثل ذلك عندما صادمتهم الحضارة الرومانية وعندما دخلت المسيحية لهذه البلاد . واحسن مثال ذلك ما تلمسه من تنازع نفساني في احسن انتاج فكري في تلك العهود وهو انتاج القديس « سان اكوستان » البربري الاصل المسيحي العقيدة . ويمكن ان يقال مثل ذلك في حق غيره من البرابرة بعدما اكرمهم الله بالعقيدة الاسلامية لانها تصادمت في نفوسهم مع ما كانوا عليه من معتقدات .

كما يغلب على الظن ان اكثر آداب الامم الشرقية كان ذلك شانها بعد ما داهمها الفتح الاجنبي الـــذي تقمص في الاستعمار الاروبي الحديث وجثم علـــى صدور اهلها وخصوصا رجال الادب وحملة الاقـلام وقادة الفكر فيها .

واذا كانت هذه الحيرة وتلك البلبلة نتيجة للغزو الاجنبي فانها في الواقع ليست الا عبارة عن المأســاة التي يعيشها الفرد وعلى الاخص الاديب في محاولتــه التوفيق بين رصيد حضارته الاصلية في نفســه وبين ما يرد على هذه النفس من شؤون الحضارة الداخيلـة التي تريد أن تقتحمها وتريد ان « تذلها في قعر بيتها » وتمتلك عليها جميع وسائلها في التفكير والتعبير عـن الحياة وتفرض عليها قيما قد لا تتلاءم وما عاشت عليه من قيم ، وتعمل جادة على ذلك حتى تمحو جميــع معالم الحضارة القديمة الروحية والمادية وحتى يكون الحكم في النهاية للغالب لمجرد كونه غالبا اذ بغير ذلك لا تتم له الغلبة .

فاذا كانت هذه النفوس التي تواجه الغزو والفتح ضعيفة واهية فانها تزيد ضعفا ولا تثبت في ميدان هذه المغالبة ، ثم انها تهين وتزيد هونا حتى يتقلص ظلها ، وعند ذلك تغلب على امرها فتضمحل وتفنى بالاندماج في عالم الحضارة الطارئة عليها .

وقد تكون الغلبة لتلك النفوس اذا تظافــرت عوامل شتى منها ان الحضارة الطارئة ليست لها من القوة الروحية ما يجعلها اسمى من حضارة الامـــة المفتوحة .

ولهذا الرهط من الادب امثلة حية كثيرة لا زلنا نعيشها واقربها الينا الادب الجزائري المعاصر الذي عبر عنه اصحابه بلسان غير لسانهم بل هو لسان الامة التي غزت البلاد من غير ان يكون في وسعها ان تغـزو القلوب والنفوس ، وذلك هو سر الثورة العارمة التي تعيشها الجزائر والتي ستفضي الى تحريرها طـال الزمن او قصر ، وانما هي الاحداث لابد لها من استيفاء ما كتب لها من آجال !

ولسنا الان بصدد التحدث عن الادب الجزائري لان مواده لم تكتمل لدينا بعد ، على ان كثيرا من قراء « دعوة الحق » لم يفتهم الاستماع الى محاضـرات الاستاذ عمروش الكاتب الجزائري التي القاها اخيـرا بالمغرب ولها مساس بالموضوع ، والكاتب نفسه مثال حي « للاديب الحائر » اخبث حيرة عرفها الادباء الذين تولدوا عن فتح وغزو ونظيره من بين الجزائريـين كثير .

وهناك مثل آخر لهذا الرهط من الادب ـ أدب الحيرة والارتباك والبلبلة ـ في تلك المحاولات التي قام بها الاستاذ الشرايبي في كتابه الاول والثاني ، وفيهـا وصف دقيق لنفسية الافارقة المعاصرين ما بين مغاربة وجزائريـين اختلط لديهم الحابـل بالنابل عندمـا تصادمت في نفوسهم حضارتهم الاولى مع الحضـــارة الطارئة التي اقبلوا عليها واقبلت عليهم من غيـــر استئذان فاصبحوا ضحايا صراع بين ماض لا زال حيا في نفوسهم وفي وسطهم الذي وجدوا فيه ، وبيـــن حاضر ليسوا مهيئين لقبول جميع ما فيه ، ولانهم لا يحسنون الاختيار ، ولان الاختيار عملية شاقة وموطن من مواطن الزلق يوشك من حام حول حماه ان يقع في هوة الاضمحلال وفناء الذات . فهم ضحايا تتـنازع عوامل مختلفة راسبة في اعماق النفوس وطارئـــة تهاجمهم وتريد ان تقتلع ما كان قبلها من تراث روحي ونفساني كونته القرون في نفوس اجيال متعاقبة وليس من اليسير اقتلاعه لغرس غيره في منابته .

وسنترك الحديث عن ذلك كله في هذه العجالـة التي نريد ان نخصصها لهذا النوع من الادب ، ولكن من الادب الايراني الذي يتجلى في انتاج بعض الكتـاب والادباء الذين اخذوا من الشهرة بفضل نزعتهم التي تمت الى ما ذهبنا اليه اعلاه بشتى الصلات ـ ماخذا اصبحوا معه من الادباء المرموقين خارج بلادهـــم وترجمت كتبهم او بعضها ـ ان لم يؤلفوها بلغـــة اجنبية ـ الى شتى اللغات العالمية .

واخترنا لهذه الدراسة كاتبين بل كاتبة وكاتبا وهما السيدة آمنة بكروان وصادق هدايت وكلاهما دخلا في التاريخ قبل ان يخرجا من هذه الحياة التـي كان لهما منها ما لم يشاءا اكثر مما شاءا

للموضوع صلة



وردت هذه الكلمة في الشعر الجاهلي بمعنى المجالس ففي شعر زهير نجد هذا البيت :

وفيهم مقامات حسان وجوههم
وأندية ينتابها القول والفعل

ثم وردت في نصوص اخرى اسلامية بهذا المعنى او الوقفات التي يقفها الوعاظ والزهاد بين يدي الملوك والولاة ففي كتاب (عيون الاخبار) لابن قتيبة المتوفى سنة 276 نجد فصلا بهذا العنوان (مقامات الزهاد عند الخلفاء والملوك) وفيه ياتي بكثير من مجالسهم ووقفاتهم

كما نجد من بين رسائل البلغاء – التي جمعها كرد علي – رسالة لابراهيم بن المدبر المتوفى حوالي سنة 270 يقول فيها : (انظر في كتب المقامات والخطب ومحاورات العرب) . ويظهر من هذا انه قصد بالمقامات ما قصده بها معاصره ابن قتيبة . على انه مما تجب ملاحظته في هذا النص ان كتبا بعينها كانت قد الفت في المقامات . فهو يقول : « انظر في كتب المقامات » ... ولكننا حتى الآن لا نعرف منها ما أشار اليه ابن المدبر في القرن الثالث . وهي بهذا العنوان ...

اما مدلول المقامات فلم يكن محدودا . ومن تلك التي الفها بديع الزمان الهمذاني في القرن الرابع ما نجدها في ذلك تتصل تمام الاتصال بالاحاديث التي اخترعها ابو بكر بن دريد المتوفى سنة 321 ...

وقد تنبه الاقدمون الى هذا فقال الحصري في (زهر الآداب) عن الهمذاني : (لما راى ابا بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي اغرب باربعين حديثا وذكر انه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبها من معادن فكره وابداها للابصار والبصائر واهداها للافكار والضمائر في معارض عجمية والفاظ حوشية .. عارضها باربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفا .

هكذا يقول الحصري . ولكن اين تلك الاحاديث ؟ ؟
اننا نجدها مبثوثة في كتاب الامالي لتلميذه القالي المتوفى بقرطبة سنة 256 ...

ففي هذا الكتاب نجده قد ساق 28 حديثا منسوبا اليه بهذا الاسم الى جانب احاديث اخرى رواها عنه..

ولكننا بالرغم من أن تلك الاحاديث يبدو عليها طابع الاختراع فاننا لا نجزم بكونها المقصودة في (زهر الآداب) ذلك أن ابن دريد فيها يسندها لاولئك الذين رواها عنهم باعيانهم المعروفة مع ان الحصري نص على ان ابن دريد ذكر انه استنبطها من ينابيع صدره واستنخبهامن معادن فكره ...

فهل ما نص عليه الحصري صحيح نسبته الى ابن دريد ؟ وان صح فهل تلك الروايات انما كانت من زيادات القالي – الذي اضطر اليها وهو بقرطبة الحريصة عليها – ؟ ؟

لا يمكن القطع بالجواب ...
ومهما يكن فقد وجدت هذه الاحاديث بكثرة في القرن الثالث لم يسمها اصحابها بالمقامات كما وجدت كلمة المقامة بدلالاتها الادبية في هذا العصر بالذات ولكنها دلالات لم تكن محدودة ...

ومن بين تلك الاحاديث ما ذكره المبرد المتوفى سنة 285 مثل قصته التي ادعى انها جرت بينه وبين بعض المجانين في عهد المتوكل ... وقد ذكرها المسعودي في كتابه (مروج الذهب) كما ذكر قصصا اخرى من بينها ما ذكره الجاحظ ايام المتوكل ايضا ، وادعى انه كان شاهد عيان فيها ... وهي قصص غريبة الوقوع جدا تدور حول الحب والجود بالارواح فيه لادنى سبب ... ومن الطريف في هذا العهد بالخصوص اننا نجد قصصا

في الغرام تحاك حول الحيوانات . فهذا أبو العنبس يذكر للمتوكل قصة غرام حماره ويردفها بهذه الابيات التي تغزل بها حماره في محبوبته الاتان فيقول :

هام قلبي بـأتـان عند باب الصيدلاني
تيمتني يوم رحنا بثناياها الحسان
وبخدين أسيلـ ـن كلون الشنقراني
فبها مت ولو عشـ ـت اذن طال هواني

قال ابو العنبس : قلت : يا حماري ! فما الشنقراني؟ فقال : « هذا من غريب الحمير » ...

لقد طرب المتوكل للقصة المضحكة وامر المغنين ان يقضوا تلك الليلة يطربون مجلسه بشعر حمار ابـي العنبس .. وهي على فكاهتها تسلمنا الى نقد لاذع وجهه ابو العنبس لاولئك الذين كانوا ياتون بتلك الاحاديث ويتعمدون فيها الغريب من اللغة .. ثم انها في مدلولها تطلعنا كذلك على ما كان هؤلاء يخترعونه من القصص الغريبة ويدعي بعض منهم واقعيتها ؛ بل انهم يكونون احد ابطالها او النظارة فيها ..

وقد اوحت هذه القصة بالذات الى ابن شهيد الاندلسي ــ في القرن الخامس ــ بقصة اخرى حول عانة من حمر الجن ، فانشدته هذه شعرا وردت فيه هذه الابيات : ــ منسوبة لدكين الحمار ــ .

دهيت بهذا الحب منذ هويت
وراثت ارداثي فلست أريـت

كلفت بالفي منذ عشرين حجة
يجول هواها في الحشا ويعيث

وما بي من برح الصبابة مخلص
وما لي من فيض السقام مغيث

وغير منها قلبها لـي نميمة
نماها احم الخصيتين خبيث

وما نلت منها نائلا غير انني
اذا هي راثت رثت حيث تروث

قال ابن شهيد : وقلت للمنشدة : ما هويت ؟ قالت : هو « هويت بلغة الحمير » ...

وكذلك كان ابن شهيد في قصته هذه يتناول بعض المعاصرين بذلك النقد اللاذع ... فمغزى القصتين واحد ...

لنرجع الى المقامات فنجد الهمداني يتناول فيها عدة موضوعات كان من اهمها ما يدور حول نقـد الشعر والشعراء ...

وسرعان ما وجدنا ابن شرف القيرواني في القرن الخامس يقلد البديع وينشىء مقامات في هذا الموضوع ... وفي نفس القرن نجد من الاندلسيين من ينشىء هذه المقامات : مثل أبي محمد ابن مالك القرطبي وابي حفص عمر بن الشهيد ...

اما الاول فلا تبدو في مقاماته الناحية الحوارية بقدر ما تبدو نواح اخرى من القدرة على الوصف لاشيـاء متعددة ... واما الثاني فله الى جانب هذا النوع قصص جميلة لا تقصر في روحها الخفيفة عمـا ورد في « التوابع والزوابع » لابن شهيد وهذا فصل منها :

وملنا الى منزل بدوي ذي هيئة وزي

له منزل رحب عريض مـزرب
باعواد بلوط وطـوح مفتـل

ترى بعـر الآرام في عـرصاتـه
وقيعانه كانه حـب فلفـل

فهش وبش ، وكنس منزله ورش ، وصير عاليه الى ناحية ، وجمع اطفاله في زاوية ؛ وجعل يـدور كالخذروف امام الصفوف يتلقى الواحد ، مثنا بعـد الواحد ، ويكشر عن نابه ويتمثل :

اخذي كذا بركـاب الضيـف انزلـه
الذ عندي من الاسفنج بالعسـل

او من رغائف كانـون ملهوجـة
او رائب بقري جيـد العمـل

او من خوار عجول في مسارحهـا
او من ركوب الحمير الفره في الكفل

ثم مال بنا الى بيت مكنس ، منوع مجنس ، قـد جلله حصرا بلدية ، وغشاه بسطا بدوية ، ومد فيـه شرائط وحبالا ، كانه يريد ان يخرج خيالا ، وعلق منها غلائل وملاءات ، وهمايين وسراويلات ، وكم شئت من خرق معصفرة ، وعصائب مزعفرة ، حتى المقنعة والخمار ، والدلال المستعار ، وقد اتخذ في الحائط كوة وثانية ، وملاها حقاقا وآنية ، واودعها من عتاد العروس فاخره ،

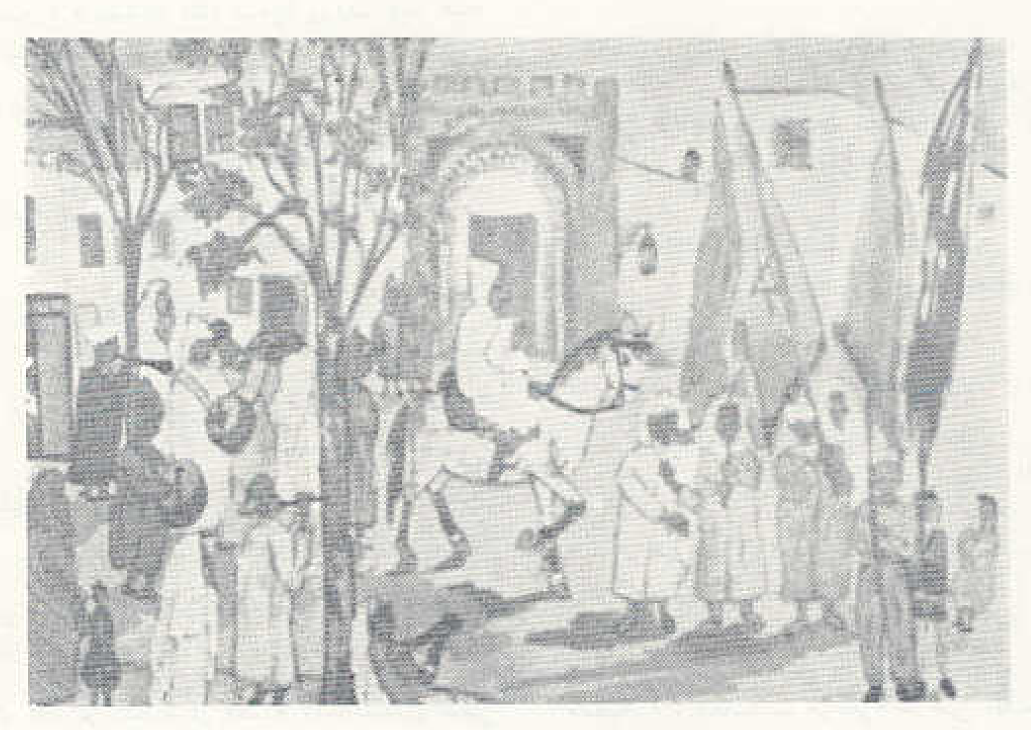
ومن طيب البادية اوله وآخره .. فقلت : يا صاحب المنزل ! هنيت وهنيت ، لقد أوتيت واوتيت ... وجعلت ارفق عن صبوح ، واقول (متى كان الخيام بذي طلوح) من اين للبداوة هذا الرونق والطلاوة ، وكيف حتى افرت على حانوت العطار ، ومتى نقل سوق البز الى هذه الدار ؟ لقد قرت بك الاعين وسرت الانفس ، هذا زي العروس ، فأين العرس ؟ فضحك البدوي ملء فيه ، وتوسمت الازدراء فيه ، وانشد :

يا أخي نحن على انـ	ـا نتاج بدوي
سادة ناس لنا في	هذه الدنيا دوي
عندنا ان جاء ضيف	شبع جم وري
وسرير حشوه ريـ	ـش الفراريج وطي
وكرامات كثيرا	ت وهيئات وزي

وهكذا يستمر في مقاماته البديعة الاسلوب الدقيقة التصوير . وقد قلنا : انها تشبه الى حد ما توابع وزوابع ابن شهيد: ذلك انها الى خفةروحها تجري بعض الحوار على السن الحيوانات ، على غير تلك الطريقة المعروفة في (كليلة ودمنة) وانما على طريقة ابن شهيد ثم هي لا تخلو من نقد مستتر لبعض المعاصرين : سواء من الناحية الادبية او الخلقية ...

وتعرف في الشرق عدة مقامات فيها القصص وفيها الوعظ وفيها غير هذا وذاك . ولعل احسن من يمثل اللونين المذكورين : الحريري للاول والزمخشري للثاني.

اما المغرب الاقصى فاننا لا نعرف له مقامات الا في اواخر القرن العاشر مثل مقامات احد كتاب المنصور السعدي وهو الرئيس ابو عبد الله محمد بن عيسى ، ثم استمر انشاء المقامات فيما بعد ... ومن الحق والحقيقة ان نقول : ان كتابنا لم يوفقوا فيها الى أبعد حد ــ اذا استثنينا ابن عيسى ــ الذي حذا فيها حذو ابن شرف .. أما من اتى بعده من مثل ابن الطيب العلمي ، فمنزلتهم تقصر عن منزلة غيرهم في هذا الباب



حفلة ختان ــ للفنانة المغربية شمس الضحى اطاع الله ــ معرض الفنانين المحليين بتطوان ــ ابريل 1959

التعليم في الولايات المتحدة
أهدافه ومراحله

للأستاذ محي الدين المشرفي

قام الاستاذ السيد محيي الدين المشرفي رئيس مصلحة التعليم الابتدائي الاسلامي بوزارة التهذيب الوطني والشبيبة والرياضة في اواخر السنة الدراسية الفارطة برحلة ثقافية عبر الولايات المتحدة، تمكن خلالها من الاطلاع على مدى تقدم المؤسسات الثقافية هناك على اختلاف انواعها.

ونحن نرجو ـ بمناسبة افتتاح الموسم الدراسي الجديد ـ ان يجد حضرات المعلمين والمشتغلين بشؤون التربية في بلادنا ـ في هذا العرض الذي كتبه الاستاذ المشرفي على اثر عودته من رحلته، ما يفيدهم في اداء مهمتهم الوطنية والانسانية السامية.

دعوة الحق

أهداف التعليم بامريكا

لا يستطيع الباحث النزيه ان يصدر حكما عادلا على نظام التعليم القائم في المعاهد الثقافية بالولايات المتحدة ولا ان يقدر قيمة ذلك التعليم الا اذا وضع في الميزان الفوارق الكبرى التي تمتاز بها هذه القارة الواسعة الاطراف بالنسبة لبعض الدول الاوربية لا من الناحية الجغرافية فحسب، بل من الوجهة السياسية والاقتصادية ايضا.

ومن البديهي ان سعة البلاد الامريكية التي تضم خمسين ولاية تساوي مساحة كل واحدة منها مساحة المغرب مثلا، فرضت بالطبع على الحكومة الامريكية التمسك بنظام اللامركزية بحيث اصبح لكل ولاية نظامها الخاص من الوجهة الاقتصادية والادارية والثقافية، كما ان تغلغل المبادىء الديمقراطية في نفوس الامريكيين وتمسكهم من الوجهة الاقتصادية بنظام راسمالي صرف، كل ذلك من العوامل التي حملتهم على انشاء مؤسسات ثقافية الغاية منها اعداد اوفر عدد ممكن من المواطنين اعدادا يمكنهم من المساهمة في الحياة الاقتصادية الامريكية بحظ وافر والزيادة بالتالي في ثروة البلاد.

والذي يبحث في النظام القائم اليوم بالولايات المتحدة يرى ان هذا النظام يختلف اختلافا بينا عن النظم المعمول بها في فرنسا مثلا واسبانيا وايطاليا التي استمدت، كما تعلمون، كثيرا من نظم حياتها الادارية والثقافية من الحضارة اليونانية والرومانية، واذا كان نظام المؤسسات الثقافية المعمول به في هذه الدول الثلاث يرمي الى خلق الرجل الكامل من الناحية الفكرية، فالتعليم في امريكا تعليم عملي قبل كل شيء، يهدف الى اعطاء الطفل المهارات اليدوية والعقلية التي تجعله قادرا في اسرع ما يمكن من الوقت على الاستفادة من الحياة والانسجام مع المحيط الاجتماعي الذي ينتظره. فالتربية في الولايات المتحدة، على ما نعتقد، تتورع من ان تسكب المعلومات في اذهان الاطفال على حساب هذه الملكات لان ذلك يتنافى مع رغبتها في الوصول بهم سريعا الى مرحلة الخلق والابتكار والاشتراك في الحياة العملية التي تتوقف الى حد بعيد على مقدار الحرية التي تترك للاطفال اثناء عملية التعليم، وعليه فلم تعد التربية بالنسبة للامريكيين عملية قاسية تحارب نزعات الاطفال الفطرية وتصدها، بل هي عملية تحريرية غايتها تمهيد الطرق امام قواهم الفكرية حتى تظهر وتقوى رغبة في الوصول بالاحداث

الى حياة مرحة متناسقة طبيعية تتناسب مع المجتمع الذي يعيشون فيه . ومن ثم يعتقد المربون الامريكيون ان قيمة العمليات التربوية تتوقف بالطبع على مقدار الجهود الشخصية التي يجود بها الطفل في سبيل الحصول على المعلومات والخبرات التي تؤهله للانضمام الى المحيط الاجتماعي الامريكي بناء على خصائص هذا المحيط ومميزاته بالنسبة للمجتمعات الاخرى .

هذا ونظرا للروح الديمقراطية المهيمنة على هذا المجتمع بصفة لا يتسرب اليها الشك والارتياب ، ونظرا للنظام الاقتصادي القائم على الراسمالية التي تتمثل في شركات لا يحصى عددها ، فان النظم التعليمية والاساليب التربوية التي يعتمدها المربون في الولايات المتحدة تهدف جميعا الى اعطاء الاطفال الفرصة للتعبير عما يدور في خلدهم بحرية مطلقة ، واكسابهم المهارات الكافية التي تمكنهم من التخصص الباكر ، والمساهمة في الانتاج الوطني ، ويرى المربون في الولايات المتحدة انه لا سبيل للوصول الى ذلك الهدف غير من ان يعطى الطفل الحرية المطلقة في المدرسة ، ويرفع عنه كل ضغط او تشديد . والواقع ان الحرية متوفرة في المدارس على اختلافها كما ان الطفل يعامل فيها باعتباره كائنا حيا له كرامته وشخصيته ، اما الوسائل التي تمكنه من اكتساب المهارات اليدوية والعقلية اللازمة فهي موضوعة تحت تصرفه بكل مكان ، تعطيك البرهان على ان الحياة الامريكية زاخرة بالمهن والصناعات لذلك نستطيع القول بانه يوجد في الولايات المتحدة انسجام تام بين المحيط المدرسي والمحيط الاجتماعي وان المدرسة الامريكية مؤسسة ناجحة بالفعل لانها متصلة مباشرة بالحياة .

على ان هناك طائفة اصبحت تتخوف من عواقب تلك الحرية المطلقة التي يتمتع بها الاطفال ، وراحت تهيب بالمسؤولين ان ذلك قد يؤدي الى انحلال في الجهاز التربوي وضعف في النتائج النهائية اذا ما ترك التلاميذ وشانهم ، يعملون ما يريدون دون مراقبة صارمة من طرف المعلمين ، وهكذا نودي في الايام الاخيرة بين المعلمين وغير المعلمين بضرورة اقحام الطلبة على العمل الشاق منذ الصغر والاقلاع عن الطريق التحريرية التي سلكها المربون الآن ، وحتى لا يشعر الطفل بان الحياة لهو ولعب ، بل هي جهاد عنيف ، مليئة بالعقبات والحواجز ، لا يستطيع التغلب عليها الا الذين استعدوا لمجابهتها بقلب ثابت وارادة قوية . وغني عن التوضيح ان الذي كان سببا في تحويل راي بعض المفكرين الامريكيين الذين لهم اهتمام بمشاكل التعليم هي الرجة الكبرى التي احدثها في الاوساط الامريكية نجاح القمر الصناعي الروسي خلال السنة الماضية والذي ان دل على شيء فانما يدل على ان روسيا اصبحت بعد تلك التجربة الناجحة تتبوأ المكانة الاولى بين الامم في ميدان العلوم والاختراع .

ومع ذلك فان الراي السائد في امريكا هو ان التعليم ناجح عندهم ومفيد ومنظم احسن تنظيم لا فيما يرجع للبرامج والمناهج بل فيما يتعلق بالقوانين والنظم التي يسير عليها التعليم هناك في سائر اطواره .

نظام التعليم الامريكي

تختلف النظم القانونية التي يرتكز عليها التعليم في امريكا اختلافا بينا عما هي عليه في البلاد الاخرى وفي بلادنا بالاخص ، فلا وجود لوزارة التربية الوطنية باعتبارها وزارة مستقلة بنفسها ، بل تقوم مقامها وزارة تسمى وزارة التربية الوطنية والصحة والترقية لان الامريكيين يعتقدون بحق ان الهدف الاساسي من العملية التربوية هو مساعدة الاطفال ماديا وادبيا حتى تتبثق مواهبهم العقلية واستعداداتهم الشخصية ، هذا مع العلم ان نجاحهم في الحياة متوقف الى حد كبير على صحة ابدانهم . ولما كانت رغبة المشرفين على التعليم هناك ترمي الى تمهيد سبل النجاح امام جميع المواطنين وخاصة اولائك الذين فاتتهم فرصة الدراسة المنظمة ـ اذ لكل واحد الحق في المعرفة وليس هناك سن معينة لتنمية معلومات الشخص واكمال ثقافته ـ فرضت الحكومة بامريكا على الجامعات ان تبقى مفتوحة خلال موسم الصيف حتى يستطيع اولئك الذين لم يتمكنوا من متابعة دراسة عادية اكمال ثقافتهم والالتحاق بركب زملائهم .

هذا وليس يوجد بامريكا نظام تعليمي واحد يجري على سائر الولايات ، بل لكل ولاية نظام اداري يتفق والخصائص التي تمتاز بها الولاية ، انما تشترك الولايات المتحدة كلها في ان قضية تنظيم التعليم تعود الى الشعب الذي هو مسؤول عن اقرار مصير الولاية في هذا الميدان . وهذا النظام اللامركزي ينطبق على الولاية كلها التي تنقسم هي الاخرى الى عدة مقاطعات ، وكل مقاطعة تؤدي ضرائب يصرف بعضها في سبيل التعليم ، وقد تبلغ احيانا 80 في المائة من مجموع الجبايات ، بينما يحتفظ بالباقي لتسيير المصالح الاخرى كتنظيف الشوارع واجراء الاسلاك الكهربائية في البيوت والطرقات ، ومد انابيب الماء والمحافظة على الامن الى غير ذلك من المصالح التي تتوقف عليها حياة المقاطعة .

ونظام اللامركزية المفروض فى كل مقاطعة او ولاية يعطي الحرية التامة للاهالي في ان يسيروا مؤسساتهم العلمية على الوجهة التي يحبون دون ان يتدخل فى شؤونهم مركز الولاية او المسؤولون فى الحكومة بواشنطن ، او يرغمهم احد على تدريس مادة من المواد مثلا، او تطبيق نظام خاص لا يرى اهل المقاطعة فائدة فى التمسك به ؛ الشعب وحده هو المقرر لمصير تلك المؤسسات الثقافية بواسطة هيئة التعليم التي تتكون من عدة اشخاص منتخبين تشهد لهم مكانتهم الاجتماعية ونشاطهم فى سبيل المصلحة العامة بصلاحيتهم لتسيير امور هذه الهيأة ، وينتمي هؤلاء الاشخاص عادة الى جمعية النساء الامريكيات التي توجد فى كل مكان وجمعية اولياء الطلبة والمعلمين التي تلعب فى جميع الولايات المتحدة دورا بنائيا هاما فى الميدان الثقافي وتؤدي خدمات جلى للطلبة على اختلاف طبقاتهم، وقد يشارك احيانا فى هياة التعليم اعضاء الغرفة التجارية وتتمتع هياة التعليم بمكانة مرموقة فى الاوساط الامريكية اذ هي التي تبت فى نوع الانظمة التي يجب تطبيقها فى كل مرحلة من مراحل التعليم واقرار الحصص الزمانية المخصصة لكل مادة من مواد التدريس ، وهي التي تسطي نظرها كذلك فيما اذا كان من المناسب ان يضاف الى المناهج لغة اجنبية بالمدارس الابتدائية والثانوية . ونظرا لان افراد هذه الهياة رغم استعدادهم للعمل الصالح لا يتوفرون عادة على الكفاءة الفنية التي يستطيعون بواسطتها الفصل فى كثير من شؤون التعليم ، فانهم يفوضون امرهم الى مشرف اعلى يكلفونه بوضع البرامج وتحديد الحصص واختيار المناهج فيصبح هذا المشرف مع الاعوان الذين يختارهم بحرية كاملة مسؤولا فى الواقع امام هياة التعليم عن كل ما يجري داخل المؤسسات الثقافية فى ولاية من الولايات ، وغالبا ما يكون بجانب هذا المشرف مساعدان احدهما لاعداد النشرات والتعليمات الموجهة للمؤسسات الثقافية ، والثاني للسهر على تطبيق القرارات التي لا يستطيع المشرف الاول ان يتخذها الا باتفاق مع هياة التعليم عملا بالمبدأ الشائع هناك من انه لاينبغي بحال ان تجتمع السلطة كلها فى يد رجل واحد، ويلحق عادة بالمشرف عدة مساعدين آخرين احدهم للبنايات والثاني لمراقبة التعليم والثالث لتسيير الشؤون الادارية والرابع لشراء الاثاث والمواد المختلفة والخامس للنظر فى احوال الموظفين عموما ؛ وهناك مساعد سادس متصل راسا بهياة التعليم مهمته اعداد الميزانية السنوية . ويجدر بالذكر ان المكلف بمراقبة التعليم له اتصال مباشر بمتعهدي المدارس ، وهم ما يسمون عندنا بالمفتشين كما يدخل فى نطاق مهمته الاشراف على التربية البدنية وتنظيم المكتبات وتزويدها بكل ما تحتاج اليه ، وذلك باتفاق مع هيآت الطلبة والجمعيات التي لها اهتمام بشؤون التربية . فالمسؤوليات ، كما ترون ، موزعة بين عدة اشخاص او هيآت تعمل كل واحدة منها فى ميدانها الخاص ، متضافرة مع الهيئات الاخرى ؛ والواقع انه ليس فى هذا النظام المحكم الا ما يعين على نجاح العملية التربوية ، لان كل من اسندت اليه وظيفة داخل هذا الاطار او خارجه يعمل على مباشرة مهمته بكيفية واضحة وبصورة تترك له حرية العمل اللازمة ، وحرية العمل تؤدي دائما الى التجديد والخلق والابتكار .

ومما يلاحظ في هذا المضمار ان المعلمين والاباء ونظار المدارس والمشرفين كلهم يعيشون فى جو من الاخاء والمساواة بحيث لا تستطيع ان تفرق بين الرئيس والمرؤوس ، بل كل موجه نشاطه بصورة تضمن نجاح المهمة التي كلف بها فى صالح الطلبة والمدرسة التي ينتسب اليها .

هذا ، وتتوفر كل ولاية على عدد وافر من المدارس الابتدائية والثانوية والجامعات، وتفتح هذه المؤسسات فى الثامنة صباحا وينتهي عملها فى الثالثة والنصف بعد الزوال على اساس ان ياخذ الاطفال ست حصص دراسية يومية لا ينقطعون عن العمل خلالها الا مدة ساعة بين الثانية عشرة والواحدة زوالا لتناول وجبة الطعام ؛ وتظل المدارس مفتوحة خمسة ايام فى الاسبوع وتتوقف الاعمال فى المؤسسات العلمية كلها والادارات وجوبا يومي السبت والاحد .

المدارس الابتدائية

ينص القانون الامريكي على ان لكل واحد الحق فى التعليم ؛ لذلك تجد فى كل ولاية عددا وافرا من المدارس الابتدائية ، ويستطيع الاطفال ان يذهبوا الى المدسة التي يريدونها لا فرق بين هذا وذاك الا ما كان من بعض الولايات الجنوبية كولاية اركانصو ARKANSAS مثلا ، التي لا تزال مسرحا — بكل اسف — للعنصرية الجنسية بين البيض والسود والتي انشئت فيها مدارس خاصة بالزنوج . على ان هناك جمعيات مختلطة تكرس جهودها من اجل تحقيق فكرة الادماج تطبيقا للقرار الحكومي الاخير القاضي بقبول الاطفال الامريكيين فى مؤسسة تعليمية واحدة

بقطع النظر عن لون بشرتهم ومعتقداتهم الدينية ، وقد لمسنا بالفعل المجهودات الطيبة التي تقوم بها بعض تلك الجمعيات في مدينة «ليتل راك» على الاخص ، والمظنون ان جهود العاملين في سبيل الادماج ستكلل بالفوز في السنوات القليلة المقبلة .

هذا ، وتقع المدارس الابتدائية عادة في اماكن صحية ، وهي تحتوي على حجرات جميلة تتوفر على اجهزة الراديو والتلفزيون التي اصبحت، كما هو معلوم، من وسائل الايضاح المستعملة يوميا في المدارس على اختلافها ، وفي كل مدرسة قاعة كبرى يغشاها الطلبة عند الزوال لتناول طعام الغذاء ، وقاعات للرياضة البدنية واخرى للمحاضرات والاجتماعات التي يعقدها آباء التلاميذ واولياؤهم ، كما تحتوي المدارس الابتدائية على قاعة كبرى للسينما وحجرات عديدة خاصة بدروس الموسيقى والفنون الجميلة ، وتشرف على المدرسة مديرة او مدير يساعده في مهمته معين وسيدة ينحصر عملها في السهر على صحة الاطفال ، واخرى تهتم بارشاد المعلمات من الوجهة البيداغوجية كما ان هناك سيدة تشرف على تنظيم طعام الاطفال ، هذا بغض الطرف عن الموظفات الاخريات كالكاتبات والمحررات .

وتشتمل كل مدرسة ابتدائية على قسم او عدة اقسام اعدت للصغار من الاطفال حتى اذا بلغوا سن السادسة التحقوا بالمدرسة الابتدائية المجاورة ، ويظل الطفل عادة في المدرسة الابتدائية ست سنوات اذا ما وجدت المدرسة في المدينة وثمان سنوات ، اذا كانت مدرسة قروية ، وفي تلك الحال يمكن اعتبار السنتين الزائدتين فصلين تكميليين ، ومهما يكن الامر فالتلميذ الامريكي يتلقى خلال الدراسة الابتدائية مبادىء متينة في مختلف العلوم والفنون كالجغرافية والتاريخ والتلاوة والمحادثة والخط والحساب ودروسا في المحافظة على الصحة والاسعافات الاولية عند الاقتضاء، كما يتلقى معلومات حول الكهرباء والمغناطيس والجولوجيا وعلمي النبات والحيوان والموسيقى والتربية الوطنية والرقص بالنسبة للفتيات ، وعلوما اخرى تكميلية كالخطابة والتمثيل . وتعطى في المدارس اهمية كبرى للاعمال اليدوية حتى يبقى الانسجام ثابتا بين المجتمع الصغير وهو المدرسة ، والمجتمع الكبير اي الحياة العملية التي سيقفز اليها الطالب بعد سنوات ، ومن الملاحظ ان هذه الاعمال اليدوية ليست مجرد تدريبات يتلهى بها الاطفال ولكنها تمارين حقيقية مفيدة تحملهم على الخلق والابتكار ، وتعدهم لاختيار مهنة تناسبهم خلال دراستهم الثانوية .

وجدير بالذكر ان المشرفين على هذه المدارس يهتمون في الاقسام الكبرى بتدريب التلاميذ على العمل الفردي المفيد ، وتوسيع ثقافتهم باستغلال الحوادث الطبيعية او السياسية الطارئة وذلك بجمعهم — في اول فرصة سنحت لهم — اوفر كمية من المعلومات الجغرافية والتاريخية والاجتماعية حول بلد من البلدان يسجلونها في سجلات خاصة ، فيراجعها المعلم معهم ليحققها ويضيف اليها ما يراه مناسبا ، وهكذا لا يكتفي المعلم بتبليغ مواد البرنامج الرسمي للاطفال ، ولكنه ينتهز كل الفرص الممكنة لتنوير اذهانهم وجعلهم في حالة يمكنهم معها ان يحكموا عقولهم في الاشياء والاشخاص معتمدين في ذلك على تجاربهم الخاصة وحدها .

ومن الملاحظ ان برامج التعليم الابتدائي لا تشتمل على دروس دينية، ولعل ذلك يعود الى حرص الحكومة على احترام نزعات المواطنين وعقائدهم التي تختلف باختلاف عناصر السكان .

واعظم مظهر يتجلى في المدارس الابتدائية التي قدرت لنا زيارتها ، هي الحرية المطلقة التي يتمتع بها الاطفال في الاقسام الصغيرة بنوع خاص ، فالمعلمة في هذه الفصول لا تقوم بدروس عامة شاملة تقدمها لسائر التلاميذ في وقت واحد غير مراعية لما يبدو عليهم من اختلاف في الامزجة والطبائع ، ولكنها توزعهم في حجرة الدرس الى عدة حلقات منسجمة متجانسة ، تاركة لكل طائفة منها حرية العمل : فهذه طائفة تشتغل بالتلوين ، وهؤلاء منكبون على حل عمليات حسابية بواسطة الارقام الخشبية ، وهناك جماعة اخرى لا تتجاوز الثمانية افراد منهمكة في اتمام تمرين كتابي او قائمة بتطريز قطعة من القماش بينما المعلمة مهتمة بتدريب جماعة اخرى على القراءة بواسطة السبورة والكتب الملونة ، ولا يترك التلاميذ الفصل حتى تاخذ كل طائفة حصتها المقررة في كل مادة من المواد .

وبجانب ذلك توجد في كثير من المدارس عدة اقسام خاصة بالتلاميذ النجباء اعدت من اجلهم برامج مناسبة لميولهم الطبيعية واستعداداتهم الفكرية ، تسهر ناظرة المدرسة ومساعدتها على تطبيقها بكيفية تمكن تلك الطبقة النيرة من اجتياز المرحلة الابتدائية بسرعة

استعدادا للتخصيص في فن من الفنون او علم من العلوم ، وغني عن البيان ان في ذلك النظام غنما بالنسبة للبلاد التي تتوقف حياتها وازدهارها على سواعد المواطنين كافة بقدر ما تتوقف على نموهم الفكري ، كما توجد في بعض المدارس فصول خاصة بالمتاخرين عقليا او المصابين بعاهات جسمية تشرف عليها معلمات متخصصات في تعليم ضعفاء العقول ، يعالجن اولائك المحرومين بمنتهى الرافة واللين .

هذا ، وتعطى في المدارس الابتدائية كلها اهمية كبرى للقراءة لانها المفتاح الذي يستطيع المتعلم بواسطته من اجتياز مراحل اخرى في سبيل تثقيف نفسه بنفسه ، والمبدا الشائع هناك في ميدان التربية هو ضرورة حمل المتعلم على العمل الفردي متكلا على نفسه قبل الاتكال على المعلم ، لان المعلومات التي يتوصل لمعرفتها بدافع الرغبة والشوق تكون دائما ارسخ في الذهن واثبت في العقول ، ويلاحظ فيما يرجع لدروس الحساب — وهذه الملاحظة تنطبق على بقية المناهج بصفة عامة — انها مختصرة بالنسبة لبرامج الحساب المطبقة في مدارسنا بمعنى أن بعض الابواب كمساحة المربعات والمستطيلات والدوائر وتقدير احجام بعض الاشياء لا تدرس في امريكا الا في مستوى المدارس الثانوية ويلاحظ الباحث باستغراب شبه انخفاض في المستوى بين التلاميذ الامريكيين وتلامذتنا فيما يرجع لمادة الحساب على الخصوص ، لكن الذي يتعقب بالبحث تلامذة المدارس الثانوية الذين سبق لهم ان تلقوا نفس الدروس المختصرة في مادة الحساب حينما كانوا في المدارس الابتدائية يرى ان مستواهم في مادة الرياضيات قد ارتفع سريعا بعد سنوات قليلة حتى صار عاديا لا فرق بينه وبين مستوى تلامذة اية مدرسة ثانوية اخرى ، فيخرج بهذه النتيجة المعقولة وهي ان ذلك التطور السريع يعود الى اهتمام المعلم في المدرسة الابتدائية بتهذيب ملكات الاطفال وتقويتها اكثر من حرصه على جمع المعلومات وحشوها في اذهان التلاميذ .

اما اللغات الاجنبية فتدرس في بعض الولايات حتى في المدارس الابتدائية نزولا عند رغبة العناصر المتساكنة ، وهكذا تقرر في كثير من النواحي تدريس بعض اللغات الحية كالاسبانية او الفرنسية او الالمانية ، وذلك ابتداء من السنة الثالثة الابتدائية على اساس خمس عشرة دقيقة يوميا في كل فصل ، وقد تبدو هذه الحصة قليلة لا تسمن ولا تغني ، ولكن الاطفال يستغلونها كل الاستغلال لانهم لا يدرسونها بالطرق العقيمة التي الفناها اي بواسطة كتب ضخمة تحمل الغث والسمين في طياتها ، بل يتعلمونها بواسطة الوسائل السمعية البصرية التي شاع استعمالها بصورة ناجحة في كل المعاهد الثقافية الامريكية من المدارس الابتدائية الى الجامعات .

وجدير بالذكر في هذا المقام موافقة الكونغرس الامريكي في اجتماع عقده اخيرا على تقديم اعانة مالية مهمة لكل ولاية تعمل على تشجيع دراسة اللغات الاجنبية والعلوم والحساب بصفة خاصة ، وكان هذا القرار ، كما ذكرنا ، رد فعل للنجاح الذي لاقاه الروسيون اخيرا في ميدان العلوم النووية ، وما تركته تلك التجربة من اثر بليغ في نفوس الامريكيين عموما .

هناك ظاهرة اخرى تمتاز بها المدارس الابتدائية الامريكية هي توفرها على الكتب اللازمة في كل فن بحيث ياخذك العجب عندما ترى ان لكل قسم مكتبة خاصة ولكل مدرسة مكتبة عامة مشتركة بين سائر الطلبة واخرى تظل رهن اشارة اولياء التلاميذ ، هذا بقطع الطرف عن اجهزة الراديو والتلفزيون التي يستعين بها المعلمون على القيام بمهمتهم التربوية بصورة تكفل لهم كل نجاح .

ويوجد بجانب كل مدرسة ناد يشترك في تكوينه وتسييره معا أولياء التلاميذ ومعلموهم يسمى (Parents And teachers Association) ومهمة جمعية الآباء والمعلمين النظر في مشاكل التعليم بصفة عامة، وتحديد مصاريف المطعم المدرسي ،واعطاء آرائهم في الكتب المستعملة ، وكيفية تطبيق القوانين والمراسيم الصادرة عن مركز الولاية ، ويشرف على هذه الهياة رئيس معين غير منتخب حتى لا يكون اشرافه عليها فرصة لتسرب التيارات السياسية الى المدرسة ، والواقع الذي لا مراء فيه ان اولياء الطلبة والمعلمين لا يهتمون داخل هذه الاندية الا بما يعين المدارس على متابعة سيرها في طريق التقدم والازدهاربقطع النظر عن اية اعتبارات اخرى ، اما الاعضاء الآخرون فمنتخبون لمدة سنتين يقع تجديدهم بالنصف بعد كل سنة .

المدارس الخاصة

ومن المسلم به أن الحكومة الامريكية مهتمة بكافة الاطفال مهما تكن جنسياتهم واحوال عائلتهم ، بل ربما

زاد اهتمامها بالمعطوبين كالعمي والخرس وضعفاء البصر والمقعدين والمتشردين ، من ذلك ان الشبان من طبقة العمي الذين فاتتهم فرصة الدراسة يستطيعون بمجرد طلب يوجهونه لاحدى الهيات الثقافية الحصول على دروس مسجلة تبعث بها اليهم مراكز مختصة ، ونذكر على سبيل المثال أن مدينة دنفر D E N V E R عاصمة الكلورادو ، تتوفر على مؤسسة من هذا النوع وتصدر للطلبة العمي في مختلف الجهات عشرات الاسطوانات التي تم تسجيلها على يد سيدات امريكيات تبرعن بأوقات فراغهن لفائدة هذا المشروع النبيل .

هذا، وفي كثير من الولايات مدارس للعمي وضعفاء البصر منها مؤسسة هائلة تقع بضاحية شيكاغو بولاية ميشيكن ، ضمت زيادة على الاطفال العاديين طائفة لا يستهان بها من هؤلاء المحرومين الذين يتابعون دراستهم كالمبصرين سواء بسواء ، نظرا لكثرة وسائل العمل الموضوعة تحت ايديهم : فمن كتب ضخمة كتبت بطريقة براي الى الواح حسابية تمكنهم من حل اية مشكلة حسابية بمنتهى السرعة الى حد انك لاتستطيع ان تدرك ان هناك فرقا بين مستوى هؤلاء المحرومين ومستوى التلاميذ الآخرين ، اما الخرس فان المعلمين يعملون بطريقة التعرف على حركة شفاههم ، يضاف الى ذلك كله ان المدرسة الخاصة تتوفر دائما على مكتبة زاخرة بالكتب الجيدة التي في استطاعة الآباء ان يستعيروا منها ما يشاؤون لقراءتها على مسامع أبنائهم

وبالجملة فان لكل مدرسة من الاثاث والادوات والكتب وفيها من المربيات ما يعين على تحقيق غايتها النبيلة في ميدان التربية البدنية والعقلية والخلقية والوجدانية والجمالية .

وهناك مشكلة تمتاز بها الولايات المتحدة كما تمتاز بها عموما البلاد التي بلغت رقما قياسيا في التقدم الصناعي او التقني هي مشكلة الاحداث الجانحين والاحداث الجانحون هم اولئك الفتيان والفتيات الذين اثرت فيهم حياة السرعة والميكانيك الى حد ان تضعضعت اعصابهم واختل توازنهم السيكولوجي ، فلم يعودوا قادرين على الحياة بانسجام في عالم اليوم وراحوا ، من اجل ذلك يقترفون مختلف الجرائم فرارا من الحياة التي لفظتهم والتي يعتقدون في قرارة انفسهم انها غير صالحة ، لا تستحق ان يحياها انسان كريم .

ونظرا لان الاحداث الجانحين يكونون مشكلة عويصة بالنسبة للامريكيين فان المسؤولين هناك يعملون في كل مكان على انقاذ اولئك البؤساء ، ومن اجل ذلك فقد انشئت بضاحية شيكاغو محكمة مهمتها النظر في الجرائم التي يقترفها الفتيان والفتيات كسرقة السيارات ومداهمة البيوت ليلا ومخالفة قوانين السير والهرب من منازل الآباء وغير ذلك من الجرائم المتعلقة بالاخلاق التي كثيرا ما تحدث للفتيات ، وبجانب هذه المحكمة مركز احتياطي مجهز احسن تجهيز يرحل اليه صغار المجرمين لاجراء البحث اللازم عليهم من الناحية السيكولوجية والعقلية والبدنية قبل احالتهم على المحكمة ، اما المشبوه في أمرهم أو الذين تبين أنهم مرضى من الناحية العقلية فيودعون في حجرات خاصة تحت مراقبة أطباء اخصائيين .

والطريق المتبعة في هذه المحكمة أن يعرض الاطفال الجانحون على القاضي في جلسات سرية لا يحضرها الا الآباء والامهات ، فاما ان يرى آمالا في اصلاح امورهم على يد أوليائهم باتفاق مع موظفين من المحكمة يتعهدونهم بالمراقبة في المدرسة والمنزل حتى تستقيم أحوالهم ، واما أن يستنتج القاضي انه لا سبيل لاصلاحهم على يد الآباء لاسباب منها انحلال اواصر العائلات التي ينتمون اليها ، واذ ذاك يدفع بهم الى مؤسسات تربوية تسمى « بالاصلاحيات » حيث يتولى الطبيب والمعلم والمشرف من طرف المحكمة تقويم اعوجاجهم بالوسائل اللازمة المشروعة مع احترام شخصياتهم طبعا .

ويلاحظ بهذه المناسبة ان الجرائم المشار اليها سابقا لا تصدر عادة عن الشبان او الفتيات الذين ينتسبون الى اوساط شرقية تحظى فيها سلطة الآباء بالقوة والنفوذ المطلق .

المدارس الثانوية

هذا واما المدارس الثانوية فتقبل بدون امتحان الاطفال الذين انهوا المرحلة الابتدائية على اساس نتائج الاختبارات الدورية التي اجريت عليهم خلال ست السنوات الابتدائية ، وتنقسم المدرسة الثانوية الى قسمين : قسم اعدادي تستغرق الدراسة فيه ثلاث سنوات ، وقسم ثانوي مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات ، وتختلف تلك المدارس عن بعضها بحسب الناحية التي تنتسب اليها ، فهي صناعية او فلاحية او تجارية كما تختلف برامجها بالنسبة للمميزات التي تمتاز بها كل ولاية .

وتنحصر برامج المدارس الثانوية فى دراسة المواد الاساسية كاللغة الانجليزية والتاريخ والعلوم والرياضيات والتربية الوطنية وبعض اللغات الاجنبية الحية كالفرنسية والاسبانية والالمانية والروسية كما تدرس فيها اللغة اللاتينية .

وتهتم تلك المدارس باعطاء طلبتها تربية جمالية ممتازة بواسطة تمارين فى النقش والنحت والتصوير وتكييف المواد الطينية ، هذا مع العلم بان العلوم المشار اليها سابقا لا تدرس كعلوم نظرية فقط يسكبها الاستاذ فى عقول الطلبة بل هي دائما موضوع مناقشة بينه وبينهم الى ان يدركوها ادراكا صحيحا بطريق الاقتناع والممارسة لا بطريق الضغط والاكراه، وللموسيقى حظ وافر فى البرامج التعليمية الامريكية، لذلك يوجد فى كل مدرسة استاذ خاص بالموسيقى والتلحين تضع المدرسة تحت تصرفه قاعة كبرى للغناء وشققا متعددة اخرى مجهزة كما يجب ، يتدرب فيها الطلبة على ممارسة الآلات الموسيقية المختلفة .

واهم ما تمتاز به المدارس الثانوية على الاطلاق حرص المسؤولين على اعداد الطلبة للحياة العملية واعطائهم الفرصة فى الاوراش المتعددة التي تتوفر عليها كل مدرسة ثانوية بلا استثناء لممارسة مهنة من المهن الرائجة فى السوق الامريكية حتى اذا ترك الطالب المدرسة قبل اتمام دراسته ، لم يبق عالة على المجتمع، بل استطاع أن يكسب قوت يومه بصفة مشرفة . ومن جملة الحرف التي يتعاطاها طلبة المدارس الثانوية ويمارسونها بمهارة واتقان بناء المنازل وصنع الاحذية ، وفن النجارة والحدادة ومد انابيب الماء والكهرباء فى المنازل والطرقات واصلاح اجهزة الراديو والتلفزيون واصلاح السيارات ، ومحركات الطائرات الى ما هنالك من الحرف والصنائع الخاصة بالرجال ، كما يتدرب الفتيات بصورة عملية ناجحة على حلق شعر السيدات وتجميلهن ، وخياطة الفساتين ومسك الدفاتر التجارية والضرب على الآلة الكاتبة ، وكذلك فن الاختزال ، ومجمل القول ، فان المدارس الامريكية تهيىء الفرصة للطلبة والطالبات كي يكتسبوا الخبرات اللازمة بواسطة تعليم عملي مفيد يستطيعون بفضله الانخراط توا فى الحياة الاجتماعية والمساهمة فيها بحظ وافر .

المدارس المهنية

فلا عجب ، والحالة ما ذكر ، أن يحظى التعليم المهني فى امريكا سواء كان صناعيا او فلاحيا بمكانة خاصة فى كل ولاية من الولايات ، والواقع أن استقرار الحياة الامريكية متوقف على مقدار ما تنتجه البلاد وما يستهلكه المواطنون ، وبقدر ما يزيد الانتاج يزداد كذلك الاستهلاك والتصدير، وطبيعي أن فى وفرة الاستهلاك والتصدير مجلبة للربح والترفيه بالنسبة للمواطنين الامريكيين عموما . وهذا ما يعلل كثرة المدارس المهنية فى امريكا واقبال الطلاب عليها اقبالا قد يثير استغراب الاجانب الذين تعودوا تعليما نظريا يؤدي فى كثير من الاحيان الى الحصول على شهادات كاسدة . على ان معظم هذه المدارس المهنية تطبق برنامجا مزدوجا يدرس الطلبة بمقتضاه جميع العلوم النظرية العادية فى النصف الاول من النهار بينما تخصص حصة العشي للتدريب الصناعي فى الاوراش او الحقول التابعة لتلك المدارس . والغريب ان هذه المدارس تقبل احيانا فى حظيرتها ، كما هو الحال فى احدى المؤسسات المهنية الناجحة بسان فرانسيسكو طلبة من الخارج بلغوا سن الثلاثين يرغبون فى الاستزادة من العلم والمهارة الصناعية ، ولا يرى مدير المدرسة أي بأس فى مزاملة هؤلاء الكبار للطلبة الشبان ما دامت الحياة العملية ستجمعهم بعد قليل كمحترفي صناعة واحدة .

ومعظم طلبة المدارس الصناعية يتدربون على الميكانيك وصنع السيارات وخدمة الجلد ، وتكييف الهواء واصلاح الاجهزة الكهربائية المختلفة ، والنحت والتصوير وغيرها من الحرف والصنائع الرائجة . ومما يلاحظ ان الروابط ثابتة والاتصال مستمر بين اصحاب المعامل المنبثة فى المقاطعة واساتذة المدرسة الصناعية بحيث يتفق اصاحب المعمل ان يحضر لاستشارة اساتذة المدرسة فى كثير من المسائل النظرية الجديدة ، كما أن الاساتذة وطلبة المدرسة الصناعية يضطرون احيانا الى الانتقال للمعامل كي يروا بأم اعينهم تطبيق بعض النظريات العلمية على نطاق واسع ، وعليه ، فهناك ارتباط متين وتعاون وثيق بين المدرسة والمعمل لا يزيدان هذا التعليم الصناعي الممتاز الا نجاحا وازدهارا .

ثم ان اقبال الطلبة على هذا التعليم الصناعي من جهة وعدم استطاعة المدارس الصناعية بمفردها تلبية رغائب هذا الجيل المزمرم المتعطش للحياة العملية من جهة اخرى دفع بعض الهيآت الخيرية الى الاهتمام بالطلبة الذين ينتسبون لبيئة فقيرة واعدادهم للحياة العملية خارج اوقات الدراسة حتى يتعلموا احدى

المهن التي تعينهم على مساعدة آبائهم من الوجهة المادية، فيصبح الطفل ، ولم يغادر المدرسة الابتدائية بعد ، قادرا على تركيب بعض الآلات الضرورية واصلاحها كآلة تكييف الهواء وجهاز التليفون وأجهزة الراديو والتلفزيون فى امد قصير وبأجرة لا باس بها ، ومما يسهل العمل على الهيآت المكلفة بالاشراف على هذا التدريب اتصالها الدائم بالشركات والمعامل ومحلات البيع والشراء كي ترشدها الى استخدام اولئك العملة الصغار ، ومن الطبيعي ان تفضل استخدام اولائك العملة الناشئين على غيرهم مقابل اجرة مناسبة زهيدة .

اما التعليم الفلاحي فهو مزدهرفى كثير من الولايات وبصورة خاصة فى ولاية كاليفورنيا الخصبة التي تصدر 85 فى المائة من المحصولات الزراعية التي تستهلك فى جميع الولايات المتحدة ، والواقع ان المدارس الابتدائية لا تعطي تعليما فلاحيا بالمعنى الصحيح ، فالتعليم الفلاحي اذن من نصيب المدارس الثانوية ، وهناك تعليم زراعي راق هو الذي يباشر فى الجامعات التي سنتحدث عنها فيما بعد ، كجامعة دافيس مثلا Davis university . ومماتجدر الاشارة اليه أن اساتذة التعليم الفلاحي خاصة متعاقدون مع الاوساط الحكومية على العمل لسنة كاملة بما فيها عطلة الصيف ، بحيث لا يسمح لهم بمغادرة مناصبهم خلال الاجازة بل يرافقون الطلبة المتخرجين الى الحقول والبساتين حتى تتم عملية التدريب الفلاحي على يدهم ولا تبقى البساتين والحقول عرضة للضياع. هذا، ويتضمن التعليم الفلاحي فى امريكا ثلاث مراحل:

المرحلة الاولى : التي تهم الطلبة العاديين ، وتستغرق دراستهم اربع سنوات فى المدرسة الثانوية.

المرحلة الثانية : وتعرف بمرحلة المزارع الصغير Young farmers وينضوي تحت لوائها الطلبة الذين انهو دراستهم الثانوية او الذين لن تتح لهم الفرصة لاتمامها ، وتتراوح اعمارهم بين 25 و 30 سنة .

المرحلة الثالثة : وتشتمل على طائفة المزارعين الكبار الذين سبق لهم ان شرعوا فى مزاولة مهنة الفلاحة دون سابق تعليم ، وتضم هذه الطبقة طبعا كافة المزارعين الكبار دون تحديد فى السن، وبرنامج المرحلة الاولى يقضي بان تخصص ساعة ونصف فى اليوم على الاقل لتدريب الطلاب على مزاولة الاعمال الفلاحية باحدى الحقول التابعة للمدرسة الفلاحية ، ويسمح لهم احيانا بالالتحاق ببعض الضيع الاخرى لمشاهدة الاعمال الزراعية التي تجري فيها على اوسع نطاق ، والوقوف بانفسهم على كيفية تطبيق المعلومات النظرية التي قدمت لهم فى المدرسة ، وتحمل هذه الطائفة من الطلبة اسم جمعية فلاحي المستقبل الامريكيين ، واذا كانت المدرسة الفلاحية تعد هؤلاء الطلبة اعدادا صالحا من الوجهة النظرية ، كما هو الحال فى المدارس الصناعية ، فان الاتصالات والتنقلات والتجارب التي يجرونها بانفسهم فى الضيع والحقول المجاورة تعتبر احسن وسيلة تنمو بها ثقافتهم بناء على الواقع الملموس .

ونتيجة لروح التعاون المتجلية فى الاوساط الامريكية على الاطلاق ، فان المزارعين الكبار يستطيعون هم كذلك الاستفادة من المدارس الفلاحية التي تظل مفتوحة فى وجوههم فى بعض الاوقات ، فتساعدهم على تطبيق طريقة زراعية جديدة او استعمال وسيلة من وسائل الحرث ، ولا يغفل المشرفون فى المدارس الفلاحية عن تزويدهم بالنصائح والارشادات لتربيتهم تربية وطنية صحيحة لافتين نظرهم بالخصوص الى ضرورة الاحتفاظ باراضيهم الزراعية . والمظنون ان خير نتيجة ادركتها المدارس الفلاحية فى الولايات المتحدة هي ايجاد علاقة وثيقة بين طلبة الزراعة والمزارعين او بعبارة اخرى تحقيق تجاوب روحي بين المدرسة والجماعة القروية التي انشئت فيها المدرسة :

فالمدرسة الفلاحية فى امريكا مجموعة حية لا تعيش منكمشة على نفسها شان المدارس الفلاحية فى كثير من البلاد الاجنبية التي لا يتعدى نشاطها نطاق الحقل الملحق بها ، ولكنها خلية حية تلعب دورا هاما فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بمعنى انها على اتصال دائم بافراد الجماعة المتنورين وغير المتنورين من الذين لهم عناية واهتمام بالشؤون الزراعية ، فمن الاولين تطلب المساعدة الفنية والمادية وتوحي اليهم بالقاء المحاضرات واعطاء التوجيهات الضرورية للطلبة المزارعين كما تطلب منهم حضور الاجتماعات التي يعقدها الفلاحون الصغار او فلاحو المستقبل الامريكيون من حين لحين لتنمية وسائل الانتاج الفلاحي فى القرية والحقل ، يضاف الى ذلك ان المدرسة الفلاحية الامريكية على اتصال دائم من جهة اخرى بافراد الجماعة غير المتنورين تعينهم بتوجيهاتها وترشدهم لاستخدام الوسائل العصرية المستعملة فى الميدان الفلاحي ، ولكل هذا وذاك نستطيع القول بان المدرسة الفلاحية الامريكية وحدة اجتماعية مفتوحة الابواب نحو الخارج الذي يستفيد من اشعاعها ، قابلة للتطور السريع ، منسجمة تماما مع الوسط الذي تستمد منه فى الواقع عوامل الازدهار والقوة على متابعة مهمتها التربوية السامية .

« يتبع »

اجتماع مجلس جامعة الدول العربية بالدار البيضاء
أهميته ومغزاه ونتائجه

بقلم محمد الغربي

من الضروري – لكي يدرك المرء ويزن النتائج والاهمية التي تمخض عنهما دور مجلس الجامعة العربية الاخير – ان يلم بملابسات الظروف الدولية والاقليمية التي سبقت اجتماع المجلس او التي ستعيشها القضايا العربية في الاسابيع القليلة القادمة ، وان يعرف الروح الوثابة المخلصة التي حضرت بها جميع الوفود الى الدار البيضاء .

لقد اجتمعت وفود تسع دول عربية وهي شاعرة بان مشاكلها الخاصة وقضاياها الحيوية والقومية قد وضعت في مفترق الطرق ؛ وان مستقبلها كدول وكمجموعة يتوقف على كلمتها في اجتماعها ؛ وان الاستمرار في المباريات الخطابية والتدبيجات اللفظية لم يعد له محل ولم يعد الوقت ولا الظرف يتسعان له .

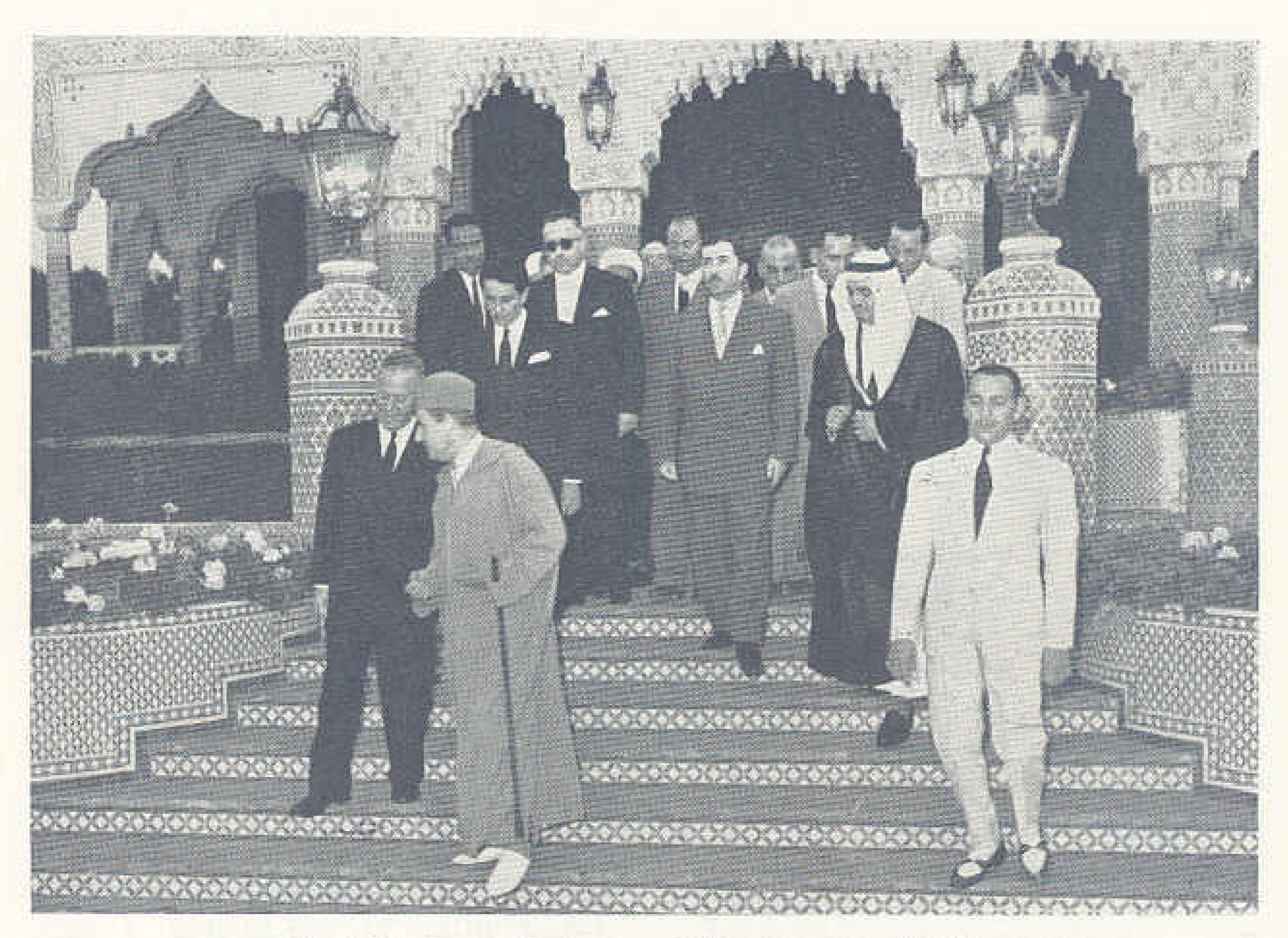
*

فقبيل اجتماع الدور الاخير بشهرين ونصف الشهر تقدم السيد داغ همرشلد الامين العام للامم المتحدة بتقريره الخطير الى الدول المضيفة ، حاول ان يضع فيه خطوطا لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين تقوم على ادماج مليون عربي فلسطيني في الحياة الاقتصادية للشرق الاوسط او اعادتهم الى فلسطين في ظروف قد يكون من المستحيل توافرها .

وحيث رمى التقرير المبني على اسس منطقية وتنهيج عقلاني الى (هضم) اللاجئين وتمثيلهم ، والنفوذ من كل ذلك الى الحل النهائي لقضية فلسطين التي يقف اللاجئون عقبة كؤودا امام انهائها ؛ وحيث تطرق التقرير الى الاحوال النفسية والاقتصادية والسياسية في جميع الدول المضيفة او الدول العربية المنتجة للنفط والقليلة السكان ، تلك الاحوال التي وجدها الامين العام في وضع المتطورة النامية وبالتالي القابلة لتوطين اللاجئين بها ، وحيث لوح التقرير بخطر انهاء ولاية وكالة الغوث فان جميع الدول العربية – التي ترى الحل لقضية فلسطين في اعادة اللاجئين الى ديارهم والرجوع الى قرارات الامم المتحدة الصادرة في عام 1947 – قد شعرت بخطر تلك الحلول واشفاقها من ان ينطلي ما حوته من احصاءات وتجسيم للامكانيات على الدول الاجنبية عند عرض التقرير على انظار الهيئة الاممية ، سيما وان تلك الدول لا تعرف الا بشكل غامض حرص العرب على حقهم القائم في فلسطين، الدائب في وجوب ارجاعهم الى ديارهم ، واخيرا الاماني القومية للشعب العربي الذي يعتبر خلق اسرائيل في قلب وطنه اعظم مؤامرة عدوانية على كيانه ومقوماته وحقوقه المشروعة في جزء من بلاده .

وقد تصورت الدول العربية وخاصة المضيفة منها ما يمكن ان ينتج عن اقرار تقرير الامين العام ، فبادرت باتخاذ الوسائل الضرورية لابراز ارادتها وفي مقدمتها اجتماع الخبراء العرب في صوفر (بلبنان) الذي تم خلال شهر غشت الاخير ، والذي قام بدراسة شاملة ، وقدم تقريرا الى مجلس الجامعة في الدار البيضاء يرد فيه على آراء همرشلد ويفند نظراته بحجج قانونية ومنطقية .

والى جانب تقرير همرشلد : كان هناك – عند الدعوة لاجتماع البيضاء – جانبان خطيران في القضية الفلسطينية وهما :



جلالة الملك سيدي محمد الخامس مع رؤساء وفود الدول العربية
في قصر دار السلام الملكي بالرباط

1 ـ قرب نهاية اعما لوكالة الغوث التابعة للامم المتحدة التي ستنتهي ولايتها في 30 يونيو 1960.

2 ـ اقتراح بعض الدول العربية خلق كيان فلسطيني وتأسيس جيش من ابناء اللاجئين .

ومما لا ريب فيه ان امورا من هذا النوع تحدث ردود فعل سيئة لدى الدول المضيفة وخاصة لدى المملكة الاردنية الهاشمية .

فالاردن يعتبر ان انهاء خدمات الوكالة سيخلق ازمة اجتماعية لا قبل له باحتمالها اذ كيف بامكانه ان يعيل ستمائة وخمسين الف فلسطيني وهو البلد الفقير الصغير ؟ واما البحث في موضوع الكيان الفلسطيني ـ ولا يعني ذلك سوى احداث دولة فلسطينية تضم القسم الغربي من الاردن وشريط غزة ـ لا يمكن ان يتم الا عن طريق تقسيم المملكة الاردنية وهو شيء لا يمكن ان تسمح لاحد بالخوض فيه .

ويجب الانتباه الى ان الاردن عندما رحبت باعادة علائقها بالجمهورية المتحدة وبادرت بتبوء مقعدها في مجلس الجامعة ، فان السبب هو وضع المشكل الفلسطيني على النحو السابق ، الامر الذي يستوجب التبصر الشديد والتعاون والحزم .

وبالمقابل فاذا كانت الجمهورية العربية هي التي حرصت منذ شهرين حرصا بالغا على طرح موضوع الكيان الفلسطيني وجيش فلسطين فانها قد راجعت رايها بعد التحسن الذي طرا على علائقها بالاردن ، واصبحت ـ بالرغم من تمسكها بحق عرب فلسطين في بلادهم ، وفي مثول الكيان الفلسطيني ـ

تعتبر ان الامر الذي يجب ان يولى الاهتمام هو تحديد موقف ايجابي عربي ازاء ما بعد للاجئين في الامم المتحدة ومجابهة نتائج انهاء اعمال وكالة الغوث .

*

والى جانب القضية الفلسطينية وجد العرب انفسهم امام تطورات خطيرة في القضية الجزائرية .

من الناحية الدولية وقع اتصال بين دوكول وايدناور ، واشيع بأن فرنسا قبلت ان تمكن المانيا من بناء قوتها العسكرية وأن تشركها معها في امتلاك القوة الذرية مقابل ان تمد المانيا اليد لفرنسا في الجزائر وتضع اموالها في مشاريع الصحراء .

الغربية بشكل غير مباشر في حرب الجزائر عن طريق مساهمتها المتجمية في الصحراء ؛ كانت شعوب العالم توالي مواكبتها لقافلة التحرر الجزائرية . فمن بكين الى منروفيا ومن الهافانا الى جاكارتا لا يسمع الانسان الا شعارات الحرية للجزائر والتضامن معها تدوي وتتجاوب .

ومن الناحية العسكرية فقد تطورت الحرب الجزائرية بعد تطبيق برنامج الجنرال شال واستعمال الاسلحة المحرمة في الحروب وتوسيع نطاق مراكز التجميع حتى اصبحت تضم مليوني جزائري معرضين للجوع والمرض ؛ وتعميم الخدمة الاجبارية على الطلبة ، ونقل العمليات الى الحدود المغربية الجزائرية ..



رئيس وفد المغرب في المؤتمر السيد عبد الله ابراهيم رئيس الحكومة ووزير الخارجية (الى اليمين) في حديث مع أعضاء الوفد الجزائري في المؤتمر

وكان بعد ذلك اجتماع دوغول — ايزنهاور ؛ ولم تكتم الجهات الرسمية في فرنسا ان دوغول ابدى استعدادا لايجاد حلف افريقي تتزعمه فرنسا يكون ذيلا لحلف شمال الاطلسي ، وذلك كثمن لتوسيع امريكا نطاق مساعدتها العسكرية ووقوفها الى جانب فرنسا في حربها وفي المحافل الدولية .

وفيما كان ديغول يوالي اجتماعاته وتخطيط برامجه لمحق الجزائريين ومحاولاته اشراك الدول

ومن الناحية السياسية كان على العرب ان يقدروا الانقسام الذي وقع في صفوف متمردي 12 ماي ، ودفع المعمرين الى التفكير في التعاون مع جبهة التحرير ؛ وفشل البرنامج الاقتصادي لعمالة قسنطينة وخيبة المساعي لاقامة النظام التمثيلي في الجزائر .

هذه النواحي الثلاثة والجديدة حقا في المشكل الجزائري — بالاضافة الى قرب عرضه على انظار هيئة

الامم المتحدة ـ نبهت الى ضـرورة تناوله بطريقـة تختلف عما الفته الجامعة من قبل ، وادخال العناصر المستجدة في الحسـاب .

*

ومنذ 25 غشت ، وهو اليوم الذي سجلت فيه اسرائيل شكواها ضد ج. ع. م. لاحتجازها الباخرة الدنماركية (انجةتوفت) التي كانت تحمل شحنة من الصادرات الاسرائيلية ، اصبح العرب يواجهون مشكلا دقيقا ربما يقود التهاون فيه او التقليل من اهميته الـى القضاء على مفعول المقاطعة العربية وتفريج الوضع في اسرائيـل .



السيـد عبـد الخالـق حسونـة ، الامين العام لجامعـة الدول العربية

وبالرغم من ان الجمهورية العربية تتمسك بحالة الحرب التي لا تزال قائمة ، وتقوم بناءا على ذلـك الاعتبار بمنع السفن الاسرائيلية من المرور في القنـاة حتى لا تفكر تلك السفن يوما ما في ان تقوم بعمليـة تخريب تهدف من ورائها الى تضييع واردات المرور على مصـر .

بالرغم من ذلك فان اسرائيل تسعى لدى جميع دول العالم محاولة ان تقنعها بشتى الوسائل بتاييدها في المطالبة بمرور سفنها بالقناة ، وهي تهدف الى فـك الحصار الاقتصادي المحكم حولها مـن جهة ومـن جهة ثانية تاخير المفاوضات الجارية بين مصر والبنك الدولي لتحسين القناة ، وثالثـا اثارة ازمة بيـن الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة على اعتبار ان الباخرة المتنازع عليها تؤجرها شركة امريكية .

وبعد كل ذلك كانت هنـاك ضـرورة ملحـة في الاتفاق على وجهة نظر واحدة في المواضيع المسطـرة في جدول اعمال الجمعيـة العموميـة وفي مقدمتهـا قضية التجارب النووية التي سجلها المغرب وقضية امامة عمان والترشيحـات لمناصب الامم المتحـدة والكمرون . . .



السيد فريد زين الديـن ، رئيس وفـد الجمهوريـة العربيـة المتحـدة

كما كان على المجلس ان يتخذ قرارات فاصلة في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونيـة وشؤون المواصلات .

وكان اول شرط لضمان موقف عربي موحـد جدي ، هو حضور كافة البلاد العربية بقلوب صافيـة ورغبة مخلصة في التعاون من اجل نصرة وجهة النظر العربيـة .



السيد هزاع المجالي ، رئيس وفـد الاردن

ذلك ما فكر فيه المغرب عندما ركز رئيس وزرائه – منذ اشهر – جهوده لازالة الشقاق بين الجمهورية العربية المتحدة وتونس ؛ وعندما دعى مجلس الجامعة فى يونيو للاجتماع فى الدار البيضاء . واخيرا عندما وجهت وزارة خارجيته رسالة اخوية الى الزعيم عبد الكريم قاسم ووزير خارجية العراق تحثهما فيها على ارسال وفد عربي عراقي الى المغرب .



السيد عبد الحميد المهري ، رئيس وفد الجزائر

فقد كانت بلادنا – عندما وجهت تلك الدعوة وهذه الرسائل – تقدر تمام التقدير الظروف الدولية والمحلية وما تتطلبه من اجماع وجدية ، ولم تفعل اكثر من تقديم برهان آخر على رغبتها فى مواصلة جهودها المثمرة التي بداتها فى بيروت (ابريل 1959) وفى القاهرة (يونيو 1959) والتي هدفت بها الى تقوية الجامعة وازالة اسباب الفرقة والجفاء بين دولها الشقيقة .



السيد احمد مختار ، رئيس وفد السودان



السيد رشيد كرامي ، رئيس وفد لبنان

واضافة الى ذلك فلا شك ان اجتماعا للجامعة يعقد فى الدار البيضاء بالقرب من اعظم ملحمة عرفها العرب فى تاريخهم ، والتي تقدم فيها الامة العربية مواكب الشهداء كل يوم ، ليحمل معنى التنبيه الى معركة حاسمة فى حياة امتنا ستقرر نتائجها خاتمة الصراع الدائر بين العرب والاستعمار منذ قرون .



السيد عبد المجيد كعبار ، رئيس وفد المملكة الليبية

وكذلك فمن السهل ان يدرك الانسان مغزى اجتماع ينعقد فى مكان لا يبعد الا ب 600 كلم عن المنطقة التي تزمع فرنسا على تفجير قنبلتها (الذرية والسياسية) فيها ، ولا يبعد كذلك الا بقليل عن منروفيا حيث دوت صيحة افريقيا المتحررة (لا مكان للاستعمار فوق قارتنا ، والمستقبل للملونين).

فمن الواجب اذن ان يسجل الارتياح الذي قوبلت به دعوة المغرب للاجتماع فى البيضاء من لدن جميع الدول العربية لان المغرب هو الدولة الوحيدة التي لا يوجد لها مشاكل من اي نوع مع البلدان العربية ، الامر الذي سيجعل تلك الدول عند اجتماعها تهتم بالقرارات اكثر مما تتصرف الى البحث عن الفاظ المجاملة والتملق .

وسيسجل فى تاريخ الجامعة ، باحرف بارزة ايضا حضور وفد الحكومة الجزائرية جميع الجلسات الشيء الذي لم تكن له سابقة ، وكذلك استماع المجلس الى تحية الرئيس توري التي نقلها وزير المالية والتخطيط الغيني ، والتي ترمز الى تعانق العرب والافريقيين وسيرهم المتوازن لبناء عالم متحرر كريم .



سمو الامير فهد ، رئيس وفد المملكة العربية السعودية

كل تلك الاعتبارات تؤكد الاهمية القصوى لاجتماع الدار البيضاء وتشير بما لا يقبل اللبس الى خطورة المرحلة التي يعيشها العرب التواقون الى الوحدة والقوة والتحرر .

ولا شك انه قد نتج عن خطورة المواضيع التي درست وعن اجتماع المجلس على مستوى وزراء الخارجية ، وعلى تغلب روح الاخاء والرغبة الصادقة فى الوصول الى قرارات حاسمة ، اتخاذ مجلس الجامعة اخطر قراراته منذ عرف الوجود فى عام 1945.

فاذا القى الانسان نظرة على تلك المقررات طالعته بسهولة الارادة العربية والتصميم العربي ، فما اتخذ فى شأن الجزائر وفلسطين وقنبلة فرنسا الذرية ، وعمان والكمرون والجنوب اليمني والمواضيع



السيد فاضل العمري ، رئيس وفد اليمن

المدرجة فى جدول اعمال الامم المتحدة ، تؤكد تماما وتشير الى ما ازمع عليه العرب من تغيير لاسلوب العمل داخل جامعتهم ورغبتهم الصادقة فى التفرغ الى معالجة قضاياهم بدلا من الالتهاء فى المعارك الكلامية بينهم .



وزير المالية والتخطيط الغيني ينقل الى المؤتمر تحيات الرئيس توري

ويقوم مصداقا على ذلك طلب وفد ج.ع.م. فى اول جلسة شطب كل ما يتعلق بنزاع حكومته مع الجمهورية التونسية ، رغبة فى تنقية الجو العربي واملا فى الاتجاه نحو العمل البناء المثمر .

وفى هذا الاطار المشبع بروح المودة والتصميم يقف المغرب ليقول على لسان مليكه العظيم : انه قد حان الوقت لتغيير وسائل العمل فى الجامعة وتبديل هيكلها حتى تصبح اداة صالحة لتنفيذ ما تهفو اليه امة العرب وما تطمح اليه الاجيال العربية الصاعدة .

مأساة اللغة العربية في المغرب

بقلم
عبد القادر الصحراوي

الوضع الذي توجد فيه اللغة العربية اليوم في المغرب ، لا يمكن وصفه بأقل من كونه مأساة مؤلمة محزنة .

هذه حقيقة بارزة لكل ذي عينين لا مجال الى الشك فيها او مناقشتها .

وحقيقة اخرى لا ينبغي ان يفوتنا تسجيلها في هذا المضمار ، هي ان هذه المأساة ليست وليدة اليوم او البارحة ، فقد وقع الشروع في نسج خيوطها منذ خمس واربعين سنة ،اي بالضبط منذ 30 مارس سنة 1912 وهو تاريخ عقد الحماية الفرنسية الذي فرض على المغرب فرضا ، كما فرضت عقود اخرى من قبيله على شعوب كثيرة كانت مستضعفة مغلوبة على امرها .

وقد كان منطق الاشياء يقتضي ان يقع الشروع في وضع حد لهذه المأساة منذ يوم 2 مارس سنة 1956 اي منذ الاعلان الرسمي لاستقلال المغرب ، ولكن الذي حصل بالفعل ـ مع كامل الاسف ـ هو شيء آخر غير ذلك ؛ الذي حصل بالفعل شيء آخر كانت نتيجته ، ان اللغة العربية ـ كما يقول كثير من المواطنين ـ لم تكن يوما ما في وضع اسوأ من الوضع الذي توجد عليه اليوم في المغرب ، وان اللغة الفرنسية ـ الحاكمة بالامس ـ لم يكن لها حتى في عهد الحماية ما لها اليوم من النفوذ والسيادة وسعة الانتشار والمكان الرفيع .

قد يكون في هذا القول شيء من المبالغة ، ولكن المواطنين مع ذلك يرددونه في اسمارهم واحاديثهم ، ويشكون منه مر الشكوى ، ويتألمون بسببه اعمق الآلام واشدها ، ومن حق المواطنين علينا ان نترجم احساساتهم ومشاعرهم الى كلام مكتوب حتى يتمكن المسؤولون من قراءته والاطلاع عليه ، ومن حق المسؤولين علينا ايضا ان ننقل اليهم كلام المواطنين ليكونوا على بينة من امرهم ، وليكونوا على علم بما يطلب منهم مواطنوهم الذين سلموهم قيادتهم ليسيروا بهم في طريق التحرر بجميع اشكاله والوانه ومظاهره . ولا جدال في ان من اهم مظاهر التحرر ، التحرر الفكري واللغوي ، وهما شيء واحد ، او كالشيء الواحد تماما ، كما قد يأتي شرح ذلك بعد حين .

*

نعم ، لقد كان الاستعمار الفرنسي منسجما مع نفسه وطبيعته عندما استهدف من اول يوم من تاريخه في المغرب ، ان يقضي على لغته القومية ـ دابه في كل مكان حل به ركابه المشؤوم ـ وان يحل محلها لغته هو؛ ذلك لانه يعلم حق العلم ، ان سيادة اللغة سيادة لاهلها ، وان استمرار سيادة اللغة القومية في البلاد المستعمرة لا يمكن ان يفسر الا بمعنى واحد ، هو ان المستعمر لم يبلغ فيها شيئا مما يريده من فرض سيطرته الكاملة على الارض والالسنة والعقول والقلوب .

لقد احتلت فرنسا ارض المغرب بقوة الحديد والنار ، ثم رأت ان ذلك وحده لا يكفي ، وانه لابد من تعزيزه باحتلال عقول السكان والسنتهم ، وتلك مهمة لا موجب في تنفيذها لحشد الجيوش ، واستعمال السلاح ، وانما يكفي في انجاحها برنامج مدرسي محكم ، ومدرسي فرنسي ، يجهل كل شيء عن البلاد التي انتدب للتدريس فيها ، ويعرف كل شيء عن عظمة فرنسا وتاريخها وحضارتها وامجادها وآدابها ، ويملاه الغرور والتعصب القومي والوطنية الضيقة العمياء .

وكان الاستعمار الفرنسي منسجما مع نفسه وطبيعته اكثر من ذلك ، عندما راى الا يخلي برنامجه المدرسي نهائيا من حصة اللغة العربية ، ينتدب للقيام بها في كل مدرسة شيخا من شيوخ الكتاتيب القديمة يتمثل فيه الجهل والتأخر والقسوة والفلظة . وعلى التلاميذ الصغار بعد ذلك ان يقوموا وحدهم ، وبدون تدخل خارجي ، بتنفيذ الباقي من الخطة

المحكمة ؛ عليهم ان يختزنوا فى ذواكرهم المرهفة صورة للغة العربية مقترنة دائما بصورة هذا الشيخ القاسي الغليظ ، وصورة اخرى بجانبها للغة الفرنسية مقترنة دائما بصورة المدرس الفرنسي الخفيف الانيق ، الممتلىء شبابا وحيوية وفهما وادراكا ، وتقديرا للمسؤولية الدقيقة الملقاة على عاتقه ، كمدرس ، وكمبشر فى نفس الوقت بحضارة فرنسا وثورتها وآدابها .

وكان من اللازم ان تنجح الخطة ، ولو الى حين، لانها كانت موضوعة باحكام ، ولان السلطة والمال لم تكن تعوز الذين وضعوها واشرفوا على تنفيذها ، كما كان من اللازم ايضا – وهذا هو ما حصل بالفعل – ان تصطدم هذه الخطة المحكمة برد فعل قوي ، خصوصا بعد ان استيقظ الوعي القومي وعم الاحساس بالخطر ، وقامت فى البلاد حركة وطنية تعمل على عرقلة خطط الاستعمار فى كل ميدان ، وتعمل فى نفس الوقت للتخلص منه نهائيا ، مهما تكن التضحيات المطلوبة فى سبيل هذا الخلاص .

وهكذا قام الشعب المغربي بقيادة جلالة الملك والاسرة الملكية الكريمة ،بفتح عدد من المدارس الاهلية فى جميع انحاء القطر ، يكون التعليم كله فى بعضها باللغة العربية ، ويكون فى بعضها الآخر مزدوجا ، على ان تاخذ فيه العربية وتاريخ الحضارة الاسلامية والمغربية مكانة ملحوظة واهتماما زائدا .

وقامت قائمة الاستعمار كما كان متوقعا ان يحدث ، وتفنن فى الكيد لهذه المدارس ومطاردة القائمين عليها والعاملين فيها ، بتصيد الفرص للتنكيل بهم وتعذيبهم والزج بهم فى المعتقلات والمنافي والسجون ، ولكن كل ذلك لم يكن يزيد الشعب الا تعلقا بهذه المدارس ، واقبالا عليها ، وايمانا باهمية الرسالة التي تؤديها لمستقبل البلاد فى الحفاظ على لغتها ، باعتبار هذه اللغة جزءا من الكيان القومي الذي يجب ان يظل قائما باستمرار ، مستقلا عن غيره ، محتفظا بشخصيته .

واقبل الكبار انفسهم رجالا ونساء فى حماس متزايد على هذه المدارس فى حصص ليلية ، يحاولون ان يستدركوا ما فاتهم من معرفة لغتهم العربية كتابة وقراءة وفهما ، وجعل يبدو للعيان فى تلك الظروف ان اللغة العربية قد استعادت اعتبارها فى هذا الجزء من وطنها الكبير ، وان المستقبل لها ، خصوصا عند ما تستقل البلاد ، وتصبح حرة فى التصرف فى مواردها ، وفي وضع التصميمات اللازمة للبلوغ بها الى اهدافها القومية والانسانية .

وجاء الاستقلال ، وكان من الممكن جدا ، ومن الطبيعي ايضا ، ان يكون الامر كما كنا جميعا نتصور ، وان تتخلى اللغة الفرنسية عن مكانتها للغة العربية ، وان تقنع بان تصبح لغة ثانوية ، كما هو شان كل اللغات الحية فى غير مواطنها الاصلية ، ولكن انحرافا ما حصل على اثر الاستقلال ، انحرافا ما جعلنا نتخلى عن الطريق التي كنا قد رسمناها قبل ان نستقل ، وان نظل سائرين – وبحماس – فى نفس الطريق التي كان الاستعمار يحملنا على السير فيها بالامس بقوة الحديد والنار .

وهكذا تخلينا عن طواعية عن مظهر من مظاهر سيادتنا القومية فى بلادنا ، وقبلنا عن طواعية ايضا ان نحتفظ لمستعمرنا وجلادنا بالامس ، بمظهر من مظاهر النفوذ والسيطرة والاستعمار .

وكانت نكسة حملت الذين كانوا يقبلون بالامس على تعلم اللغة العربية ليلا ، وارسال ابنائهم ليتعلموها نهارا ، على مراجعة موقفهم : ما لهم وللجري وراء لغة ميتة ، يضطهدها المستعمر فى ايام الاستعمار، ويتنكر لها ابناؤها فى ايام الاستقلال ! ؟

❋

انا لا اقصد هنا الحديث عن قصة اللغة العربية فى المغرب بعد الاستقلال فى المدرسة وحدها ، وانما اقصد الحديث عن ماساتها بصفة عامة ، فى المدرسة ، وفى الشارع ، وعلى السنة المثقفين ؛ واقصد الحديث عن ماساتها بصورة خاصة فى الدواوين الرسمية وفى اعتبار كثير من الموضوعين فى مراكز المسؤوليات الكبيرة ، وفى هؤلاء من لا يستطيع حتى اليوم ان يصدق ، ومهما بذلت من جهد فى اقناعه ، ان اللغة العربية يمكن ان تصلح لشيء آخر اكثر من ان تكون لغة التعليم فى الكتاب ، حيث يمحو الاطفال الواحهم الخشبية فى كل صباح ، ويصبغونها بالصلصال ، ويقعدون بها فى حلقات على الحصير امام الفقيه ، ليملي عليهم بعض السور من القرآن الكريم ، او بضعة ابيات من الفية مالك او من قصيدتي البردة والهمزية .

وانا هنا لا انشيء الكلام انشاء ، وانما اتحدث عن تجربة شخصية مع مسؤول يتحكم بطبيعة مركزه في مستقبل المئات ان لم اقل الآلاف من ابنائنا ، يقبل من يقبل منهم اذا كان في المستوى التعليمي المطلوب ، على شرط ان تكون لغة تعليمه هي الفرنسية، ويرفض الآخرين ولو كانوا فوق ذلك المستوى المطلوب، اذا كانت لغة تعليمهم هي العربية ، لماذا ؟ لان العربية كما يقول هذا المسؤول لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تكون لغة تعليم .

هذا المسؤول يقول لك اذا ناقشته في الموضوع ـ كما قال لي من قبل ـ انه لا يستطيع أن يتصور مطلقا ان يلقن التلاميذ الحساب والجغرافية وغيرها من العلوم باللغة العربية ، ذلك لا يجوز أن يكون ابدا ، وما يقال من كلام من هذا القبيل لا يعدو ان يكون تهريجا وتدليسا وكذبا وغشا مفضوحا ، لا ينبغي ان يؤخذ به رجل عاقل عارف ببواطن الامور .

هذا المسؤول الذي اتحدث عنه لم يأتنا من اسرائيل ، وهو ليس فرنسيا ولا اسبانيا ، وانما هو ـ وهذا هو صلب المأساة ـ مغربي عربي مثلي ومثلك ومثل الآلاف من عباد الله الطيبين الذين يعمرون هذا الوطن السعيد ... !

واذكر انني بعد ان تحدثت الى هذا المسؤول ، وبعد ان سمعت منه هذا الكلام الذي يترجم عن نفس الفاظه بالحرف ، خرجت من مكتبه وقد اخذ يتضح لي لاول مرة معنى الكلام الذي سمعته مرارا من قبل ، كما سمعه غيري من قدماء المعلمين في المدارس الاهلية العربية ، من تلامذتهم القدماء .

هؤلاء التلاميذ الذين اصبحوا اليوم رجالا في حاجة الى العمل ، يقولون لنا نحن المعلمين القدماء في المدارس الاهلية العربية : لقد جنيتم علينا ، لقد ضيعتم مستقبلنا ، كنتم تقولون لنا بالامس ان المستقبل للعربية ، وها قد اصبح المستقبل حاضرا وها نحن نرى اترابنا ممن تلقوا تعليمهم باللغة الفرنسية، تفتح في وجوههم كل الابواب ، على حين تغلق في وجوهنا نحن كل الابواب ، لا لذنب جنيناه الا لاننا تلقينا باللغة العربية نفس التعليم الذي تلقوه باللغة الفرنسية ؛ وها نحن نقرأ في جرائدنا العربية الوطنية في كل يوم اعلانا عن عمل ، وتدفعنا الحاجة الى قراءته في لهفة ، فاذا الشرط الاساسي الاول للقبول في هذا العمل ، ان يكون طالبه حاملا للشهادة كذا باللغة الفرنسية .. دائما باللغة الفرنسية ! كأننا في باريس او بوردو او مرسيليا ، او كأننا في مستعمرة فرنسية، لا وجود فيها الا للغة المستعمر الفرنسي .

وانت تستطيع ان تقول كلاما كثيرا في تفنيد هذه الثورة ، لكن هذا الكلام لا يستطيع ان يجد لهذا الثائر عملا ، او ان يضمن له خبزا ، فضلا عن ان يضمن له حياة محترمة شريفة كمواطن ، وكمواطن على قسط لا بأس به من التعليم .

*

ذكرت من قبل انني لا اقصد الحديث عن قصة اللغة العربية في المدرسة وحدها ، فالحقيقة ان القائمين على شؤون التعليم، وان كانوا لم يسيروا في تعريبه بالجرأة والحزم اللذين تقتضيهما الروح الثورية ، الا ان الذي يبدو عليهم ان قضية التعريب هذه ليست بعيدة عن تفكيرهم بالمرة ، لكنهم يفضلون السير فيها ببطء ، ومعالجتها بكامل الحذر ، خوفا من حدوث نكسة قد تكون اضر بقضية التعليم من تركه فرنسيا ، او فرنسيا في الدرجة الاولى عربيا في الدرجة الثانية .

وهي وجهة نظر تستطيع ان تلحظها بوضوح من برنامج السنوات الخمس للتعليم الذي أعلن اخيرا ، ولسنا نستطيع هنا ان نجزم بان وجهة النظر هذه مخطئة كل الخطأ او مصيبة كل الصواب : ولكن الذي نستطيع ان نجزم به ، هو ما يقرره علماء التربية من ان ذهن التلميذ في المرحلة الابتدائية لا يستطيع ان يتحمل تعلم لغتين في وقت واحد ، كما نستطيع ان نجزم بشيء آخر ، وهو ان التعليم في كل امة تحترم نفسها وتاريخها يجب ان يكون تعليما قوميا ، ولكي يكون التعليم قوميا يجب ان يكون بلغة البلاد ، لان اللغة ليست مجرد اداة للتخاطب ، وليس مجرد اداة لنقل المعلومات والتجارب او تلقيها ، وانما هي فوق ذلك كله ، جزء من الكيان القومي ، هي مني ومنك ، بمثابة تاريخنا المشترك ، وارضنا المشتركة ، وكما لا نقبل ان نتخلى عن تاريخنا او ان نستبدل به تاريخا آخر ؛ وكما لا نقبل ان نتخلى عن ارضنا او ان نستبدل بها ارضا غيرها ، فنحن لا نقبل بالمثل ان نتخلى عن لغتنا او ان نقبل بها لغة اخرى، حتى ولو كانت لغة المستعمر الذي اكرهناه على الاعتراف باستقلال ارضنا عن ارضه ، ثم قبلنا عن طواعية ان نترك لساننا تابعا

للسانه ، وبالتالي ان نترك فكرنا تابعا لفكره ، لان اللغة والفكر متلازمان كل التلازم ، الى الحد الذي يجعل علماء اللغات يقررون ان اللغة هي الفكر ، واننا نتكلم بالفكر ، ونفكر بالكلام .

ونحن لا نتهم احدا ، نحن لا ندعي ان القائمين على شؤون التعليم في بلادنا يقلون عنا او عن غيرنا حماسا لقضية تعريب التعليم ، ونحن نعلم من جهة اخرى ان المناداة بالفكرة هي غير معاناة تطبيقها ، لان التطبيق يخضع دائما للامكانيات ؛ وامكانية تعريب التعليم في المرحلة الابتدائية على الاقل تتطلب عددا هائلا من القادرين على تلقين المعلومات بالعربية ، ونحن لا نتوفر على هذا العدد ، كما اننا لا نزال مضطرين الى الاستعانة بكثير من المدرسين من الخارج .. من فرنسا !

ولا نجيب على كل هذا المنطق الطويل العريض ، الا بسؤال بسيط : لماذا من فرنسا بالذات ؟ لماذا لا يكون هذا العدد الهائل من المعلمين الذين نحتاج الى الاستعانة بهم من الخارج .. عربا ؟ من الجمهورية العربية المتحدة مثلا ، ومن العراق ولبنان ، مع العلم باستعداد هذه البلاد الكامل لامدادنا بالعدد الكافي من المعلمين للمرحلة الابتدائية على الاقل .

نعم . قد يقال ان هذا العدد الكافي من المعلمين العرب ، قد يوجد من بين افراده من يحمل افكارا سياسية خاصة ! لكن ما القول في المعلم الفرنسي ؟ أليس من المؤكد انه يحمل هو الآخر افكارا سياسية خاصة ، ويحمل لنا معها كراهية خاصة ، وحقدا خاصا ، وتعليمات خاصة ، يعمل بمقتضاها مدرسا ، ومبشرا ، وجنديا في لباس مدني ، وفردا في الطابور الخامس ، واشياء اخرى كثيرة قد لا نعلمها الآن ، وقد تكشف لنا عنها الايام بعد فوات الاوان .

*

وننتقل من المدرسة الى الدواوين الرسمية حيث تتمثل المأساة في ابشع مظاهرها ، وحيث مختلف الوزارات والادارات والمصالح لا يكتب بعضها الى بعض الا باللغة الفرنسية فيما عدا بعض الحالات القليلة النادرة جدا .

ونحن نذكر هنا للحقيقة فقط ، ان وزارة واحدة من بين جميع الوزارات المغربية نجحت في ان تعرب نفسها تعريبا كاملا ، تلك هي وزارة الاوقاف التي تصدر عنها هذه المجلة .

ونحن لا نذكر ذلك لان هذه المجلة تصدر عن الوزارة المذكورة ، وانما نذكره كما اسلفنا للحقيقة فقط ، ومن باب ان الاستثناء يؤكد القاعدة كما يقولون .

نعم ، لقد نجحت وزارة الاوقاف في ان تعرب نفسها تعريبا كاملا ، بالرغم من وجود عدد من الفنيين الاجانب في بعض وظائفها حتى اليوم ، وبالرغم من كونها تتعامل مع كثير من المؤسسات الاجنبية ، ومع كثير من المهندسين والمقاولين الاجانب ، من فرنسيين وغيرهم ، وهي لم تأخذ في التعريب بقاعدة التدريج المحببة الى المسؤولين في بلادنا ، او التي يتسترون من ورائها ، وانما اصبحت معربة بكيفية كادت تكون اتوماتيكية بمجرد تكوين اول حكومة في عهد الاستقلال .

واذا كان ذلك يرجع الى شيء ، فانما يرجع في الحقيقة والواقع الى ان الذين وكل اليهم امر الاشراف على هذه الوزارة عند تأسيسها كانوا مؤمنين حقيقة بقضية التعريب متحمسين لها .

نعم ، لا جدال في ان تعريب وزارة الاوقاف قد يكون اسهل من تعريب وزارة اخرى تتسم اعمالها كلها بسمة الفنية الدقيقة ، ولكن المهم هو ان نتفق اولا على المبدا ، واذا لم ننجح منذ الآن في تنفيذه تنفيذا كاملا ، فلا اقل من ان نرسم طريقه ونشرع فيه .

ونعود الى دعوى الفنية الطويلة العريضة ، فنتساءل :

اي مدخل للفنية عندما تكتب مصلحة الامن مثلا استدعاء بسيطا لمواطن مغربي عربي ، تطلب منه فيه ان يحضر الى مكتب كذا في ساعة كذا ؟

اي مدخل للفنية عندما تحيل وزارة من الوزارات المغربية على وزارة اخرى مغربية تقريرا مكتوبا باللغة العربية ، واردا من بلد آخر عربي غير المغرب طبعا ؟

اي مدخل للفنية عندما تكتب وزارة التهذيب الوطني مثلا ، الى المدارس الاهلية العربية منشورا تخبرها فيه ان عطلة نصف السنة ستبدا في منتصف ابريل وتنتهي في آخره ؟

اي مدخل للفنية عندما تكتب ادارة البريد مثلا ، الى مواطن مغربي عربي ، رسالة صغيرة تخبره فيها بوصول طرد باسمه او حوالة او غير ذلك ؟

اي مدخل للفئة عندما تصل الى مطار الدار البيضاء مثلا ، فلا يقبل منك ان تملأ الاوراق التي تقدم اليك ، والتي تستلزمها الاجراءات القانونية ، الا باللغة الفرنسية ؟

لا شك ان دعوى الفئة في كل ذلك وفي كثير جدا من الامثلة غيره دعوى باطلة ، واني لاجاهد نفسي جهادا حتى لا اصف هذه الدعوى بوصف آخر ، قد يكون له وقع سيء على بعض الاسماع ، كما ان التلفظ به مما لا تقتضيه الآداب التي تحرص هذه المجلة على مراعاتها .

نحن لا نقصد التشهير بأي انسان ، او بأية مؤسسة ، وانما ننقل هنا الى المسؤولين كلاما يتحدث به جميع المواطنين ، وقد لا تواتي المسؤولين الفرصة لسماعه منهم ، فلا اقل من ان نكتبه لهم هنا على امل ان يقراوه ، وعلى امل الا تحول بين بعضهم وبين قراءته انه مكتوب باللغة العربية !

ونزيد الامثلة التي اسلفناها ايضاحا بذكر مثال واحد قد يكون اقوى في الدلالة منها جميعا :

هذا ضيف عربي مقيم بالمغرب يشتغل باستيراد الكتب العربية والتجارة فيها ، تقتضيه مهنته ان يكتب الى مؤسسة علمية مغربية رسالة من الرسائل العادية التي تظل مثيلاتها تتوارد على المصالح والمؤسسات الرسمية ، لكن الضيف العربي يرتكب غلطا شنيعا ، ذلك انه كتب رسالته الى المؤسسة العلمية المغربية باللغة العربية ، لغته هو ، ولغة المسؤولين عن المؤسسة التي كتب اليها .

ويستبطيء الضيف العربي الجواب عن رسالته، خصوصا بعد ان مضى عليها نحو سنة ، ويزور المؤسسة للسؤال عن مآل القضية التي كتب في شانها ، وللاستفسار عن سبب تأخر الجواب الى هذا الحد .

ولا يعنينا هنا ما اجيب به الضيف العربي عن قضيته ، وانما يعنينا انه اجيب بصراحة بان السبب في تأخر الجواب ، انه كتب رسالته باللغة العربية !

فيا موت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدي ان دهرك هازل

ورحم الله ابا العلاء المعري ، ورحم معه اللغة العربية في بلد عربي منذ نحو من ثلاثة عشر قرنا من الزمان .

هذا قليل من كثير عن مركز اللغة العربية ومركز اللغة الفرنسية ، كلغة كتابة في الدواوين الرسمية .

اما كلغة حديث ، فان من الانصاف ومن الوفاء للحقيقة ان نقول : ان اللغة العربية ليست مغبونة غبنا كاملا ، بالرغم من تفوق اللغة الفرنسية عليها حتى في هذا الميدان .

ان المسؤولين المغاربة وان كانوا يتحدثون الى مرؤوسيهم الاجانب بلغتهم — اقصد طبعا بلغة هؤلاء الاجانب — فانهم مع بعضهم او مع مرؤوسيهم من المغاربة يتحدثون لغة مزيجا من العربية والفرنسية ، وقد يستبد بهم الحماس احيانا ، فيلغون العربية الغاء، لانها غير كافية للتعبير عن افكارهم .. ! ويتحدثون لغة فرنسية صرفا ، قد يحسدهم عليها سكان حي (الاليزي) وشارع (الاوبرا) بباريز .

فهل كتب على اللغة العربية بعد الاستقلال أن تكون اسوا حظا — حتى كلغة حديث — مما كانت عليه في عهد الحماية المشؤوم ؟

اذكر بهذه المناسبة انني كنت عضوا في منظمة الكشفية الحسنية حوالي سنة 1942 وكنا في هذه المنظمة نحرص على تعويد انفسنا ، وتعويد الاطفال الصغار الذين كنا نسيرهم ، على الحديث بلغة عربية لا تشتمل على اي لفظ غير عربي ، بل ذهبنا الى حد اننا كنا نفرض غرامة على كل من يتلفظ اثناء الحديث بلفظ اجنبي . وكنا احيانا نصطدم باشياء لا نعرف لها اسما غير الاسم الفرنسي غالبا او الاسباني في بعض الاحيان ، فكنا نستشير المعاجم ، ونسال من هم اكبر منا سنا واكثر ومعرفة باللغة العربية .

ولم يكن هذا عبث صبيان ، وانما كان مثالا من الاستجابة لروح المقاومة المغربية العربية ، تلك الروح التي كانت تحدونا جميعا الى المحافظة على كياننا القومي ، وتحصينه من مفعول سياسة الادماج التي كان الفرنسيون يحرصون على تطبيقها في بلادنا ، مستعينين على ذلك بمحاولة فرنستنا لسانا وفكرا وشعورا .

ويبدو ان الفرنسيين قد نجحوا بصورة او باخرى فيما كانوا يحاولون ، ولو ان هذا النجاح لم تظهر آثاره واضحة للعيان الا بعد الاستقلال ، أي الا بعد ان فترت روح المقاومة التي كان يذكيها وجود المستعمرين بين ظهرانينا كحكام مسيطرين .

واللغة ، اية لغة ، يمكن لها ويعمل على انتشارها ان تكون لغة الحكام والمسؤولين . هذه قاعدة تاريخية واجتماعية يقررها علماء اللغات ، ويشهد على صحتها الواقع ، واقرب شاهد الينا على صحتها ، ان عدوى الحديث بالفرنسية قد بدات تسري من الحكام والمسؤولين الى بعض طبقات الشعب نفسه .

واذا كان الشعب الذي معناه سكان الاحياء الاهلية وسكان مدن الصفيح ، لا يزال يتكلم العربية لانه لا يعرف لغة غيرها ، او لانه متمسك بعروبته ، فان الشعب الذي معناه سكان الاحياء العصرية الراقية، وافراد الطبقة المتمولة ، وبعض المثقفين ، قد بدا يستنكف من الحديث باللغة العربية ، حتى لا يوسم بانه متاخر او جاهل او رجعي ، او (بلدي) على حد تعبير اخواننا المصريين .

وليسمح لي هنا بعض اخواننا الذين يحرصون الا يطلقوا كلمة الشعب الا على البؤساء والفقراء والمساكين ، ليسمحوا لي اذا اطلقت كلمة الشعب على هؤلاء ، وعلى غيرهم ، بالرغم من ان هؤلاء الاخيرين يتعالون عن الحديث بلغة الشعب ، اللغة العربية ، التي هي لغتنا جميعا احببنا ام كرهنا ، لغتنا جميعا ولو طرنا فرارا منها الى السماء ، لغتنا جميعا ، ولا راد لقضاء الله ، ولا مفر من قدره . فقد قدر ان نكون عربا ، وسنظل عربا الى يوم يبعثون !!

قلت ان عدوى الحديث بالفرنسية قد بدات تسري من الحكام والمسولين الى بعض طبقات الشعب نفسه ، واذكر بهذه المناسبة ايضا انني كنت منذ مدة قريبة في مصطاف (ايفران) وكنت اقابل في كل يوم في مكان ما ، عائلة مغربية قدمت للاصطياف من مدينة فاس ، المدينة التي نفترض فيها جميعا انها معقل العربية ، وحصن من حصونها في العالم العربي كله . كانت تبدو على هذه العائلة مظاهر الغنى والتجديد في اسلوب الحياة ، وكان افرادها جميعا ــ حتى الاطفال الصغار ــ لا يتحدثون مع بعضهم الا باللغة الفرنسية وكان من الطريف ان تسمع طفلة من العائلة تنادي طفلة اخرى باسمها العربي ، محرفا الى الطريقة الفرنسية . فقد كان اسم الطفلة نعيمة ، وكانت اختها تدعوها (نيما) .

ولم تشغلني الطرافة عن التفكير جديا في الموضوع، فقد بدات اخشى ان يكون معنى هذه الظاهرة الجديدة ، انه قد بدات تتكون فينا طبقة منفصلة عن الشعب شعوريا ، تخجل من عروبتها ومغربيتها ، كتلك الطبقة التي كانت ببعض بلاد الشرق العربي ، والتي تجد اليوم نفسها في تلك البلاد مخيرة بين اثنتين لا ثالثة لهما : اما الفناء ، واما الاندماج في الشعب اندماجا حقيقيا ، وتبني قضاياه ، والتحمس لكل ما يتحمس له .

*

وبعد ، فما هو مستقبل اللغة العربية في المغرب؟

سؤال يبدو ان الاجابة عنه الآن لا تعدو ان تكون ضربا من التخمين ، ولكن عند التفكير يبدو انها ليست كذلك ، وانها من السهولة بمكان كبير .

مستقبل العربية في هذه البلاد ــ بالرغم من كل ما تقدم ــ انها لغة المستقبل ، كما كانت لغة الماضي، وكما هي الآن لغة الحاضر في ضمير الشعب وعلى لسانه .

هذا هو الذي يقتضيه منطق الاشياء ، وسير التاريخ ، وهذا هوالذي يريده الشعب، وارادة الشعب لا يمكن ان تقهر ، وكما حققت هذه الارادة استقلال ارضنا عن ارض فرنسا ، فستحقق ــ ان عاجلا او آجلا ــ استقلال لساننا عن لسانها ، وفكرنا عن فكرها .

اما المعوقات التي تقف اليوم في طريق قضية التعريب ، فان تاثيرها لا يعدو ان يكون تاثيرا موقتا ، قد ينجح في تاخير نجاح القضية ، ولكنه لا يستطيع ان يحكم بفشلها .

ان التاريخ لا يمكن ان يتحول عن مجاريه الرئيسية مراعاة لمصالح بعض الافراد ، او تملقا لمزاجهم ، ومنطق التاريخ يوحي بان السيادة اللغوية في هذه البلاد ستكون للعربية وحدها ، لانها ــ اي السيادة ــ ستكون كاملة غير منقوصة للمغاربة ، اصحاب هذه اللغة ، في بلادهم .

وما على الذين قد لا يكون ذلك من مصلحتهم ، سواء من المغاربة او من غيرهم ، الا ان يعملوا بهذه النصيحة المثينة التي نسديها اليهم لوجه الله ، وقياما بواجب المواطنة او واجب الضيافة ، وهي ان يسبقوا الزمن، وان يكبوا من ساعتهم هذه اكبابا على تعلم اللغة العربية . ونحن نضمن لهم مقدما انها ليست من الصعوبة بالمكان الذي يتصورون ، كما نضمن لهم شيئا آخر ، هو انهم سيجدونها لا تقل جمالا وسعة عن اية لغة اخرى من اللغات الحية الراقية ، بما في ذلك اللغة الفرنسية نفسها !



من يدري ؟

من اليوم حتى ثلاثمئة سنة قد تأتي روح من العالـم الواسع تفهمني وتبكيني .

منذ أيام وأيام ، وأنا لا أفتر عن قراءة هذه الابيات وتلاوتها حتى أصبحت مني بمثابة النفس المترقرق في جداول دمائي ، تترصدني هي عن قصد ، واتلوها أنا عن عفو . اقراها في كل شيء اراه والمسه وافكر فيه ؛ اقراها في أصابعي الجاهلة الخشنة الطائشة التي تمتد بدون علم مني ، فتتناول هذه الاشياء المبعثرة حولي جاهلة بماهيتها ، وماهيتي أنا منها ، فأشفق من أصابعي الفريرة الحمقى ، وأسجنها في رقيف ظلامها بعد أن أعظها وأرشدها وأحذرها ، والمسها في نور عيني الجموح الذي لا يطيع ارادتي ، فينفر من جفني ، وقد تمسك برماد ظل ، أو تسلق دخان حجر ، أو انزلق الى قاع جذر ، أو طفا على نهد غمامة ، فتتملكني الدهشة الزرقاء من عصيان عيني ، وتفكيري كم بات يمضغني ويجترني بخيالاته التي تجنح بي الى عوالم وعوالم لا ادري غايتها مني ، ولا غايتي منها .

❊

تلك كانت حالتي منذ أن وقعت عيناي على تلك الابيات من الشعر التي جعلتني انفر من كل شيء ، واحذر من كل شيء يعيش معي بالذات او بالخيال او بالاحساس ؛ انفر حتى من وجودي معتقدا ان بيني وبينه هوة سحيقة من الغربة النافرة ، والهجرة المبحوحة الصدى .

تعيش الاسماك في احواض من ذهب ، ولا تدري ماهية الاحواض الذهبية منها ... وبين الاحواض والاسماك صداقة قديمة يعرفها الماء ، ويمجدها البخار. ويعيش الشاعر في احواض هذه الحياة ، فيخنقه سياجها المحكم عليه باسوار من الغربة ، فأفكاره وخيالاته واحاسيسه وعواطفه يشعر بها غريبة عنه ، فينفيها من وجوده مرة ، ويتمسك بها مرة أخرى ، محاولا أن يسبر اعماقها التي هي أعماقه . ومن هذا العراك المحموم ينبثق الم الشاعر ويزيد في الانبثاق حتى يغدو جمرة من الحماس والعنف ، فيجحد عالم وجوده الضيق ، وما يشمله ، وينفر منه الى عالم آخر أرحب واوسع ، متمسكا به ومتعلقا :

من يدري ؟
من اليوم حتى ثلاثمئة سنة
قد تاتي روح من العالم الواسع
تفهمني وتبكيني

لم يصلني من شعرك يا « نجوين دو (❊) » الا هذه الابيات ، ورغم قلتها فقد عرفتك من خلالها معرفة

(❊) يعد « نجوين دو » اب الشعر الفيتنامي . **ولد** سنة 1765 . ينحدر من عائلة من كبار الحكام . عين ثلاث مرات سفيرا في بكين . استعار لنفسه اسم « صياد الجبل » . هاجر الى الغاب . توفي سنة 1820 . من مؤلفاته « رحلة الى الشمال » . « **نهاية اسرتي** » ملحمة « كيم فان » في ثلاثة آلاف بيت يقال انه نظمها في ليلة واحدة .

جعلتني اعيش معك وفيك وفيما حواليك زمنا طويلا ، حتى كدت انسى هذه السنين التي صرفتها في وطني ، بين اهلي واصدقائي واحبائي ، وكدت انسى معها لغتي ، اذ وجدتني اتكلم بلغة لا افهمها ، ربما قد تكون لغتك ولغة وطنك « الفيتنام » الذي زرته فتعرفت على ناسك واهلك واصدقائك من بشر وجدول وطير ونجم وطريق فحدثوني عنك ، ففهمت من احاديثهم أن الجدول يتلوى بين الصخور راقصا تارة ، وضعيفا شاحبا متألما تارة اخرى ، وعلى رقصته وشحوبه تشرب السهول الرحيبة موعدها معه ، كما فهمت ان الرياح في طريقها تبني الهضاب والآكام ، الا انها لا تستقر الا على قمم الجبال وفي ثغورها ، ورافقني بعض ناسك الى قصور آبائك وعائلتك الحاكمة وقتذاك ، فحدثتني اقواسها المرمرية ، واسقفها المذهبة ، وعرصاتها الرحيبة ، ففهمت منها غربتك التي كانت تعريك من لحمك ودمك وعظامك وانفاسك ، وتتركك كوهم سقيم ؛ وفي غربتك مرارة ، وفي مرارتك نفور جامح من هذه القصور التي يطيب للعناكب والفئران ان تبني فيها مجدها . ان مجدا يتكىء على القصور لابد من ان يهوى من قببها ، فيمسي خرائب واطلالا ، وجثة كبرياء تضحك منها الرياح ، كما حدثتني اقاربك عن رجوعك من وظائفك السياسية ، وكرامتك مهشمة ، وعاطفتك مجمدة ، وعلى خدك مساحيق و « ميكياج » البسمات البلهاء ، ففهمت هجرتك الى الغاب ، الى قمم « هونج لين » ملاعب النجم ، والنسيم الطويل ، ومغاني الاصباح المضفرة بالندى ، ومرائع الاصداء الوارفة تحت ظلاله أشجار الشفق ، وخلقها قلبك الطائر الى كل مكان .

هكذا عرفتك يا « نجوين دو » وهكذا عشت معك احقابا واحقابا من الصمت العريض .

فما اطول صوتك ! وما اعمق روحك الدافئة المتغلغة في كل هذه الاشياء التي تعيش معي مبعثرة في طريق حياتي ، فتمتد اليها اصابعي الجاهلة لتتناول بعضا منها ، جاهلة بان صوتك متغلغل بدموعك فيها ، منذ أن قرأت تلك الابيات من شعرك الى يومنا هذا !

فما اجهلني ! وما أجهل الانسان بكل ما تتناوله أصابعه ، ويدركه خياله ، وتراه عينه ! وما اجهله بحواسه التي لا تطيع ارادته ، فلا هو يفهم اعمالها ، ولا هي تدرك ماهيتها منه



مناجاة — للفنانة المغربية شمس الضحى اطاع الله — معرض الفنانين المحليين بتطوان — ابريل 1959





اخذ صاحبي اللبق الذي عرفت فيه ظرفه وخفة روحه يمهد للحديث كعادته ، ويستعد لرواية قصصه المثيرة ووقائعه المسلية . الا انه لم يكن هذه المرة يبدو مرحا كما تعودته ، ولم يكن يستخفه الحديث فيسرف في القول او يرسل النكت تباعا ، ساخرا من الناس ومن الزمن ، وحتى من نفسه احيانا ، لا يدخرها ان استدعت الظروف ان تاخذ نصيبها في مجرى قوله.

لقد خالف هذه المرة ما الفته منه اذ اخذ يستعيد ذكرياته وهو ساهم حزين عن هذا العامل الذي لم ير له مثيلا بين اقرانه ، على كثرة ما تعاقب على معمله من الوافدين، وما توارد عليه من مختلف الوجوه والاجناس ومن متباين الاعمار .

قال صاحبي : تقدم الي يطلب عملا ، وبدا عليه انه غريب وصل البلد حديثا . وكان سمته يشير الى انه من منبت كريم ، كان المعمل معمل خياطة ، ولم يكن له المام بهذه الصناعة الا من بعيد . وقد دفعني حافز خفي للاخذ بيده ، ومساعدته على ايجاد عمل شريف يعيش منه .

وبدا العمل ، وكان يلمع ذكاء ، فلم تمض عليه مدة، حتى اخذ باطراف المهنة واصبح في صفوف المبرزين من عمالي . وكان يعمل بدون حساب الزمن ، اذا جلس امام آلة الخياطة لا يحيد عنها الا حينما تنهار قواه وتعجز اعصابه عن مواصلة الاحتمال . وتضايق العمال من نشاطه المثالي المتجاوز الحدود الذي كان يحرجهم ويظهرهم بمظهر الكسالى المقصرين . وتضايق هو الآخر ، وطلب ان يوضع في مكان على انفراد ، مهما كانت حقارة ذلك المكان ، مطبخا او مغسلا او مستودعا السيارة او البضائع ، انما يشترط فقط ان يكون في خلوة مع نفسه ، وظننت ان مرد ذلك الى عدم انسجامه مع زملائه العمال ، فساعدته واعددت له مكانا منفردا اخذ يقضي فيه اليوم بكامله ، منكبا على آلته كامل النهار وشطرا من الليل ، يواصل العمل في اجهاد ، وهو لائذ بالصمت لا يفوه بكلمة ، ولا يتحدث حتى مع نفسه . وعجبت لحاله او بالاحرى رثيت له واخذ الشك يساورني في انه منطو على ماساة مريرة ينفطر لها قلبه الفتي ، وبدات أتساءل ، هل هي ماساة غرام ، ومن تكون هذه التي استبدت بلبه وملكت عليه مشاعره حتى اصبح كالظبي النافر ، لا يكاد يرى الناس حتى يفر منهم ويعتصم بغاره الذي يجد فيه متنفسا وملاذا . يا حبذا لو استطعت التعرف على دخيلة نفسه فامد له يد المساعدة واحقق له بعض مناه ، ان كان ذلك مما يستطاع تحقيقه .

لم اجرؤ على مفاتحته لاكتشاف سره الذي كان به ضنينا ، وبدات اتطلع لعلي انفذ الى اغوار نفسه المعذبة ، ولكنه لا يزداد الا لياذا بالصمت وبعدا عن الناس . وكنت الاحظ احمرارا مستمرا في عينيه ، فما ادري أهو من اثر بكاء يتنفس به عن كربه في ساعات

خلوته ، أم هو من اثر الاجهاد فى العمل ، والتعب المتواصل ؟ ولم يعد يساورني شك فى ان قلبه أطاحت به ظبية نفرت عنه ، ولم يهتد الى مكانها ، ولم يجد للحاق بها سبيلا ، فاستسلم للحزن والخلوة والبكاء ، وتسلح بالعمل ، لعله يجد فيه متنفسا لهمومه ، وشاغلا عن ماساته .

ومر ما يزيد عن السنة ، منذ التحاقه بالعمل ، ولم اتقدم خطوة واحدة فى محاولاتي لكشف كربه . وكنت اشفق عليه ، واتعذب من بعيد لحالته التي اخذت تنذر بخطر شديد ، اذ كان جسمه النحيل قد اخذ يذبل رويدا رويدا . وأضحى هيكله النحيف أشبه ما يكون بأشباح الموتى تمشي على وجه الارض .

وزاد من غموض حالته انه كان يقسو على نفسه وياخذها بالشدة المتناهية ، وجاء رمضان ، فكان يتناول فى السحور ما يسد الرمق ، وهو الوجبة الوحيدة التي يتناولها طيلة الاربع والعشرين ساعة خلال كامل شهر رمضان . وزادت حالته سوءا وزاد خوفي عليه شدة . وعزمت على ان افاتحه فى ذلك واحاول التعرف على مكنونه ، مهما يكن الامر ، حتى انقذه من الهاوية التي ينحدر اليها . وبدات احس بنصيبي من المسؤولية يتعاظم ، كلما زاد جسمه ضعفا واشرافا على مصيره المحتوم .

ودخلت عليه ذات يوم ، ويا ما اغرب ما فوجئت به ، ويا لهول الصورة التي شاهدته عليها . لقد وضع محياه بين يديه ، واستسلم الى بكاء عنيف كبكاء الاطفال ، لم استطع ان اخلصه منه ، وارده الى رشده الا بعد لاى وجهد . ولطفت من حدة ما به . وطلبت منه ان يطلعني على سره لعلي اقدم له بعض المساعدة ، فانفجر مرة ثانية وعاد الى البكاء باشد مما كان عليه ، وحاولت تهدئته ، ووصلت بعد جهد الى ما اردت . وانقشعت عن سحنته تلك الغمامة الكثيفة من الحزن التي لازمته طوال اقامته معي . وسالته فى حنان وعطف ان يقص على ماساته ، فسرى عنه ، ولمع من عينيه بريق وكانما اكتشفني لاول مرة صديقا يصلح لان يودعه سره ، ويفضي اليه بذات نفسه ، وينفس بالافضاء اليه عن هذا الكابوس الجاثم على صدره والذي أقلق راحته وملك عليه حواسه ومشاعره . وبدا يروي ماساته ، قال :

كنت طالبا فى جامعة القرويين ، وكنت اتدرج فى الصفوف الثانوية بتفوق ، وكانت حصة علم الكلام تستاثر باهتمامي ، وكنت اجد لذة فى مماحكة آراء الفلاسفة من المتكلمين ، وبدات اسئلة عديدة تنتصب امام عيني : « ما حقيقة الاله ؟ وما شكله ؟ واين يكون ؟ وما مقدار صلة هذه المخلوقات به ؟ » وحاولت ان اجد لهذه الاسئلة جوابا مقنعا ، فلم افلح .

ووقعت فى ايدي كتب تعالج هذه المواضيع ، وتجري مقارنات بين الحلول المعطاة لها عند المسلمين وعند المسيحيين ، وبدات اميل الى نظرية هؤلاء الاخيرين الذين يجعلون للاله صورة بشرية تقرب من ادراكنا وتستسيغها عقولنا . وتمكنت هذه العقيدة من نفسي على غير شعور مني .

ولشدة اقتناعي بهذه الفكرة بدات اجاهر بالدفاع عنها ، فانكرني اصدقائي ، وطردتني عائلتي . ولم اطق الحياة بعد بين اهلي وعشيرتي . وفارقت المغرب ، وضربت فى الارض بضع سنوات ، هائما على وجهي من بلد الى بلد ، بحثا وراء الحقيقة .

وفتح الله بصيرتي من جديد ، وعاد الى نفسي نور الايمان ، فاضاءها مرة اخرى . وانكشفت لي الهوة التي كنت انحدرت اليها ، واستفظعت ما اقدمت عليه ، وعجبت كيف انزلقت نفسي فى هذه الحماة المظلمة ، وايقنت بالحقيقة السماوية التي يجليها الله المومنين من عباده ، وانه لا تدركه الابصار ، وهو يدرك الابصار، وهو اللطيف الخبير . وعاد الى نفسي صفاؤها واشراقها . ولم استطع ان اعود الى اهلي ووطني بعد ان خلفت صورة قاتمة ورائي لا يستطيع الزمن ان يمحوها ولا تطاول الايام .

وفكرت فى ان اقصد بلدا عربيا استانف فيه حياة جديدة ، فهدتني الاقدار الى هذه المدينة الطيبة، وكنت اول من طرقت بابه عند قدومي ، ففسحت لي صدرك، وحطتني برعايتك ، وهيات لي اسباب العيش الشريف وها انذا اقضي حياتي على نحو ما رايت . لا تكاد تلك الصورة القاتمة تغادر مخيلتي الا لتعود اليها من جديد، فيزداد عذابي واحس بفظاعة ما اقدمت عليه، واستسلم للحزن والبكاء ويتملكني حب العزلة عن الناس ، واحاول التلطيف من فظاعة الجرم الذي ارتكبته فآخذ نفسي بالشدة ، وأقتر عليها فى ملذات الدنيا حتى تؤدي ثمن مغامرتها ، ولكن ذلك كله لا يطفىء اوار نفسي الملتاعة . وانا كما ترى فى عذاب متواصل .

قال صاحبي : وبذلت ما استطيع لتسليته ، واقناعه بان من تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه. وتوسطت له لدى احدى العائلات الكريمة فى بنغازي لخطبة احدى بناتها لعله يبني عشا ، ويرزق ذرية يشغلونه عن التفكير الدائم فى محنته العنيفة ، ورزق من فتاته ولدا ، ولكن الهم الدخيل الذي استاثر باغوار نفسه لم يمهله حتى اوصله الى مقره الاخير ، واسلمه الى عفو الله واحسانه .



ليلة من ليالي الخريف وهو فى غرفته يحاول ان يبعد عنه الهواجس والافكار ، ليستقبل النوم ... الا ان رياح الخريف كانت تئز خلال الاشجار فيبلغه صفيرها ويوقظ فى نفسه احاسيس حادة حاول بغير جدوى ان يتلافاها . لا يدري لماذا يذكره صفير الرياح بتجدد الطبيعة وتهيئها للتغير ؛ كل شيء يتغير ويتجدد من حوله ... الرياح تقطع اميالا طويلة ساحبة فى طياتها بذور الثورة على ما خلفه الصيف ، فتنزع الاوراق التي شاخت لتفسح المجال لاوراق نضرة خضراء . ودون شعور جعل يقارن حالته بحال الطبيعة . ان الامل الذي يتعلق به هو ان يخلق ويجدد ولكن يخيل اليه ان الوسيلة التي تذرع بها بطيئة الخطى ، ضعيفة المفعول .. كانت وسيلته الحرف يعتصره من نفسه اعتصارا ويحاول أن يعبر به عن الحياة . كان فى باديء الامر يفعل ذلك معتقدا ان كل ما ستخطه يداه سيؤتي ثمرته المطلوبة ، ولكن شيئا فشيئا اخذت تتضح له معالم الطريق التي اختارها..

وعادت الرياح تصفر ، وشعر برغبة قوية فى ان يكتب ويسجل ما تضطرم به نفسه ، لكن لمن سيكتب ؟ انه تذكر وجها صغيرا مستديرا يطفح بالحيوية ، فتاة عرفها مدة وجيزة ولكنه احس انها اقرب انسانة الى نفسه الا انه تصرف معها تصرفا قد تعتبه عليه ... يتحتم أن يعتذر لها . وفى موجة الانفعال امسك بالقلم ليكتب :

الآنسة منى :

اخشى ان تمزقي الرسالة قبل ان تتمي قراءتها ، فنفسك البريئة قد لا تحتمل المراوغة وتعقيد الامور ، وقد تكفي رؤيتك للرسالة ممهورة باسمي لتمزقيها دون ان تكلفي نفسك عناء القراءة لانني فى نظرك اكتب بروح لا التزمها فى تصرفاتي ... لكن رجائي اليك ان تكملي قراءة الرسالة لاني لا اريد ان اخسر صديقة مثلك .

انا ما زلت اذكر لقاءنا العابر حينما كنت فى زيارة خالتي وقدمتك لي على انك طالبة مجدة ثم التفتت مشيرة الي فى اعتزاز وهي تقول :

— فقيه العائلة .

واسرعت انت بالابتسام كأنما لتفهميني انك ادركت قصدها . وكانت بداية الحديث بيننا عادية غير انك اثرت انتباهي او غروري — لست ادري — حينما قلت :

— لقد قرات لك بعض ما كتبت واعجبت به .

وظننت اطراءك مجرد مجاملة ولكنك مضيت فى ابداء الملاحظات مما اقنعني بانني امام انسانة تفهم ما تقرا وتتمتع بذوق ادبي رقيق .

على ان لقاءنا الثاني عندما كنا نسير فى الضاحية مشرفين على المدينة ، جعلني اشعر انني على عتبة لحظة تكون خطيرة فى حياة الانسان ، يرتبط فيها بشيء جديد يغير من حياته ... كنت تثرثرين فى براءة وتتحدثين حديثا وددت لو انه لا ينتهي ؛ ولكنني كنت سارحا بخيالي ، وكأنما شعرت بشرودي فحولت كلامك الى صيغة سؤال :

— الست معي فى ان الفنانين افضل الناس ، انهم يحاولون أن يضيفوا شيئا الى الحياة ؟ واجبت فى شرود : ربما .

وكأنما لم يقنعك جوابي فمضيت تسهبين في تبيان رسالة الفنانين .. اما انا فكنت ادير في راسي افكارا اوحى بها لقاؤنا . كنت احاول ان اجيب على سؤال خطر بذهني : هل يحق لي ان احبك اي اربط بين مصيرينا ؟

قد تبتسمين عند قراءة هذا السؤال لانك لم تسمعي قط ان الحب عملية تتم بموافقة العقل ، غير انني لم اتساءل بدافع من العقل وحده بل بدافع من عاطفتي ايضا ... حرصي على ان لا اشوه صورة جميلة اخذنا نرسم خطوطها الاولى هو الذي جعلني احاول الجواب على هذا السؤال ، وكان الجواب غامضا سلبيا في اكثر اجزائه .. صور كثيرة انبثقت في ذهني قبل ان اصل الى الجواب ... كانت اولاها صورة طريق طويل ، طويل جدا ... نهايته غير واضحة وانا اسير في اوله لا تبدو على ملامحي مظاهر النشاط ولا علامات التعب ...

وعادت الى ذاكرتي صورة امي وهي تسالني :

ـ لم تخبرني يا بني هل ستكون حقا طبيبا ام مهندسا ؟

ـ ساصبح احدهما ... ايهما تفضلين ؟

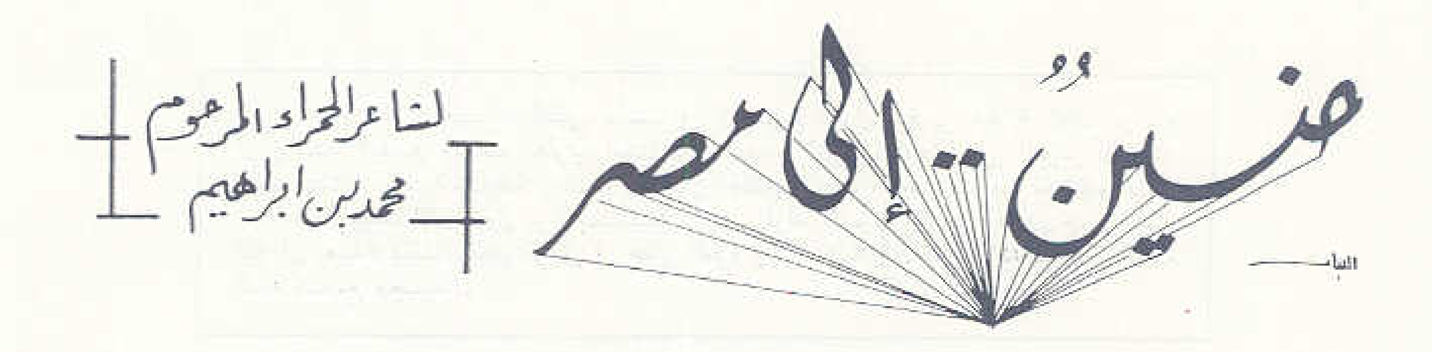
ومضت امي تشرح مزايا كل من مهنة الطبيب والمهندس كما تفهمهما ، ولم احاول ان اخبرها بحقيقة مطمحي لانها لن تفهمني ولو فهمتني لضحكت مني بل لبكت لان الآمال التي عقدتها علي ستنهار فجأة وستنظر الى انني خيبت املها فحرمتها من عيشة احسن ، وستجد ان التضحيات التي تحملتها في سبيل تعليمي قد ذهبت ادراج الرياح ... وانا لا استطيع ان اواجهها بالحقيقة ، افضل لها ان تعيش على هدهدة امل كبير..

حديثك المتدفق ، اني ما زلت اذكر كلماته المؤمنة المتوثبة . خيل الي انك ايمان خالص لا يعرف الشك ولا معاكسات القدر ... كنت تتحدثين عن المستقبل الذي ينتظرني لو ظللت مخلصا فيما اكتب ، وكنت تصورين الا عظمة تضاهي عظمة الفنانين ؛ وكانت تعتلج في صدري شكوك ورؤى سوداء ... كان الطريق الذي سرت فيه يبدو لي بغير نهاية ، تفرشه الاشواك وتحفه المتاهات ، وايماني في اني ساصل يوما الى آخره اخذ يتضاءل ؛ ولكنني لم ارد ان احدثك بشيء من هذا .. وخيل الي انك تجسمين حالتي قبل سنتين عندما كنت احلم بان اسير في هذا الطريق .. نفس الايمان ونفس الحماس ، انه لم يتلاش من نفسي ولكن بعض الشكوك احاطت به فنشب الصراع .

وعندما افترقنا كان السؤال ما يزال يلح لاوجد له جوابا نهائيا . وفي هذه المرة حولت دفة التفكير الى شخصك.. كنت كما اريد، سمرة خفيفة وعينان عسليتان تقربان من لون البشرة فيوحي مرآك بالدفء، والصدر في استدارته الاولى يعد بثورة خيوطها تنسج على مهل، وايمانك بالطريق الذي سرت فيه يكاد يفوق ايماني.. ولكن هل ستظلين هكذا ملاكا في صورة انسانة ؟ قد لا اصل الى نهاية الطريق وقد يكلفني ذلك الحرمان والبؤس فهل ستتحملين في صبر واصرار ؟ الن تستيقظ فيك غريزة الانثى فتطلبي مني ان اشتري لك الفساتين والحلي لتباهي بها صديقاتك ، وحينئذ قد اوافق في لحظة ضعف على تنفيذ رغباتك واسلك لذلك سبلا ملتوية ، فاتخلى عن مثلي وقيمي واغمس قلمي في الوحل ؟ ؟

قد تقولين انها مجرد شكوك ولكنها جد ممكنة ؛ فالذي يطرق ابواب الناس بالحرف امله ضعيف ... يكفي انني خيبت امل امراة عزيزة لدي ، ويعز علي ان اكرر الامر معك فاحرم من قلب اعجب في يوم ما بما كتبت.

قد لا يقنعك كل ما ذكرته وقد تجدينه مجرد اوهام لا تبرر خلف موعدنا الثالث وتركي رسالتك بغير جواب .. ولكنني فكرت بعد مضي سنة في ان ابعث اليك بهذه الرسالة لاشرح موقفي وانا متأكد من انك خير من سيفهم هذه السطور ... املي ان تظلي صديقتي من خلال ما اكتب ولو قدر لي ان اصل الى نهاية الطريق فثقي انك اول من ستمثل صورته في ذهني لينقلني الى اجمل ذكرى عشتها في اول الطريق الطويل .



احن الى مصر وما انا من مصر ... ولكن طير القلب اعرف بالوكر

فلولا هواها عاصف بحشاشتي ... لما كنت فى قطر واصبحت فى قطر

بلاد كما شاءت سعادة اهلها ... وارض تجر الذيل فى الحلل الخضر

بلاد بها الاسلام يرفع راسه ... وقد عقدت من فوقه راية النصر

ولم الق من ابنائها غير سيد ... تالق وجها بالسماحة والبشر

اذا هزت الاقلام فى الطرس عطفها ... بايديكم تغني عن البيض والسمر

بلاد بميس المجد فى برد اهلها ... وقد جر فيها العز اردية الفخر

لي الله يا مصر العزيزة عند ما ... افارق مصرا تارك القلب فى مصر

اذا ما رايت النيل يجري حسبته ... بدمعي على قرب الفراق لها يجري

وان وقعت عيني على هرم لها ... احسبه طود الهم يرسو على صدري

لي الله يا مصر العزيزة عندما ... اكفكف دمعي والقطار بنا يجري

كاني به تغلي مراجل قلبه ... حنوقا وما منه الحنوق على غيري

يزمجر من بعد اختناقي هاربا ... وبي راح يطوي الارض فى المهمه القفر

لي الله يا مصر العزيزة كلما ... الوذ بصبري لو هنالك من صبر

*

اخلاي عذرا منكم لي واعلموا ... باني وحق الله اجدر بالعذر

فليس بشعر ما انا به زافر ... ولكنه ذوب العواطف فى الشعر

قد زاغت الأبصار ...!

بقلم: عبد القادر حسن

هذه احدى قصائد المنفى نظمت فى الاسبوع الاول لنفـي جلالة الملك ــ يوم ان زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر ــ بهذه الروح المتجئة الى العزيز القهار مالك الملك ، راجية شفاعة رسوله المطاع فى خلقه لكشف ما حل بنا من نكبات واهوال
ونتشرها الآن لاول مرة بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف ، راجين من الله ان يعيده علينا ونحن نرفل فى حلل العزة والرفاهية والاخوة الاسلامية الحقة ، انـه سميع مجيب .

ع . ق . ح

طاب السرور بحضرة المختار فلج المقام بهمة وفخار
ضلت بك الاهواء عن ايوانه حتى هدتك سواطع الانوار
ترخي اليك النور من عليائها حتى كرهت مسالك الاغوار
فاخذت تنجذب الهوينا نحوها فى ذلة وتهيب وعثار
متعثرا فى قيد ماض مثقل بجميع ما يزري من الاوزار
واطلت قرع السن لا تلوي على شيء كمن قد حف بالاخطار
لكن وما يدريك ان هبو بها لك نفحة من مجتب غفار
هرول فليس الوقت وقت تباطىء فالحب صنو تذلل وبدار
فلج المقام اذن بحب صادق وانبذ ضباب الشك خلف الدار
واجعل سبيلك للوصال تذللا حتى تنام بذلة وصفار
واجعل سبيلك للقبول تشوقا كتشوق الملهوف قرب مزار
تجد البشائر بالمؤوب حفلا حتى كأن لم يرتكب من عار

※

فانعم اذا خيمت ثم بما تجد من لامع الامال والاطوار
واصغ بسمعك بل بروحك والهـا يغمر فؤادك ساطع الانوار
وارقص على نغم تساوى وقعه بسمو ذي التوقيع والاشعار
وتنشق العطر الذي ملأ البسا ط بفيض نافجة به معطار
واهرع الى الساقي تلمس عطفه وانخ جوار دنانه الفوار

وانر سويداء الفؤاد بحبه — واملا عيونك من ضياه الساري
فاذا سقاك فحبذاك مقربا — يسقي النقاية من يد المختار
صحت اذن منك المحبة وارتضا — ك اذن بفضل حنوه لجوار

*

ان الرسول ، وقدره اعلى ، يد — بيضاء من بها علينا الباري
حلت به روح الكريم ونعته — فسمت به في البذل للاكثار
فهو الكريم اذا تلمست الندى — ويد الكريم غزيرة الادرار
وهو الحليم اذا تجلى عطفه — حلت رحابك نفحة الغفار
روح من الله العظيم وروحه — للسابقين وطلبة الابرار
ووسيلة للعارفين وبلغة — وحصانة للمؤمن الصبار
وهو الخليفة فاخلع النعلين ان — جئت المقام وحيه بوقار
فلتعظم المرغوب ان يمتته — كتناسب الاقدار للاقدار
واذا علمت بانه مجلي الرحيـ — ـم بهذه الدنيا وتلك الدار
فلقد هديت الى المعين فحبذا — ك العل في الايراد والاصدار
ومتى تحف الرحمة العظمى امرا — امن الخسار ونقمة القهار

*

يا ساقي الخلد اسقني من كوثر — ماء الحياة مسلط الانوار
كاسا رحيقا لا يغيض معينها — حتى اميد بحبكم بخمار
ان تبق للمأوى لنا اظهارها — فلقد براني الشوق للاضمار
فا متن بها ذوقا وشما في الغبـ — ـوق تزف طافحة وفي الابكار
مددا من الوهاب كنت ولن تزا — ل فهب لراجيها بلا مقدار
حتى تطهر قلبه وضميره — وتزيل عنه غشاوة الابصار
فيشع نور الحق في ارجائه — فيرى الحقيقة دونما استار
لماعة تدنو فيحضن نورها — كل اللوامع في الاثير الجاري
وتبنه للمنتهي فعل الرؤو — م بطفلها في سائر الادوار
وكما ضربت له باول جرعة — وحشاه اليها زفير النار
فاجعل معتقها لديه صرمدا — ولكل ساه مثله مختار
اعظم بما ابديته من منقذ — ولانت اعظم من وراء ستار

يا سر هذا الكون يا نور الدجى ... يا علة الاضمار والاظهار
ارجو وارجو لا حدود لمطلبي ... وحماك اوسع ما يوم الساري
اما رجا نفي فقد ابلغته ... ولانت اعلم ما يكن قراري
اما لامتي المباح عرينها ... فمناي ان تحظى بكم بجواري
فقد استهان المجرمون بحقها ... فاستبدلوا الدرهام بالديناري
عبثوا بكل مقدس وتطاولوا ... حتى على الايات في الاسفار
تبغي فرنسا ان تبدل دينها ... فتبوء بالاعراف فالزنار
تبغي فرنسا ان تشل جهودها ... وتبيد ما زرعت يد الاحرار
ملات بنا قعر السجون وانزلت ... بالشعب ما شاءت من الاضرار
واستجمعت قواتها لبوارنا ... كتجمع الاحزاب يوم حصار
فاعتد حزب البغي بالمكر الذي ... اوحت به افكار الاستعمار
واعتد حزب الله بالحق الذي ... تدعو له من فجر يوم الغار

※

امحمد ولانت خير مشفع ... في حضرة الله الحليم الباري
قد زاغت الابصار مما قد رات ... مع مفجع البلوى والاستكبار
وارتجت الارض الحرام لما لقت ... من هتك استار ومن اعصار
هم جندوا كل القوات لحربها ... لكن جاركم عزيز الجار
هبها كيثرب يوم جد حصارها ... ويداك تبني حولها ببدار
او انها بدر وانت مبشر ... بالنصر للاصحاب والانصار
او يوم اعجب بعض صحبك جمعهم ... فارتهم البلوى يد القهار
فدعوتهم هيا الي ، فاتملوا ... بسكينة لم تترك من عار
وكذاك نحن اليك ابنا بعد ما ... ظن العدو مصيرنا لبوار
فكن الشفيع لنا بحق جماله ... فيما نعانيه من الاشرار
انت المطاع فمد كفك نحوه ... كيما يخلصنا من الكفار

تاكنيت 25 غشت سنة 1953 — عبد القادر حسن



بقلم : علي الصقلي

على موعـد مـع ركـب المسـاء   وفى حضـن رابيـة شاعـرة !

وبيـن يـدي حسنهـا القدسـي   واطياف ذاك الصبـا السـاحـرة

جئـا ممسكـا قلبه عائـدا   بهـا مـن جـوى نفسـه الفائـرة

ورانـت علـى ثغرهـا بسمـة   تبشـر بالرحمـة الغابـرة

*

والقـت علـى صـدره راسهـا   وقد رشح العطر من راسهـا

فاتملـه تشـر اعطافهـا   والهبـه حـر انفاسهـا

ووسدهـا كفـه فبـدت   عروسا تالق فى ماسهـا !

وهـاج لظاه نـداء الشفـاه   يلـح فهـب الى كاسهـا

*

وبينـا هـوى بفم ظامـىء   يعـب الحيـاة مـن الشفتيـن

وينهـل خمـرا متعشعـة   يعاقـر فى وردهـا كوثريـن !

طـوت جيـده بيديهـا ؛ تـرى   تهيـم بـه موثـقا بيديـن ؟ !

واغفـى الوجـود علـى قبلـة   طوت فى لحاف الهوى عاشقيـن ...





بعد مرور سنة على تشكيل الحكومة الجزائرية المؤقتة

المعركة الديبلوماسية بين الجزائر وفرنسا

بقلم :
المهدي البرجالي

ما هو الوضع الدولي الحالي للجمهورية الجزائرية ؟
لقد انقضى حول كامل منذ ان تم الاعلان الرسمي فى 19 شتنبر من السنة الماضية عن قيام الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية .

وقد كان نشوء هذه الحكومة استجابة ضرورية لما يفرضه منطق الاحداث من تسلسلات طبيعية ومعقولة. فقد كان الكفاح الجزائري قد توافرت له ـ بالفعل ـ كثير من عناصر النمو والتطور؛ كما ان القيادة العسكرية الوطنية كانت قد اجتازت ـ فى الواقع ـ نطاق الادوار الثورية الاولى ، تلك التي تنحصر فى الكمائن وما فى نوعها ؛ واضحت على قسط من الاستعداد الذي غدا يخولها القدرة على توسيع مجال العمليات داخل النطاق الحربي بمفهومه الواسع .

ولهذا فقد اخذ يبدو قبل 19 شتنبر 1958 ان الجهاز السياسي المتمثل فى جبهة التحرير الوطني لم يعد كافيا بمفرده لماشاة التطورات العسكرية والدولية التي حققتها القضية الجزائرية بشكل بارز وملحوظ .

لقد كانت جبهة التحرير ـ فى حد ذاتها تنظيما سياسيا محكما ابرز مدى فعاليته وجدواه غداة قيام الثورة ، ويوم ان توسع مداها ومدلولها ، وبعد ان اطاحت بالجمهورية الفرنسية الرابعة ، ولكن قيام النظام الدوكولي بفرنسا ، وامتداد سيطرة الغلاة على المنشآت الجمهورية الفرنسية ـ بالاضافة الى العوامل المحلية والدولية ـ كان كل ذلك اساسا لاتجاه التفكير الجدي الى تعزيز القيادة السياسية الوطنية بقيادة اخرى ابرز مظهرا واوسع نفوذا واكثر استعدادا لاستيعاب المضمون الدولي الواسع الذي غدت تنطوي عليه القضية الجزائرية .

على انه ليس مفهوم هذا ان العوامل السابقة كانت بمفردها ـ واكثرها طارىء ـ العلة الاساسية فى نشوء الحكومة الحالية ، لقد كان مبدا الاعلان عن هذه الحكومة ـ من قبل ـ موضوع البحث والنقاش سواء داخل الدوائر الوطنية الجزائرية او من يرتبط بها من الحكومات والهيئات المتعددة ، وقد كان مؤتمر المغرب العربي (27 — 30 ابريل 1958) من أهم المواطن التي تم فيها التاكيد الفعال على ضرورة انجاز المشروع ، ولم يكن لجو المحادثات او صيغة القرارات المتخذة فى المؤتمر الا ان تؤكد استقرار الفكرة فى اذهان الممثلين الجزائريين والمغاربة والتونسيين ، وشعورهم العميق بحتميتها السياسية والقانونية ، وقد كان ذلك فى الواقع من ابرز الظواهر الاتجاهية التي افضى اليها ذلك الاجتماع الهام، ومن اكثرها اهمية وجدوى .

فانعدام وجود حكومة تمثل الجزائر فى محيط المغرب العربي الكبير لم يكن مما يعينه على توحيد المستوى الدولي للاقطار التي يضمها هذا المحيط ، كما ان مثل هذا الوضع لا يبيح ـ بشكل جذري ، جميع اشكال التعاطي السياسي الواسع المدى فى الكثير من الاحيان ، ولهذا فقد كان مفروضا ان ينبثق المؤتمر عن تقرير الخطوة الاساسية فى الموضوع ، وهذا ما افضى اليه الامر فى الواقع ، بعد ما تلاقت الاتجاهات لتتبلور فى

ارادة عربية جامعة : ارادة المغرب العربي الكبير ؛ ولم تنقض بعد ذلك خمسة اشهر كاملة حتى تم الاعلان الفعلي عن قيام الجمهورية المرتقبة ، وكان ذلك في الوقت الذي اخذ فيه الوضع يتأزم في فرنسا ويتخذ اشكالا ناشزة وخطيرة .

ومن الواضح ان الظروف التي احاطت بقيام هذه الجمهورية والملابسات التي اكتنفت وجودها كانت من الملاءمة والمناسبة بمكان ، فالبلاد الفرنسية نفسها كانت مصايرها تتارجح — كما لاحظناه قبلا — بين كثير من الاحتمالات الخطيرة الناشئة عن انقلاب 13 مايو ، كما ان الماجريات العسكرية في الجزائر كانت قد بدات تتكشف عن اتجاهات واسعة المدلول ، سواء فيما يتصل بالناحية التنظيمية او فيما له علاقة بالجانب الحربي ؛ هذا بالاضافة الى تزايد بوادر التقدم السياسي الذي اخذ يتأكد حينئذ ان القضية الجزائرية قد بدات تحققه على الصعيد الدولي ، والى كل ذلك فقد كان من الضروري ان تعطى للارادة الشعبية الجزائرية فرصة التعبير عن وجودها في صورة حية وقوية وفعالة ، وذلك لمقابلة الوجود الطاغي لارادة الفلاة ، تلك التي تتمثل في استئثارهم بمقاليد الامور في فرنسا بعد نجاح الانقلاب في الجزائر .

وعلى هذا النحو فقد خلق حادث 19 شتنبر حالات سياسية عميقة ، اضحى معها الصراع بين الجانبين له — من الناحية السياسية والدولية — صورة التعادل والتكافؤ ، على الرغم من ان هذا التعادل لا يعكس — في جوهره — الا افتراضات نظرية ولا ينطوي بالفعل على جميع المدلولات الواقعية ، ولكن ما صادفته الجمهورية الوليدة من الوان النجاح المطرد لم يكن من شانه الا ان يقود الى الاعتقاد بان الوجود الدولي لهذه الجمهورية آخذ طريقه ليصبح اكثر فعالية وتاثيرا ؛ وذلك ما يثير اعمق مشاعر الحذر والريب عند المسؤولين الفرنسيين، ولهذا فقد كان واضحا جدا ان يثير الحادث ردود فعل حادة من جانب باريس ، وقد كان القسط الاكبر من هذه الردود يتركز في المجال الديبلوماسي ، وذلك نتيجة لما لمستقبل الجمهورية الجزائرية من ارتباط متين بتطورات الاوضاع في هذا المجال .

لقد ادرك المسؤولون الفرنسيون جيدا ان آفاقا جديدة قد انفتحت في ميدان التعارك بينهم وبين القيادة السياسية الوطنية بعد ما اضحى الصراع يمتد على صعيد العلاقات الدولية في نسقها الاعلى ، وقد غدا من الجلي كثيرا ان ذلك من شانه ان يخلق لقضية الشعب الجزائري امتدادات عالمية غير محدودة النطاق والنتائج.

هذا وبقدر ما كانت هذه الاحتمالات الضخمة تزداد تبلورا في اذهان القادة الفرنسيين، بقدر ما كان رد الفعل عند هؤلاء القادة يشتد ويتضاعف ، مستهدفا تحديد النطاق الدولي حول الجمهورية الجزائرية ، وذلك عن طريق الاعتماد على شبكة من وسائل الحصار الديبلوماسي ، تنتظم — في فاعليتها اغلبية القطاعات والمناطق الدولية الراهنة .

والحق ان الحملة الفرنسية — في هذا المجال — قد اتخذت جميع الاشكال الممكنة ، وذلك الى القدر الذي اخذت فيه بعض الاحيان تتهدد العلاقات الفرنسية الدولية بشكل جدي ومثير ، ومن امثلة ذلك ما اكتسح افق العلاقات بين الحكومة الفرنسية وبين الهند ويوغوسلافيا من غيوم قاتمة غداة اقتبال البلدين للرئيس الجزائري السيد عباس ، فقد بات محتملا وقتا ما ان الامر كان بالقياس ليوغوسلافيا — على الاخص — يكاد يفضي الى انفصام العلائق التي تصل بينها وبين باريس ، هذا بالاضافة الى ما اشتد من حملات صحفية متبادلة ، استمر ضرامها طويلا بين البلدين ، وهكذا الشأن بالنسبة لغانا واندونيسيا والباكستان وغيرها من الاقطار التي تعرضت لضغط الديبلوماسية الفرنسية — في فترات مختلفة — نتيجة لما تم اجراؤه من اتصالات بينها وبين الحكومة الجزائرية .

ولم تعدم الدوائر الفرنسية — في حملتها المضادة هذه — من اعتماد بعض « الاستدلالات » التي حرصت على ان تقيم لها بعض الاعتبار القانوني ، وينصب الكثير من هذه « الاستدلالات » الاعتراضية على نوعية الظروف التي احاطت بالاعلان عن قيام الجمهورية الجزائرية ، والاوضاع الكيانية التي يجب ان تجسم وجودها الفعلي المتميز ومن ذلك :

1) انعدام وجود سابقة — في زمن السلم — تماثل الاجراء الذي تم بمقتضاه الاعلان عن ميلاد الجمهورية الجديدة .

2) عدم توفر هذه الجمهورية على فاعلية مضبوطة او حيز ارضي محدد .

الا ان هذه الاعتراضات التي — يلوح انها لا تنطبق على الحالة المثارة انطباقا محكما — لم يكن لها ان تختط سبيلها الى القبول العام ، وذلك بالنظر لما تمثله — في جوانب عديدة — من مجانفة للواقع القانوني والتاريخي والدولي .

ويتجلى ذلك في الاستشهاد بالسلم كحقيقة واقعية تكرس الوضع القائم بين فرنسا والجزائر ومن البديهي ان ما يضبط علاقة القطرين في الوقت الحاضر هو حالة الحرب ، التي يسلم بها ضمنيا حتى المسؤولـــون الفرنسيون انفسهم .

ومع افتراض ان ما يراد من مفهوم السلم هو انعدام حالة حرب كونية فان المنطق الفرنسي — في هذه النقطة بالذات — لا يبدو ايضا اكثر استقامة وواقعية . فقد حصلت بالفعل — وفي ظروف يظللها السلام العالمي — سوابق مماثلة او شبه مماثلة ، ولكنها لم تثر من جانب المضادين لها مثل هذه الاعتراضات ، ومن امثلة ذلك : حكومة عموم فلسطين التي نشأت في اوضاع مشابهة والتي لا تزال تجسد الى اليوم — بالرغم عن هزالها — ارادة الشعب العربي الفلسطيني في العودة والسيادة .

اما فيما يتصل بفعالية الحكومية الجزائرية فان ما تمارسه من سلطة واقعية تنعكس آثارها سواء علـــى القطاع المدني او العسكري هو من ابرز الادلة علـــى ان هذه الحكومة ليست هيئة وهمية صورية ، بل انهـــا — كما اكده الكثير من المراقبين الدوليين — تتمتـــع بصلاحيات واسعة في كثير من المناطق بالجزائر ، الامر الذي يمكن من الاعتقاد بانها تهيمن فعلا على « حيز » ارضي معين وبالتالي فانها تتوفر على الوان مـــــن « الفاعلية » ذات تاثير ملحوظ .

وليست هذه التاكيدات — في الواقع — من قبيل الافتراض الاعتباطي ، لقد ادرك حقيقتها من قبل كثير من الحكومات والمنظمات الدولية فاضحى الصليـــب الاحمر الدولي مثلا يتفاوض مع ممثلـــي الحكومـة الجزائرية على ما يمكن اجراء تطبيقه في الجزائـــــر نفسها . ومن ذلك كان السبيل الى اطلاق سراح الكثير من الاساري والمعتقلين الفرنسيين طبقا للنهج المتسامح الذي تتبناه حكومة الرئيس عباس . وكذلك الامـــر بالنسبة لايطاليا التي لم تحجم في مناسبات عديدة عن الاتصال بالمسؤولين الجزائريين ، والتداول معهم حول ما يجوز ان يحصل احيانا من وقوع بعض الايطاليين في معتقلات جيش التحرير .

وعلى كل فان الذي تؤكده هذه الحقائق وغيرها ان الجهود الديبلوماسية الفرنسية الرامية الى تحديـــد النطاق الدولي حول الجمهورية الجزائرية لم يمكن لها ان تستنفذ اغراضها وتستوعب مراميها الرئيسيـــة الجوهرية ، فحكومة السيد عباس توجد حاليا في وضع دولي قد لا يكون لامعا او مرموقا — الشيء الذي لم يكن يترقبه حتى اكثر انصارها حماسا وتفاؤلا — ولكنها — مع ذلك — لا تفتأ تحقق — على الصعيد الدولـــــي — الكثير من الخطوات الايجابية الناجحة ، وذلك بالقدر الذي يمكن المراقب من الاعتقاد بان هذه الحكومة قد غدت تنعم بامكانيات سياسية دولية ، تتجاوز بكثيـر حدود المفروض لها مبدئيا .

واذا كانت معركة « الاعتراف » التي خاضهـــا الفرنسيون بكل حدة قد افضت الى تحديد بعـــض المواقف السلبية من جانب دول معينة ، فانها — مع ذلك — لم تقتدر على اصابة نفس الهدف بالنسبة لدول معينة اخرى .

فهناك العديد حقا من الحكومات التي لم تقدم لحد الآن على بادرة الاعتراف الشرعي بالجمهوريـــــة الجزائرية ، ولكن ذلك لم يحل بين الكثير من هـــذه الحكومات وبين التعبير عن مواقف مناصرة للقضيـــة التي تمثلها هذه الجمهورية ، بل ان هناك من البلاد من اوغل في التعبير عن العطف والمساندة الى الحد الذي يكاد يقرب من درجة الاعتراف الواقعي ، واكثر من ذلك فقد امكن — في اوائل السنة الحالية — تسجيل كثير من البوادر الدولية التي تنطوي على مضمون الاعتراف لا بوجود الحكومة الجزائرية فحســـب بل بقيمتهـــا التمثيلية وصفتها السياسية القيادية ، ومن آيات ذلك : البيان الذي كان السيد (ميكويان) قد القاه في 16 يناير الماضي بمقر الامم المتحدة ، والذي يجوز ان يعتبـــر انعكاسا للموقف السوفياتي الرسمي المساند لمضمون الاعتراف غير المباشر بالحكومة الجزائرية المؤقتة ، وقد كان التصريح الروسي هذا واضحا في التعبير عـــــن تقديره للقيمة التمثيلية لهذه الحكومة ، ذلك حينمـــا نص على « **انها تمثل بكل امانة مطامح الجزائريـــــن في الاستقلال ورغبتهم في التخلص من النير الاستعماري** »

ومن جانب آخر فقد كان التصريح اليوغسلافـــي الجزائري الذي اسفرت عنه المحادثات الثنائية ببلغراد بين الرئيسين عباس وتيتو — مناسبة جديدة لتاكيد هذه المظاهر من الاعتراف الضمني التي لا تزال البلاد العاطفة توالي التعبير عنه لفائدة الحكومة الجزائرية .

والحق ان اعتراف هذه البلاد اعترافا علنيا بحكومة الثورة لا يبدو انه يوجد لدى الكثير منها موضوع اعتراض مبدئي اساسي ، ان ظاهرة احجامها عن اتخاذ هــــذه الخطوة لا تؤول — كما يلوح — الا لاعتبارات مصلحية يتركز اغلبها في ارادة الحفاظ على العلاقات العادية مع فرنسا ، ولكن هذه الاعتبارات كثيرا ما تفقد دواعيهـــا — لعلة من العلل — فتتحلل الدولة المترددة من القيود

وتقدم على بادرة الاعتراف الرسمي العلني شرعيا او واقعيا (ومن امثلة ذلك : اعتراف حكومة غانا) وهكذا فان سياسة العزل والتطويق ، تلك التي دابت الحكومة الفرنسية على انتهاجها ضد حكومة الرئيس عباس لم تفض الى النتائج الواسعة التي كانت تفترض لها من قبل ، بل انها اسفرت فقط عن حقائق ديبلوماسية ليس فيها من عناصر المفاجاة والمبادهة قدر كبير ، اذ ان هذه الحقائق هي وليدة الوضع الحالي الذي يحدد مركز فرنسا في العائلة الاطلسية وفي نظام الدفاع الغربي ، ولهذا فقد كان من المفهوم سلفا ان يلعب هذا الوضع الذي تنعم به الحكومة الفرنسية بعض الادوار في تحديد نطاق التوسع الديبلوماسي الجزائري ، نتيجة لضخامة اطار الحلف الاطلسي وامتداد ارتباطاته مع حلفي بغداد وجنوبي شرق آسيا ورابطة الشعوب البريطانية ، هذا الى تفاعلاته مع حلف « وارسو » الذي يضم وحدات العالم الاشتراكي

لقد كان من المعقول اذن ان يكون لهذه الارتباطات الفرنسية الدولية بعض التاثير في مصير المعركة الديبلوماسية القائمة بين الفرنسيين والجزائريين، ولكن الامر في الواقع لم يكن صورة مطابقة كل المطابقة لجميع هذه الافتراضات ، فقد كان لطبيعة التطورات التي تعاقبت بعد كل ذلك ان تبرهن على ان تحديد النطاق حول الحكومة الجزائرية آخذ سبيله الى التضاؤل ، وذلك امام اتساع مجال التفهم الدولي لعدالة القضية التي تمثلها ، وما نشأ عن ذلك من شواهد النمو المطرد الذي تسجله علاقاتها الناجحة مع مختلف الهيئات الحكومية والدولية (ومن امثلة ذلك : بادرة اعتراف غانا ومظاهر عطف كندا وهما ــ وخاصة الاخيرة ــ من ابرز الاعضاء في رابطة الشعوب البريطانية)

لقد انقضت الآن سنة كاملة منذ ان تم الاعلان الرسمي عن قيام الحكومة المؤقتة الحالية ، واذا ما قايسنا بين التقدم الديبلوماسي الذي احرزته هذه الحكومة وبين ذلك الذي تحققه الحكومات الثورية في عهودها الاولى (الصين الشعبية مثلا) امكننا ان ندرك جيدا مقدار الخطوات الواسعة التي حققتها حكومة الرئيس عباس ، ومدى الآفاق الرحبة التي افتتحتها في المجال الدولي العام ؛ فهي تنعم الآن باعتراف كثير من القطاعات الدولية الهامة ، كما انها تتوفر على امكانيات التفاهم مع عديد من المنظمات والهيئات الدولية المختلفة هذا بالاضافة الى سعة المجال الدولي الذي يتيحه لها وعي شعوب العالم لمشروعية الكفاح الذي تتولى قيادته وتوجيهه وعلى هذا فوضعها الدولي الحالي يبدو انه يرتكز على قاعدة محترمة نسبيا ، على الرغم من ان هذه القاعدة لم تصبح بعد على درجة مرموقة من المتانة والقوة ، ولكنها مع ذلك تتيح للمسؤولين الجزائريين سبل الاتصال السياسي مع كثير من القطاعات الدولية التي يمتد مجموعها على آفاق عالمية واسعة ، ومن بين هذه القطاعات :

قطاع الشرق الاوسط : الجمهورية العربية المتحدة، اليمن ، لبنان ، السعودية ، الاردن ، العراق .

قطاع الشمال الافريقي : المغرب ، تونس ، ليبيا .

قطاع الشرق الاقصى : الجمهورية الشعبية الصينية ، شمال كوريا ، منغوليا .

قطاع جنوبي شرقي آسيا : اندونيسيا ، شمال الفيتنام .

قطاع غربي افريقيا : جمهورية غانا .

هذه بالاضافة الى الامكانيات السياسية التي تتوافر للحكومة الجزائرية في القطاعات الدولية الاخرى ، ومنها :

قطاع شرقي اوربا : الاتحاد السوفياتي .

قطاع اواسط اوربا : تشيكوسلوفاكيا .

قطاع جنوبي اوربا : الجمهورية الشعبية اليوغوسلافية .

قطاع اواسط آسيا : الهند ، الباكستان .

على ان هناك ما هو اهم من ذلك بكثير : ذلك هو اجازة اللجنة السياسية التابعة للامم المتحدة (دورة 1958) للقرار الذي كان ينطوي ــ بكل وضوح ــ على الاعتراف غير المباشر بالجمهورية الجزائرية ، وقد كان ذلك ــ في الواقع ــ ظاهرة فريدة تنم عن اعتراف دولي جماعي بصفة هذه الجمهورية ، وتقدير ضمني لوجودها وصلاحيتها ، وكما ان من الطبيعي ان يثير ذلك اندهاش المراقبين الاجانب ويخلق حالات عميقة من الارتياح في الدوائر الوطنية الجزائرية وفي محافل الكتلة الافريقية الآسيوية .

وقد عبر عن ذلك بيان الحكومة الجزائرية في الموضوع حيث اوضح في 16 دجنبر الماضي : «ان اثارة اللجنة السياسية للجمهورية الجزائرية بالتساوي مع الحكومة الفرنسية ليس له الا ان يعد نصرا لامعا للشعب الجزائري .. » والواقع ان الظاهرة الاتجاهية التي كان من اللازم ان يتميز بها جو المناقشات والمقررات حول الجزائر في تلك الدورة لم تمر دون ان تؤكد جذرية التاثير الذي احدثه طرؤ الحكومة الجزائرية على الميدان الدولي ، فقد كان هناك بحق من العناصر القانونية والانسانية والاعتبارية ما يكفي لصياغة الشكل التام المتميز لقضية عادلة كقضية الشعب العربي في الجزائر ، وكان ثمت من الوجود الفعال لجبهة التحرير ما يجدي في تكوين الهيكل الاساسي الذي يجسد هذه القضية ويمنحها شكلها المظهري المادي ، الا ان ذلك كله لم يكن ليجزيء في تركيز القضية وبلورتها حول محور دولي بعيد المدى ، كالذي اصبحت عليه بعد بروز الحكومة الجزائرية ، ولهذا فقد كان من الحتمي ان تاخذ اتجاهات الدول – في موضوعها – خلال الدورة الاخيرة مفاهيم جديدة تختلف باختلاف الاتجاه سلبا او ايجابا ، وهذا ما تعكسه منطويات الاقتراع الذي افضى اليه الامر في اللجنة السياسية الخاصة ، لقد كان التصويت الايجابي الذي منحته كثير من الدول غير المعترفة بالجمهورية الجزائرية ذا دلالة واسعة الاهمية، لانه كان بشكل شبه اعتراف بهذه الجمهورية ، كما ان امتناع دول اخرى عن التصويت لم يكن ثمت مناص من تاويله باعتباره بادرة تعبير عن عدم الشعور بالرفض المطلق لمبدا قيام هذه الجمهورية، وهذا من اضخم المكاسب التي كان من المفروض احرازها كنتيجة لحادث 19 شتنبر الخالد .

والاهم من ذلك انه كان من بين الحكومات الممتنعة في المجلس العام اعضاء بارزون في نظام الدفاع الاطلسي (تركيا ، النرويج الدانمارك ، ايسلاندا) كما انه كان من بين المصوتين من يرتبط بكثير من وشائج القربى السياسية بالكتلة الغربية الاطلسية (اليونان ، ايران ، الباكستان) هذا بالاضافة الى سلبية موقف الولايات المتحدة الذي كان بحق ينطوي على مضامين سياسة استثنائية .

والواقع ان نظرة « واشنطون » لمجموع القضية قد بدات بعد ذلك تتعدل تعدلا جوهريا ، وقد كان من آخر مظاهر ذلك التعدل البيان الذي كان قد افضى به السيد جورج آلان مدير الاستخبارات الامريكية (فاتح يوليوز الماضي) والذي يعبر عن مشاعر القلق الطاغي في الولايات المتحدة امام الجمود الكلي الذي ينطبع به موقف فرنسا في الجزائر .

وقد كان البيان بحق تعبيرا صريحا عن راي « واشنطون » ولهذا فقد اثار – كما هو المفروض – موجة من الانطباعات المريرة في دوائر فرنسا الحاكمة وفي اوساط الفلاة على السواء ، وكان من الضروري ان يتضاعف تصلب الموقف الفرنسي من مجموع الحالة الناشئة عن وجود الحكومة الجزائرية نتيجة لتعاقب هذه التطورات السياسية التي توجد حكومة السيد عباس في اساسها ، وقد بدا واضحا ايضا ان يزيد ذلك في حدة الحملات الصاخبة التي تميز موقف المسؤولين الفرنسيين من هذه الحكومة ، وقد تتابعت الوقائع بعد ذلك على نحو يشعر بان ردود الفعل الفرنسية – في هذا المقام – كانت خلال السنة الحالية تكاد تنحصر في اصطناع اجواء من حرب الاعصاب حول الوزراء الجزائريين ، والواقع ان المكتب الخامس الفرنسي لم يدخر – في هذا المجال اي مجهود ، ومن هذا الموطن بالذات يمكن تحديد منشأ هذه القصص العديدة التي زخرت بها المصادر الصحفية الفرنسية طوال الشهور الماضية والتي كانت كلها تتركز حول محور اساسي : اقناع الملا بان الحبل قد انتكث بين اعضاء الحكومة الجزائرية من جانب ، ثم بين الحكومة وجيش التحرير من جانب آخر ، وقد اتجهت هذه المدعيات كل متجه واستطردت اشكالها وتتابعت الى الدرجة التي توحي بانه كان هناك تخطيط مدروس وجهاز منظم يوجه وابلها توجيها متهجبا وهادفا ، واذا ما استقصينا مناحي هذه المدعيات فاننا نلحظ انها تتركز حول المواطن الآتية :

1) الانقسامات الاتجاهية من يمينية ويسارية ، شرقية وغربية .

2) انعدام التناسق في اساليب العمل بين العناصر السياسية والعسكرية .

3) استشراء روح التفوق الفردي واحتدام الصراع الناشيء عن التنافس الشخصي .

ومن الجلي ان مصالح الحرب السيكولوجية الفرنسية – الموجهة الرئيسية لهذه المدعيات – لم يكن في ميسورها الاقتدار على اصابة اي هدف من الاهداف السابقة : فالحكومة الجزائرية لم تفتأ تعبر عن كثير من

ظواهر التماسك والاستقرار ، سواء داخل الجهاز الذي تشكله مصالحها المركزية او فى حظيرة المنشآت التي تتكون منها اطاراتها الجهوية والاقليمية ، ولم يبدر ما يجوز ان يعتبر نذير تصدع او ارهاص ترجرج او اضطراب فى اتجاهاتها الخاصة او العامة ، واذا كان ثمت ما يمكن ان يفترض من وجود اختلاف فى الراي او تباين فى التفكير بين المسيرين الجزائريين فذلك لا يكون فى الغالب الا بقدر ما تحدو اليه الرغبة المشتركة فى استعراض جميع اوجه الراي ومناقشتها ، ومن شان هذه الروح اذا سادت ان تقود دائما الى وضع التخطيطات الناجحة التي تستوعب جميع الاعتبارات ، وتستجيب لكافة الاعتراضات والاستثناءات ، وذلك من عاديات الامور بالنسبة لكل حكومة تحدوها ـ فى سبيل تحمل مسؤولياتها ـ روح من الالتزام والدقة والاخلاص .

وقد اكد هذه الحقيقة البديهية احد الناطقين الجزائريين بالقاهرة ، وذلك حينما قرر فى شهر مايو الماضي لمندوب اخباري فرنسي بانه « لا يوجد ثمت أي خلاف حول الاهداف الوطنية الاساسية ، ان استهداف الاستقلال كغاية رئيسية للتفاوض مع فرنسا هو محور الاتفاق عند الجميع ... »

وقصة الصراع بين العناصر « الشرقية » و « الغربية » داخل الحكومة الجزائرية هي ايضا قصة غريبة وطريفة وقد تركزت المدعيات الفرنسية حولها على نحو يوحي بانها تعد ـ عند خبراء المكتب الخامس الفرنسي ـ من اهم عناصر الحرب السيكولوجية المشنة على اعصاب الشعب الجزائري ، ولكنها ـ مع ذلك ـ كانت تبدو تافية هزيلة بقدر ما كان يشتد حرص المختصين الفرنسيين على تحقيق اكبر قسط لها من الرواج فى المحافل الصحافية والسياسية العالمية ؛ وقد كان من رئيس الحكومة الجزائرية نفسه ـ وهو الذي يقدم على انه متزعم العناصر « الغربية » ـ كان منه ان ازاح فى 17 اكتوبر الماضي القناع عن حقيقة القصة ، وذلك حينما اعلن لوكالة الشرق الاوسط « ان الوطنية الجزائرية لا تعرف اي مدلول للكتل الشرقية او الغربية ، ان اصدقاءنا ـ يؤكد الرئيس ـ هم فقط اولئك الذين يسدون الينا المعونة والمساعدة ، اما اعداؤنا فليسوا الا هؤلاء الذين يقدمون على مظاهرة اعدائنا .... »

ومع ذلك فان كلف السيكولوجية الفرنسية باصطناع مثل هذه القصص الغريبة لا يزال آخذا مجراه اما تعليل ذلك فيلوح انه ناشيء ـ الى جانب الاسباب المقدمة ـ عن طبيعة الاعتقادات السائدة فى فرنسا حول الاصول السياسية للثورة الجزائرية الحالية ، وغني عن البيان ان هذه الاعتقادات تستمد وجودها من التشكك فى التدخل الخارجي ... هذا التدخل الذي يتخذ اساسا جذريا لتفسير كل بواعث الانتفاضة العربية الضخمة فى ارض الجزائر ؛ وليس هنا مجال مناقشة مثل هذا الاتجاه فى الراي واستخلاص الاخطاء السياسية المنبثقة عنه ، الا ان الذي يعنينا هنا بالذات هو ملاحظة ما يتجلى من سلبية تاثر الكفاح الجزائري بالمؤثرات الخارجية وامتداد مفاعيله خارج نطاق هذه التاثيرات ، وباستقلال كامل عنها ، وآية ذلك ان القضية الجزائرية تبدو فى صورتها الاساسية المميزة تعبيرا عن واقع فكري وسياسي لا يرتبط أي ارتباط ملحوظ بالصراع الدولي بين الراسمالية والماركسية ، والا لكانت صورة عادية من صور هذا الصراع الاجنبي ، ومتدادا مالوفا من امتداداته ، وذلك ما يتجافى مع الواقع الى ابعد الحدود ، فالقضية القائمة اذن هي قضية جزائرية جذرية ، وهي ان تتصل بواقع خارجي فبواقع الثورة العربية الكبرى التي تعتمل بكل ضراوة فى جسم الوطن العربي الكبير .

والحكومة الجزائرية الحالية ليست الا تجسيما لجانب من جوانب هذه الحقيقة الكبرى ، ولهذا فليس هناك ما يسوغ الاعتقاد بان هذه الحكومة قد تتبنى أي اتجاه آخر يوجد خارج هذا الاطار المبدئي العقائدي ، ان الذي تتبناه حكومة الثورة الجزائرية بالفعل هو الدعوة الى السلام ... السلام الذي تظلله العزة وتحوطه الكرامة وتسوده روح التعاون الحر البناء ؛ ذلك هو الاتجاه الذي تحتضنه حكومة السيد عباس ؛ وقد كان هذا الاتجاه القاعدة التي اعتمدها الرئيس الجزائري فى عروضه للتفاوض ، تلك التي لم يحجم فى كثير من المناسبات عن تقديمها الى فرنسا .

والواقع ان تلك العروض السلمية المتعاقبة لم تفض ـ بالفعل ـ الى تحقيق اية خطوات تفاوضية ايجابية ، ولكنها ـ مع ذلك ـ استطاعت ان تعكس للراي العام العالمي صورة واقع جزائري رائع لم يكن له الا ان يستثير اعجاب الجميع ، ذلك هو واقع الرغبة الجزائرية فى السلام واستهجانها للحرب وكل ما يندرج فى نطاقها ، ومن اضخم الشواهد على ذلك ما تنطوي عليه المواقف الجزائرية الاخيرة من جنوح واضح الى التفاهم والمسالمة ، وفى هذا الصدد فقد امكن للمراقبين ان يلحظوا مايبدو من اجتناب الرئيس عباس

ـ في عروضه الاخيرة ـ التشدد في اقتضاء الاعتراف المسبق بالاستقلال كشرط اساسي لكل بادرة تفاوضية من اي نوع ، على الرغم من ان مبدا الاستقلال هذا لا يزال باستمرار النقطة الرئيسية التي تستهدفها الثورة الحالية .

والذي يستثير الانتباه خاصة ان هذه المرونة الملحوظة التي يعبر عنها موقف الحكومة الجزائرية من التفاوض غير « المجدول » (1) لم تكن في اساسها نتيجة لضعف او تراجع او انحلال ، بل انها ـ على النقيض من ذلك ـ صاحبت فترة نمو غير عادي في الطاقة الحربية الوطنية ، وتطور كبير في فعاليتها وامتدادها ، **وهذا ما** تبرهن عليه الماجريات العسكرية في الجزائر خلال الشهور القليلة الماضية ، فقد امكن للمراقبين ان يلحظوا مدى التطور العميق الذي طرا على مستوى الصراع في اغلبية الواجهات العسكرية ، كما امكنهم ان يسجلوا ـ نتيجة لهذا التطور ـ مقدار النجاح الذي غدت الفرق الوطنية تحرز عليه في مختلف الميادين وما اصبح لكل ذلك من تاثير على توازن القوى بين المعسكرين المتقاتلين (معركة عنابة مثلا) .

فاذا كان الرئيس الجزائري اذن لا ينفا يوالي عروضه المتتالية من اجل التفاوض ، فذلك لا يعكس ـ في الواقع ـ حالة تهالكعلى الاستسلام الرخيص غير الهادف ، وانما هو تعبير عن حقيقة الروح الانسانية التي تسود عقلية القادة الجزائريين .. تلك الروح التي تقدر الحرب على اعتبار انها اداة لا هدف وتعتبر التفاوض كطريق امثل لانهاء الخلافات وحل المعضلات، فهل للمسؤولين الفرنسيين ان يتقمصوا هذه الروح الايجابية الخيرة . ؟

آراء اجنبية :

دو لاطاي : كاتب

هل هناك من قاعدة اساسية لتحقيق مبدا الادماج الذي يتغنى به الكثيرون ؟

ان هذا الادماج اذا جردناه من تعقيداته التفصيلية ، ووضعناه في اطاره الاولى البسيط فان مضمونه حينئذ سيكون مرادفا لتلك العبارة التي تحتوي عليها مصنفاتنا التاريخية المدرسية والتي مؤداها « انه ليس هناك في الجزائر من اهليين وفرنسيين وليس هنـــاك الا الفرنسيون فقط ... »

فهل في ميسورنا حقا ان ننهض بعبء هذه المسؤولية ؟

ان النجاح في تحقيق مثل هذه التاكيدات يتوقف قبل كل شيء على اقتناع المعنيين بها ، ثم على اخلاص المدافعين عنها فكريا وخلقيا .

ولكن هل نجد هذا عندافراد هذهالاستوقراطية المالية ، اولئك الذين تمركزوا في البلد ثم اصبحوا يستاثرون بمقدراته الاقتصادية ؟ عند هؤلاء المعمرين الذين اضحى بعضهم في الوقت الحاضر يبتاع راحته وطمانينته بتسليم المبالغ النقدية الى رجال الثورة .

هل نجده عند هذا الحشد من « صغار البيض » ؟ هؤلاء الموظفون البسطاء ، هؤلاء العمال والصناع والمحترفون البؤساء احيانا ، والذين رغم ذلك يوجدون وصدورهم تتاجج بافكار عنصرية طاغية يستوحونها من شعوردافق بالاستعلاءالجنسي؟ هذهالعناصرالعمالية التي من المفروض لها ان تجنح دائما الى اليسار والتي تبدو هنا كاقوى سناد سياسي لليمينية المتطرفة ؟

هل نلفيه عند هؤلاء المسلمين من قدماء المحاربين ؟ هؤلاء الذين كم نيطت بهم اوسع الامال ، والذين يوجدون ـ رغم ذلك ـ وهم لا يشكلون الا اقلية ضئيلة التمثيل للراي الاسلامي ؟

وعلى كل ، فهل يوجد في الواقع راي اسلامي ؟ هل يوجد نوع من « الراي العام » الذي يستمد مطامحه من جامعة جنسية او تاريخية او ثقافية ؟ تلك مسالة ليس من الجائز البث فيها بمجرد النفي المجرد ، فليس ممكنا بحق القاء حقيقة ما عن طريق الاعتماد على بعض التاكيدات ، اما هذه الحقيقة فتتمثل في نوع من الشعور ـ غامض ولكنه قوي ـ بوجود رابطة مشتركة تحدد المصير ، وضمن هذا المجال يتحدد مدلول عبارة « الشخصية الجزائرية » ويتضح مفهومها بشكل جلي وملحوظ .

---

1) غير المقيد بجدول اعمال معين .

واذا اضفنا الى ذلك ان هذا الشعور قد ازداد رسوخا ومتانة بعد ما صهره جو الكفاح ، وبعد ما عززته روافد اليقظة الوطنية الشاملة التي تجتاح العالم العربي، ادركنا ان الاعتماد على النداءات الصارمة وعلى الجهاز الحربي والاقتصادي الضخم ليس في مقدوره ان ياتي على هذه الانتفاضة او يخمد انفاسها ولكن هل يعني ذلك ان الثورة تستطيع بمفردها ان تتباهى بكفاءتها لتمثيل الراي العام الاسلامي كله ؟

ان الحقيقة هنا ايضا على جانب من التعقيد : فالجمهرة الكبرى من المسلمين يقرون بالفضل للثورة على اعتبار انها هي التي جعلت من الحتمي حل المشاكل السياسية والاجتماعية ، تلك التي كانت فرنسا تجتهد في تاجيلها او اغفالها بالمرة ، كما انهم يقدرون ايضا ان هذه الثورة هي في واقع الامر مقاومة وطنية اتاحت للجزائر ان تنصهر في وحدة حقيقية حيث تبخرت النزاعات الطائفية والعنصرية والقبلية التي كنا نعتمدها في التدليل على انعدام الامة الجزائرية في الماضي .

وبالاضافة الى ذلك فان كافة السكان المسلمين لم يكن لهم الا ان يتاثروا بكثير من الوقائع التي لا يستطيع الاغضاء عنها اي مراقب نزيه . ومن ذلك :

1) استمرار وجود القوات العسكرية التابعة لجبهة التحرير ، هذه القوات التي ـ وان لم توجد متوفرة على امكانيات واسعة ـ فانها ـ بالرغم عن الخسائر الفادحة احيانا ـ لا تزال تحتفظ بالرقم التقريبي الذي يرقى دائما بافرادها الى الخمسين الفا .

2) العطف المقنع او السافر ذلك الذي تنعم به الثورة لدى كثير من الدول الاجنبية . ويوجد من بين هذه الدول من يندرج في عداد اصدقاء فرنسا ، هذا العطف الذي لا يتجلى فقط في ارسال الصحفيين والمقبين؛ ولكنه يبدو ايضا في المساعدة المباشرة او غير المباشرة مما لا تستطيع السلطات الفرنسية الحد من نطاقه الا بصورة جزئية ومحدودة .

3) احتضان جبهة التحرير لقسم من النخبة الاسلامية التي تمثل « التفكير الملتزم » .

4) الاثر الذي يخلقه باستمرار الوضع الحالي في كثير من الاسر الاسلامية ، هذه الاسر التي يوجد لكل منها عضو او اعضاء يحاربون في صفوف جيش التحرير

فهل في امكان الهزيمة العسكرية ـ مهما افترضنا جوازها ـ ان تستاصل في مثل هذه الاحوال ـ بذور الثورة في النفوس ؟ .

فرانسوا فالانتان : رئيس لجنة الدفاع الوطني والقوات المسلحة في الجمعية الوطنية الفرنسية :

الحقيقة الخطيرة التي تؤرق منا الجفون وتقض المضاجع هي ان حرب الجزائر ـ ان كانت لا تحطم بلادنا ـ فانها توشك ان تدمر الطاقة المادية التي تتوفر عليها جيوشنا ، ذلك اننا نزج بهذه الجيوش في مهاوي وضع يستنفد جميع امكانياتها ، هذا علاوة على ما نفرضه عليها من استهلاك جميع الاعتمادات المخصصة لها ، الامر الذي من شانه ان يفضي بدون ريب الى توقيف ما يرجى لها من تطور وما يؤمل لها من تجديد في التجهيز .



بقلم : ابي عبدالله صالح الجزائري

دعا المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالجمهورية العربية المتحدة الى مهرجان للشعر يعقد فى الفيحاء بلد الشعر والجمال . يبتديء من 16 / 5 1959 الى 21 منه .

والمجلس لم يغفل ان يوجه الدعوة الى بعض البلدان العربية التي تحتل مكانة مرموقة فى نفوس العرب . مع ان المهرجان على ما يبدو خصص لشعراء الجمهورية العربية المتحدة باقليميها الجنوبي والشمالي .

وجهت الدعوة الى الجزائر وفلسطين . الى لبنان والسودان . وتوجيه الدعوة الى الجزائر وفلسطين فيها من تعزيز الاولى . ومواساة الثانية ما يكل عن وصفه البيان . وأي محفل لم تذكر فيه الجزائر ولم تذكر فيه فلسطين ؟ بل قل ، هل تقوم لمحفل قائمة من غير ان تقوم فيه فلسطين تهيب بالعرب ان يستردوا ارضهم السليبة . وتقوم فيه الجزائر تحذر العرب ان يجعلوا منها فلسطين ثانية . كلتا القضيتين تخدمان بعضهما وتخدمان العرب جميعا . فلسطين تضع نفسها موضع العبرة والتجربة حتى لا تتكرر مأساتها فى الجزائر ، والجزائر تقدم من بطولتها النادرة ما يمكن للعرب ان يستردوا به فلسطين ان هم لم يتوانوا عن تعزيزها .

وللعرب فى كلا البلدين ، وفى كلتا الواجهتين المجد والسؤدد . ولامر ما كانت القضيتان احداهما فى المشرق والاخرى فى المغرب . ليمثلا مجد العرب بجناحي بلاد العروبة ، الشرقي والغربي .

وقبل ان توجه الدعوة رسميا الى الجزائر كانت الجزائر قد فرضت وجودها طبيعيا وفطريا فهي الثورة البطولية التي تعيش على طرف كل لسان ، وتخفق معها نبضة كل قلب . وتجري من كل عربي مجرى الدم فى عروقه . فلم تخل قصيدة ولا كلمة القيت فى المهرجان من الاشارة الى هذه الثورة الزاحفة والاشادة ببطولتها النادرة . مما برهن على ان اخواننا فى العروبة يعيشون آمالنا . ويتقمصون آلامنا ، ولا تأخذهم فى السهر علينا سنة او غفلة .

وافتتح المهرجان **السيد كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم** ، منوها بمكانة الشعر فى تخليد البطولات ، ومبينا حاجتنا الملحة فى هذه الفترة الحاسمة التي تجتازها الى شعر يحدو قافلة التحرر ، ثم ضرب المثل بالجزائر المجاهدة ، وتطرق الى القول : **« بانه لن يهدأ للعرب بال ، ولن يطمئن لهم خاطر والجزائر على ما هي عليه من الاضطهاد والمعاناة من نير الاجنبي »** .

وتوالى المحاضرون والشعراء على المنصة يخصون الجزائر بقصائد كاملة أو بعيون ابيات قصائدهم ، ومن هذه العيون هذه الابيات نقتطفها من قصيدة **الشاعر الاستاذ انور العطار** بعنوان **(ثورة الجزائر)**

اترى الربع داميات وهاده
من شباب ندية اعواده

من جريح يود لو بريء الجرح فخ
اض الوغى خضيبا ضماده

وطعين على الثرى يتلوى
غاب عن نفسه وضاع رشاده

ثورة يعربية ما تناهى
فار تنورها فهال اشتداده

هزت الارض هزة ، فاذا الحق
مبين لا يستباح مراده

وعرا الكون فرحة حين سالت
بالروابي وبالذرى اجناده

يا لثارات يعرب من فرنســـا
نقمة الثار ان يعم امتـــداده

كم تهزات بالعروبـــة دهـــرا
فاذا الهزء قد طواك نكــــاده

فارقبي امة الفساد الرزايـــا
كالحات فالبطل بان فســـاده

يا فرنسا اخت العناد افيقـــي
انما يصرع الغبي عنـــاده

وخذيها حمراء تلتهم الافق فيشـــ
ـــوي بنارهـــا مـــراده

يا دماء على الجزائر سالت، انت اصل الفلا وانت عماده

فانزفي واسكبي ، وجودي لنحيا ، علقم العز منك يحلو شهـــاده

وفى مثل هذه القوة والرقة البيانية التي نستشف من ورائها صورا لا تعد ببطولة الجزائر يمضي الاستاذ العطار فى قصيده حتى يبلغ به ما يزيد على مائة بيت فى غير ما املال او اطالة .لان الاطالة من شاعر موهوب وقلم صناع فى موضوع بطولي قصر واي قصر .

ومن الاقليم الجنوبي وقف **الشاعر هاشم الرفاعي** يصور للجمهور ماساة من مئات المآسي فى الجزائـــر تعيشها كل مطلع فجر ، ماساة المقصلة والمشنقة التي تطيح باعز ابناء الوطن . نضارة عود، وسمة افق، وقوة ايمان بجزائر الغد . قصيدة سماها **رسالة فى ليلـــة التنفيذ** . ليلة تنفيذ حكم الاعدام :

ابتاه ماذا قد يخـــط بنانـــي
والحبـــل والجـــلاد منتظـــران

هذا الكتاب اليك من زنزانـــة
مقـــرورة صخرية الجـــدران

لم تبق الا ليلة احيا بهـــا
واحس ان ظلامها اكفانـــي

ستمر يا ابتاه . لست اشـــك فى
هذا وتحمل بعدها جثمانـــي

شكرا لهم انا لا اريد طعامهـــم
فليرفعوه فلست بالجوعـــان

هذا الطعام المر ما صنعتـــه لي
امي ، ولا وضعوه فوق خـــوان

مدوا الي به يـــدا مصبوغـــة
بدمي ، وهذى غاية الاحســـان

ويدور همسي فى الجوانح ، ما الذي
بالثورة الحمقاء قد اغرانـــي ؟

او لم يكن خيرا لنفسي أن أرى
مثل الجموع اسير فى اذعـــان

ما ضرني لو قد سكت ، وكلما
غلب الاسى ، بالغت فى الكتمـــان

هذا دمي سيسيل يجري مطفئا
ما ثار فى جنبي من نيـــران

وفؤادي المواز فى نبضاتـــه
سيكف من غده عن الخفقـــان

والظلم باق ، لن يحطم قيـــده
موتي ، ولن يودي به قربانـــي

ويسير ركب البغي ليس يضيره
شاة ، اذا اجتثت من القطعـــان

هذا حديث النفس حين تشف عن
بشريتي . وتمور بعـــد ثـــوان

وتقول لي : ان الحياة لغايـــة
اسمى من التصفيق للطغيـــان

انفاسك الحرى وان هي اخمدت
ستظل تغمر افقهم بدخـــان

وقروح جسمك وهو تحت سياطهم
قسمات صبح يتقيه الجانـــي

دمع السجين هناك فى اغلالـــه
ودم الشهيد هنا سيلتقيـــان

حتى اذا ما انعمت بهما الربـــى
لم يبق غير تمرد الفيضـــان

وبهذه النغمة الحزينة ، يوقع هاشم على اوتـــار القلوب ، ويهز المشاعر وبهذه الدمعة الحائرة يستثير العزائم، ويلهب الحماس، تماما كالمتابط رشاشته يوقع بدوي رصاصها على وتر الحفاظ والاباء . حتى ياتي على آخر القصيد فيقول :

هذا الذي سطرته لك يا ابـــي
بعض الذي يجري بفكر عـــان

لكـن اذا انتصـر الضيـاء ومزقت
بيد الجموع شريعـة القرصـان

فلسوف يذكرني ، ويكبر همتـي
من كان في بلدي حليف هــوان

والى لقـاء تحت ظل عدالـة
قدسيـة الاحكـام والميـزان

اما **الدكتورة الآنسة طلعة الرفاعي** ، فلا تقنع بان تشير الى اوراس مسقط راس اول رصاصة ثورية في 4 نوفمبر سنة 1954 . بل هي اوراس نفسه ، هي اباؤه، هي غليان بركانه هي كل شيء على قمة اوراس رمز الثورة الخالدة .

لا . لن اكون فتاة يعرب ان انـا
لم يرو من دمي التراب المضـرم

انا كل شبر في رحابـك ساهـر
وعلى رباك انا التخيـل مخيـم

وانا انا اوراس يقـذف باللظـى
حقدا . انا الارز الشموخ يحـوم

وعلى نفس الوتر تعزف الشاعرة الرقيقة **عزيزة هارون** فتقول :

انا في ربوع القدس لهفة حـرة
بفؤادهـا المغـروس بالاوتـاد

بعمان اقتحم اللظـى مجنونـة
بتسابق الفرسـان والانـداد

وعلى ربى اوراس خفقة مهجـة
مسحـورة ببطولة الاجـداد

كذلك كانت شاعرة الحساسية والرقـة . حساسية ورقة حد السيف القاطع . كانت خفقة مهجة جزائرية رابضة بقمم الاطلس لتربط حاضرها المجيـد بماضيهـا الامجـد . كانت كذلك بانشادها الساحر . وتعابير قسمات وجهها . كانت تنشد للقمم الشماء ، لا للجمهور امامها فحسب :

يا شعر غرد للبطولـة والفـدا
وارسل حنانك في غناء الشـادي

انا في هواك شذى العروبة فابتـدع
لحني ، وهيء للذرى انشـادي

وكاني بنغمات عزيزة هارون وامثالها مـن الشاعرات والشعراء تردد صخور الاطلس صداهـا فيعيش العرب بين الايقاع والصدى بحمية لا ينطفىء اوارها، وقلوب لا يسكن موارها ما دام الشعر يحدوها، ويتغنى ببطولتها .

ولم يكن حظ الجزائر من الزجل الشعبي باقل من حظها في الشعر الفصيح . انها ثورة بكل لسان وبكل لغة . انها ثورة الشعب ولن يفيض تبعها في لسـان الشعب .

قال الزجال على دياب :

كيف يهنا للعرب اكـل وشـراب
وارض الجزائر غارقة ببحر العذاب

يا رجال العرب يا شيوخ وشباب
هبوا جميعا وحطموا اغلالهـا

يا اهل الشيم والحمية والشمـم
نـادوا النفيـر وارفعوا اعظم علـم

ارض الجزائر اصبحت رهن الالـم
لبوا ندا نسوانهـا واطفالهـا

لبيك يـا ارض العروبـة والفخـر
نحن معك لا نخشى صرف الدهـر

حولك رجال بسيوفها تقد الصخـر
تبذل فداك ارواحها واموالهـا

اما الجزائر فقد رفعت عقيرتها في صوت ابن من ابنائها هو **الشاعر ابو عبد الله صالح** . فالقى قصيـدة قالت عنها جريدة الوحدة السورية ، انها ثورة جزائرية لاهبة ، انها نفحة من ذرى اوراس » وقالت في عـدد آخر «ان القصيدة الهبت مشاعر المستمعين ، وطارت بهم الى الذرى الشم في اوراس حيث يعتصم الثوار ويحاربون الطغيان .

والقصيدة بعنوان (يوم الجزائر) ومطلعها :

حـي في الاطلـس الاشـم رجـالا
بهـم صال في الكفـاح وجـالا

وقد سبق لمجلة « دعوة الحق » أن نشرت هذه القصيدة كاملة بالعدد التاسع من السنة الثانية .

*

وقد تشرفت الوفود بدعوة من الفريق جمال فيصل قائد الجيش الاول الى الغداء ى القنيطرة كما تشرفت بزيارة الخطوط الامامية للجبهة هناك ، لترى راي العين استعداد الجندي العربي لاي عدوان ، ويقظة العين العربية لكل دخيل على ارضها . وليتلاقى هناك السلاحان المادي والادبي فيماهدان الوطن على العمل جنبا الى جنب فى معركة الحرية .

وكانت هذه الزيارة الخالدة فرحة لممثل الجزائر، فيهدي العلم الجزائري لسيادة الفريق جمال فيصل قائد الجيش الاول وسيادة العقيد احمد زكي قائد الجبهة والاستاذ فخري البارودي قائد المقاومة الشعبية اعترافا بجميلهم ، وجزيل اياديهم على ثورة اخوانهم فى الجزائر بل ثورتهم فى الجزائر .

كما تشرف الجزائر بميكروفون برنامج (الجندي) فى الاذاعة السورية فاجاب عن اسئلة البرنامج التي تدل على يقظة وعين لا تغفو فى متابعة خطوات الثورة ، واشتياق وتحرق الى المزيد من انتصاراتها التي هي نصرة للعرب حيث كانوا .

والمهرجان وان لم يحدد المشرفون عليه موضوعا معينا ، الا ان الاحداث العربية التي تعيش فى دم كل عربي هي التي تحكمت فى المهرجان وحددت له موضوعه فاصبح مظاهرة عربية صاخبة . تجلت فيها وحدة الالم ووحدة الامل ، واثبتت عمق ايمان العرب بتحرير اجزاء وطنهم . والوقوف الى جنب كل انتفاضة عربية تهدف الى صالح العرب ، وفى مقدمة تلك الانتفاضات . ثورة الجزائر الباسلة . وفى مقدمة تلك الاجزاء الوطن السليب .

وهكذا انفض المهرجان بعد ان اعاد للشعر سلطانه على النفوس ، وجنديته فى الميدان فكتبت له صفحة جديدة ، وتاريخ جديد يساير موكب هذا التاريخ العربي الجديد .

وقد القيت فى المهرجان بحوث قيمة عن الشعر تاريخا وواقعا ، والقي فيه ما يزيد عن ثلاثين قصيدة.



نقد وتعليق

يكتبه للمجلة من الإقليم الشمالي
للجمهورية العربية المتحدة
الدكتور عبد الله عبد الدائم
الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة السورية

الأبحاث والمقالات

عندما رغب الى الاستاذ الصباغ ان اضطلع بنقد العدد الممتاز من مجلة دعوة الحق ، لبيت الرغبة سعيدا بهذا التواصل الفكري بيني وبين مجلة عربية فذة تخطها اقلام نخبة من كبار المثقفين في المغرب العربي خاصة وفي العالم العربي عامة .

وقد حسبت حين قطعت وعدي ان الامر جلل ، وانني لن اجد عناء كبيرا في مثل هذه الجولة ، حتى اذا وردتني المجلة ووردني معها كتاب الاستاذ الجليل عبد القادر الصحراوي رئيس تحريرها، وجدت نفسي امام عدد لا كالاعداد ، ووجدتني مقصر الهمة امام سفر طافح بالمقالات الغنية ، عامر بصنوف صفوة من مفكرين اجلاء ، تنازع روعة الاسلوب لديهم قوة الفكرة ، منازعة قوة الفكرة لروعة الاسلوب ، ولم يكن لي امام هذه المفاجأة الثقافية الحلوة ان اختار : فاما الاعتذار ، واما الاختصار . وقد آثرت الثانية ، حبا في ان اجول ولو جولة المقصر ، خلال عدد ثر يغري الفكر ايما اغراء . وهكذا ابحت لنفسي ان اطوح بعدد من المقالات ، متجنبا ان اقف عندها ، مؤثرا ان اتركها لمن هو اولى مني بالحديث عنها . فمعذرة من كتابها الافاضل ، بل معذرة ممن نقدت ومن لم انقد ، فاحلى الامرين مر .

والحق ان اول ما يجار امام المفكر لدى الخلوة بعدد دعوة الحق ، ما يتصف به هذا العدد من جهد حقيقي ينبيء عن احترام المجلة لذاتها وقرائها ، وما يحتوي عليه من مقالات متنوعة تنوع الفكر الخصيب ، تربط بينها على تنوعها روح ناظمة ، روح البحث الجدي والثقافة الناضجة ، ومن فوقها تلك المحاولة الكؤود، محاولة الاتيان بفكر عربي اصيل تحده الثقافات الغربية فتغنيه ولا ترديه .

وابرز ما في سمات المجلة في الواقع ، ذلك الحفاظ على روح الثقافة العربية ، مبنى ومعنى ، وتلك الرغبة الجادة في اظهار الفكر العربي في مظهر النتاج الذي يقوى على اثبات وجوده تجاه الفكر العالمي .

ولطالما راينا ان القادر على خلق الثقافة العربية الحديثة المرجوة هو ذلك الذي عرف ثقافته وحضارته اولا حق المعرفة وعرك تراثه فامتصه ، ثم ايد ذلك في الوقت نفسه برفد الثقافات الاجنبية دون ان يصيبه الغرور الاجوف في الاولى او مركب النقص في الثانية .

وفي راينا ان ما تقدمه مجلة دعوة الحق محاولة ناجحة في هذا الباب ، لا نملك الكثير من امثالها في العالم العربي .

وبعد ، لابد من بدء المهمة ، لابد من حوار ثنائي مع كل كاتب على حدة :

من دمشق الى قرطبة للدكتور حسين مؤنس :

لقد سعدت بهذا البحث من الصديق الدكتور حسين مؤنس ، وهو مبحث يحوي خلاصة غنية من عشرة طويلة بين الكاتب وبين تاريخ الاندلس وادب الاندلس ، وقد استطاع بحجة المؤرخ وبراعة الاديب ان يعقد بين دمشق وقرطبة ، مفصلا ما قيل كرة بعد كرة عن اوجه الشبه بين الاندلس والشام ، وما انعقد من مقارنة بين قرطبة ودمشق ، واشبيليا وحمص وباجة وقنسرين . على انه يذهب في هذه المقارنة الى ابعد من هذا ، فيبين الوشائج العميقة التي تربط بين تاريخ الاندلس وتاريخ بني امية في دمشق ، ويوضح كيف كان امراء بني امية في الاندلس وعلى راسهم عبد الرحمن الناصر ، الحماة الحقيقيين للعرب ، العاملين على الوحدة ، حتى اذا ذهب امرهم ذهب امر الوحدة وتفرقت الاندلس ايدي سبأ . بل يمضي في هذا المجال الى ابعد من هذا ، فيبين كيف كانت قصور امراء بني امية بالاندلس شديدة الشبه بقصور اسلافهم الشرقيين في بساطتها وبعدها عن التكلف والابهة ، وكيف كانت ابنية قرطبة في مثل قصد ابنية دمشق وجلالها ، وكيف ظلت هذه المدينة حاملة لراية العروبة والاسلام ، عنها صدرت الغزوات ومنها قامت الفتوحات في جزر البليار وجنوبي فرنسا وغربي ايطاليا شأنها في ذلك شأن دمشق في الشرق .

والكلمة في جملتها انصاف صادق لقرطبة المنسية وشأنها في تاريخ الاندلس ، ولشأن دولة بني امية التي تمثل دور العروبة الخالصة في التاريخ العربي ، كما نعتها بذلك الجاحظ وكثيرون غيره من المتقدمين والمتاخرين . وقد صاغ الدكتور حسين مؤنس هذه الحقائق في اسلوب المؤرخ المحقق والاديب الذواقة ، كما عودنا في اكثر ما يكتب .

تاثير الشعر العربي في الاندلس في الآداب الغربية للاستاذ محمد الفاسي : وهذا مبحث آخر عن الاندلس يقدمه الصديق الكبير الاستاذ محمد الفاسي ، وفيه يعاود الحديث عن تلك المسالة القديمة ، مسالة ادب « التروبادور » وعلاقته بالادب العربي وتاثره به ولقد نفذت اقلام الكتاب هذا المبحث مرارا ، ومع ذلك ظل على خط من الغموض ، بعد ان احتدت عليه القوم مؤيد ومناوىء ، ولهذا ياتي مبحث الاستاذ الفاسي بمثابة وضع صحيح حاسم للمسالة في نصابها ، اذ يدحض حجج الفريق الذي ينكر تاثير الادب العربي في ادب « التروبادور » وينقدها واحدة واحدة ، مبينا كيف يتشابه الادبان في الموضوع وفي الشكل : فالغرام في ادب « التروبادور » عذري ، والموضوعات التي يطرقها هؤلاء الواجدون « التروبادور » بينها وبين ما الفه الشعراء العرب مشابه قوية ، والحديث عن الواشي سائر في كليهما ، وشكل القصيدة وخرجتها (Tornada) قائمان كما هما في ازجال اهل الاندلس .

ويدعم هذا كله ببيان واضح للطريقة التي تم بها هذا التاثر من قبل الواجدين بالشعراء العرب في الاندلس ، رغم جهلهم باللغة العربية ، وذلك اذ يذكر بانتشار الثقافة العربية في الاندلس انتشارا واسعا ادى الى ظهور طبقة من المستعربين (Mozarabes) تحيا حياة عربية في كل شيء ، كانت هي الواسطة بين الشعراء العرب وبين الواجدين وغيرهم .

ويختم الاستاذ الكبير حديثه متمنيا ان تزداد العناية بدراسة الادب العربي في الادب الغربي ، بعد ان كانت تقتصر دراسة الباحثين في الحضارة العربية على بيان اثر هذه الحضارة في مجال العلوم النظرية والعقلية ، دون كبير اشارة الى اثرها في مجال الادب .

ويمتاز المقال في جملته بالقصد والدقة ، فيقول في صفحات قليلة اشياء كثيرة ، ويصل الى الهدف بروح البحث العلمي البعيد عن الاسراف .

جوانب عن شخصية يوسف بن تاشفين للاستاذ عبد القادر الصحراوي : لقد اصاب شخصية يوسف بن تاشفين على يد المؤرخين ما اصابها ، ولامر ما كان ذلك ؛ وقد استطاع الاستاذ الصحراوي في مقال قيم دقيق ، ان يبين اولا كيف كانت قصة يوسف بن تاشفين مع ملوك الطوائف جملة ، وعلى راسهم المعتمد ابن عباد ، المسؤولية الاولى عن هذه الصورة الشوهاء التي كانت لهذا الفاتح الذي توفي سنة خمسمائة للهجرة . كما توصل ، عن طريق النصوص القاطعة التي جمعها ان يظهر صورة هذا البطل على حقيقتها ، مبرزا خلقه الرفيع وتواضعه وكثرة حيائه ، مدللا على تورعه عن سفك الدماء وجنوحه الى العفو والصفح ، مبينا خاصة كيف التمر المعتمد بن عباد مع (الفونس السادس) فكان ذلك دافعا ليوسف الى حربه العنيدة معه . ومن ابرز ما يوضحه الاستاذ الصحراوي في صفات يوسف عزوفه عن ترف الامراء ، ذلك الترف الذي جعلهم في واد والشعب في واد آخر ، ودفعهم الى الكيد للاندلس ووحدتها طلبا للامارة وانتجاعا للهو

والمجون ، فاراد يوسف ان يقوم هذا كله ، فكان لـه مع هؤلاء الامراء شان واي شان ، وهكذا خصهـم بقـوته ، وخص الشعب برفقه وعدله .

ويصل الاستاذ الصحراوي الى هذه الحقائـق جميعها عن طريق اسلوب في البحث يمتاز بطول النفس والجري وراء الحجج ومطاردة النصـوص وتطويـق الموضوع تطويقـا علميـا من جميـع جنباته .

محمد الثالث ومحمد الخامس للاستاذ عبـد الهادي التازي : الآتي اشبه بالماضي من الماء بالمـاء على حد تعبير ابن خلدون ، هكذا كشف صاحب هذا المقال عن صفحة مجيدة في تاريخ المغرب القديم تذكر بمثيلة لها في التاريخ الحديث ، صفحة كانت في ايـام محمد الثالث ترنو الى ترب لها في عهد جلالة محمـد الخامس ، والصفحتان حديث ذو شجون عن وشائـج القربى التي ربطت دوما بين اجزاء المغرب العربي وعن وحدة المصير ووحدة النضال في هذ الجزء الكبير من الوطن العربـي .

ولم يقف السلطان عند هذا الحد بل استقبـل الاسرى الجزائريين في طريـق عودتهم الى ديارهم ، فاستضافهم عنده واحسـن وفادهم ايام العيد ، حتـى اذا ودعت ايامه ، اصدر اوامره للسفير ان يصحبهم الى فاس حيث يتوجهون منها الى وجدة فتلمسان .

وينتهي الكاتب الى المقارنة بين هذا الموقف الذي وقفه السلطان محمد الثالث من وحدة المغرب العربي ومن مسالة الجزائر ، وبين موقف يضاهيه ، موقف جلالة محمد الخامس ، مبينا بذلك كيف ظل العطف على الجزائر متوارثا بين ملـوك المغرب عبر التاريخ ، مذكرا من جديد بهذا الايمان العريق بوحدة المغـرب العربي ، ووحـدة نضالـه .

والحق ان صفحات دعوة الحـق حافلة بهـذا الايمان العميق الـذي عرفنـاه عن اهـل مراكـش ، الايمان بوحدة المصير بين اجزاء المغرب العربي ، وبان معركة المغرب معركة واحدة لا تتجزا كما ان معركـة

الدكتور عبد الله عبد الدائم علم من اعلام الفكر في الجمهورية العربية المتحـدة . دكتور في التربية وعلم الاجتماع . واستاذ كرسي دائم في كلية الآداب بالجامعة السورية بدمشق .

من اشهر مؤلفاته (القومية العربية والانسانية) (دروب القومية العربية) ومؤلفات اخـرى كثيـرة .

كتب في المجلات المصريـة والسورية واللبنانية وغيرها من المجلات العربية ابحاثا كثيرة كـان لهـا صدى كبير في العالم العربي .

عرف فيه طلاب الجامعة السورية مفكرا كبيرا ورائدا من رواد فكـرة الوحـدة العربية ، فالتفوا حوله كعالم ورائـد .

ساهم في اهم الاحداث السياسية التـي مرت بها سورية الى ان كـونت مـع مصـر الجمهورية العربية المتحدة ، وتحمل تضحيات مهمة في سبيـل ذلـك .

ففي اواخر القرن الثاني عشر الهجري وجـه السلطان محمد الثالث سفيره الى « مدريد » ليقـوم بمساعي تهدف فيما تهدف الى اطلاق سراح اكبـر عدد ممكن من الاسرى ، ولما تم الاتفاق على ذلك وبدا اختيار هذا العدد من بين مجمـوع الاسـرى ، كانت توجيهات السلطان الا يتم الاختيار على اساس مغرب اقصى ومغرب اوسط ، ولكن على اساس مغرب عربي مسلم ، وان يتم ايثار ابناء الجزائـر علـى غيرهم ، لانهم اولى بالسند واحق بالنصرة .

العرب في كافة اقطارهم معركة واحدة لا يجدي فيهـا الا ان ينقلب الايمان بالوحدة وحدة في النضال .

الواقعية في الادب للاستاذ احمد زياد : الحديث عن المذاهب الادبية حديث مكرور دوما جديد دوما .

ومقال الاستاذ احمد زياد خواطر تراود الكثير من ادبائنـا حين يسائلون : مـاذا نختار من المذاهب الادبية ؟ اما جواب الاستاذ زياد ، وهو جواب لا يريد ان يحمل عليه غيره ، فهو ان الادب في البلاد العربيـة

ينبغي ان يعتنق المذهب الواقعي ، وحجته في ذلك ان المجتمع العربي اولا مادة غنية للادب الواقعي ، فهو عامر بالصور الحية التي يجدر بالاقلام ان تنفضها .

وحجته ايضا ان اي ادب ، اذا ما استعرضنا تاريخ الآداب ، لا يكتب له الخلود الا عندما يعرف ان يكون نابضا بصور الواقع حافلا بحرارة الحياة ، فها هو ذا « ترجيف » الاديب الروسي يرقى هام الادب حين يعرف ان يصور استغلال الفلاح وارهاقه ، وها هو ذا زميله « جوجو » زعيم الواقعية يكتب مآثر خالدة لما تنطوي عليه من دقة في تصوير البيئة، وها هو ذا « اميل زولا » يابى الا ان يكتب للشعب بكامله ويرفض ان يصور حياة طبقة واحدة ، طبقة المترفين ..

اما الادب العربي ، فيما يرى الاستاذ زيـاد فما يزال فقيرا في الادب الواقعي ، وما اتجه منه هذه الوجهة استطاع ان يخلد ويحتل الصدارة ، من مثل بعض كتب طه حسين وتوفيق الحكيم ومعظم قصص نجيب محفوظ .

ويدعو الكاتب الى العناية بهذا الادب الواقعي ويرى ان البيئة المغربية خاصة غنية بمواد الادب الواقعي ، وان مئات من القصص الواقعية يتحدث بها الفلاحون في البادية المغربية وتنتظر اقلام الادباء .

ومما لا شك فيه ان واقع الحياة الاجتماعية في الشعب المغربي يتحدى اقلام الكتاب ويقدم لهم مادة خصبة عامرة ، غير ان التعبير عن هذا الواقع لا يلزم ضرورة ان يكون عن طريق الاسلوب الواقعي في الادب والصلة اليوم في عصرنا الحديث بين الادب الواقعي وغيره غدت وشيجة ، واصبح من العسير التفريق القاطع بين الادب الذي ينتسب الى الواقع والادب الذي لا ينتسب اليه ، لا سيما بعد ان تعددت الوان الواقع وتكاثرت اشكاله ، ولعل بعض الادب الواقعي من واقعيته في فقر ، ولعل بعض الادب الحر من خصبه في قلب الواقع ، ومع ذلك لن ندعي ان في وسعنا الخوض في مثل هذا الموضوع في مثل هذه العجالة ، ومن الصحيح دوما ، كما اراد الكاتب ، ان واقع امتنا هو اقوى غذاء للكاتب المبدع ، منه ينطلق ، اما كيف ينطلق ، فمبحث عسير على التحديد .

مشاكل القومية في المغرب العربي للاستاذ ادريس الكتاني : مقال الاستاذ ادريس مرور رفيق ودقيق بطائفة من المشكلات التي تعرض كلما تعرض فكرة القومية العربية .

ان التعريف الذي يريد الاستاذ ادريس الكتاني ان يقدمه للقومية العربية تعريف واقعي ، هو انها قوة عالمية تتكون من تسعين مليونا من العرب تمتد في رقعة كبيرة من الارض وتتوافر فيها ثروات ضخمة ، ويبدو منذ البداية الا يقبل بفكرة العروبة كفكرة مجردة وان يؤيد اساسها الروحي باساس مادي هو طاقتها وقوتها .

وينتقل بعد ذلك الى اثارة بعض المشكلات التي تتصل بالقومية العربية في المغرب ، فيبين كيف يقبل شعب المغرب العربي على فكرة القومية اقبال سائر العرب في كل مكان ويشير الى مؤتمر « وحدة المغرب العربي » الذي انعقد بطنجة في ابريل من عام 1958 . غير انه لا ينسى بعض المشكلات التي تواجه هذه الفكرة هناك ، وعلى راس هذه المشكلات مشكلة التعريب ، تعريب لغة الدولة في الادارة والتعليم ، بل تعريب التفكير الذي لا ينفصل عن تعريب التعبير ، كما لا ينفصل الفكر عن اللغة .

ثم ياخذ الكاتب على التوجيه الذي تسير عليه وحدة المغرب العربي بانه في بعض الاحيان توجيه يجعل من المغرب وحدة اقليمية مستقلة منفصلة عن الكيان العربي العام ، ويوجه مثل هذا النقد خاصة الى ما جاء في دستور تونس الاخير الذي يجعل الجمهورية التونسية جزءا من المغرب الكبير ، دون ان تشفع كلمة المغرب فيه بكلمة «العربي» رغم ان هذه اللفظة لفظة سارت بها الالسن .

ويشير بهذه المناسبة الى سبق سوريا لسائر الدول العربية في هذا المجال ، مجال الوعي والايمان بالوحدة العربية ، والى ما كان لدستورها عام 1950 من سبق على سائر الدساتير العربية حين نص على ان الشعب السوري جزء من الامة العربية .

ومن اهم ما ورد في هذا المقال القيم الدعوة الواضحة الى الخروج بالشعور القومي من الغموض الذي يكتنفه ، والى تحديد الاولوية التي تعطي ضمن السياسة القومية: فاما ان تعطى الاولوية لتدعيم القومية العربية ويتم بناء الفكرة القومية على اساس فكرة الامة العربية ، واما ان تعطى الاولوية لتدعيم الرابطة الاسلامية ، اما التردد بل التقية ، فيعنيان البقاء دون سياسة قومية على الاطلاق ، ومثل هذا التردد يفيد منه الاستعمار على اوسع نطاق .

ومقال الاستاذ الكتاني فى جملته ، يمتاز بنظرات حصيفة وروح قومية عربية تقدمية حرة ، وان يكن يعوزه فيما نرى فضل من الخطة والتنظيم .

دور العرب فى المستقبل للاستاذ محمد الفربي : يبين الكاتب فى هذا المقال الطيب وحدة العرب اولا فى شتى ديارهم ، ويسائل بعد ذلك عن الوسائل التي يستطيع بها العرب التغلب على مظاهر التخلف عندهم والافادة من امكانياتهم افادة تمكنهم من العطاء للحضارة والانسانية .

ويبدأ اجابته على هذا السؤال محاولا ان يعيد الى العرب ثقتهم بانفسهم ، مبينا اولا ان التفاوت الوراثي بين الشعوب غير موجود ، وان التفاوت يرجع الى الدربة والبيئة ، مذكرا بعد ذلك بما كان للعرب من شأن فى الحضارة وبما قدموه من ابداع يجعلهم دوما جديرين بمثله او احسن منه . وما دام الامر كذلك فلابد اذن من بيان العوامل التي ادت الى تخلف العرب عن ركب الحضارة . واهم هذه العوامل فى نظره اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب وباخلاط المغول والتتار خاصة والهجوم الصليبي ، والاستعمار التركي والاستعمار الاوروبي .

ومثل هذه العوامل امور دخيلة غدت فى طريق الزوال ، وفى وسع العرب ان يعاودوا رسالتهم الانسانية ، ولهم من امكانياتهم ما يؤهلهم لمثل هذا .

1) فهناك اولا مكانتهم الاقتصادية الضخمة من بترول وكهرباء وفحم ومعادن.
2) وهنالك ثانيا قوتهم المكانية فى العالم وموقع بلادهم الاستراتيجي
3) وهنالك ثالثا قوتهم الفكرية وغناهم بالقوى الروحية والاخلاقية والانسانية .
4) وثمة بعد ذلك قوة اخرى ، هي الوفر البشري ووفرة عدد السكان .
5) وهنالك خامسا القوة النضالية التي يملكها الشعب العربي ، تلك القوة التي ظهرت فى جميع عصور تاريخهم .

ان هذه الامكانيات كلها تزيد فى ثقة العرب بانفسهم ، وتجعلهم يدركون ان الطريق الوحيدة لبناء مستقبلهم هي طريق الوحدة ، ولا سيما فى عصر لم يعد فيه من شأن للدول المكروسكوبية واصبح الشأن كل الشأن للدول الكبرى .

والكلمة حقا كلمة واعية ، تبحث واقع الفكرة القومية العربية وامكانياتها بحثا علميا منظما ، وتبين فى جلاء ووضوح ما يمكن ان يتفتح عنه العالم العربي من طاقات اذا هو لم شعثه ، وضم قواه الشتيتة .

وما نزال ، والحق يقال ، فى حاجة الى مزيد من هذه المباحث التي ترينا النتائج المادية العملية التي ترتجى من الامة العربية عند وحدتها ، ولعل الكثير من ابناء العرب يجهلون الحقائق الجميلة الناصعة التي يوردها الاستاذ الفربي فى كلمته هذه .

وان كان لابد من نقد ، فهو وقفة قصيرة عندما يقوله من عدم قيام تفاوت وراثي طبيعي بين الشعوب ومن رد هذا التفاوت الى الدربة والبيئة ، فمثل هذا القول لا يخلو من غلو ، ونحن وان كنا لا نؤمن بالاساس العرقي للقوميات، ولا نؤمن بوجودعروق مختارةواخرى منحطة ، لا نستطيع ان نهمل العامل البشري فى خلق الحضارات ، ولا نستطيع ان نرد كل شيء الى البيئة وحدها ، ومثل هذا التساوي المطلق بين الشعوب فى استعداداتهم الطبيعية امر غير واقع . ولئن كان من الصحيح ا نالعرق غير موجود ، فمن الصحيح فى مقابل ذلك وجود نمط معين من تمازج الدماء فى شعب معين، ذلك التمازج الذي يجعل من الشعب العربي مثلا شيئا مباينا للشعب الايطالي او الالماني او غيرهما من الشعوب .

اللغات الاجنبية ، مكانتها فى البرامج التعليمية للاستاذ محمد عبد الواحد بناني : يدافع كاتب هذه الكلمة عن فكرة الغاء اللغة الاجنبية من التعليم الابتدائي مستشهدا بما تم فى سوريا منذ امد ، وبالحجج التي قدمها الاستاذ الكبير ساطع الحصري فى « حولية الثقافة العربية » .

والحق ان هذه المسألة مسألة كانت وما تزال موضع صراع بين المربين والباحثين ، وما نزال نلقي من جرائها الشيء الكثير .

ولقد اقرت المناهج الاخيرة للجمهورية العربية المتحدة فكرة الغاء اللغة الاجنبية ، من التعليم الابتدائي وقدر لنا ان نكون احد الاعضاء الذين اسهموا فى وضع اسس هذه المناهج منذ ثلاثة اعوام ، وقدر لنا بالتالي ان نشهد الجدل العنيف الذي دار حول موضوع تعليم اللغة الاجنبية ، وقد كنا وما نزال من انصار الغاء اللغة الاجنبية فى التعليم الابتدائي ، وما نود هنا ان نضيف الشيء الكثير الى ما قدمه الاستاذ ساطع الحصري وما نقله عنه الاستاذ البناني .

وحسبنا ان نقول ان الاصرار على تعليم اللغة الاجنبية فى المدارس الابتدائية العربية يفصح فى الواقع عن استمرار لمركب النقص عند العرب ، وعن امتداد لا شعوري لـعدم ثقتهم الكاملة بانفسهم ، وليس هنالك من لا يؤمن بضرورة اتقان اللغات الاجنبية ، غير ان مثل هذا الاتقان فى الواقع يمكن ان يتم اذا وجهت العناية لتدريس اللغة الاجنبية فى المرحلة الثانوية .

اما الابحاث التربوية فتناصر كلها فكرة عدم ارهاق الطالب فى المرحلة الابتدائية بتعليم لغة غير اللغة الام ، فتعلم اللغة يحتاج الى جهد عقلي ، واللغة حضارة الى جانب كونها لغة ، ومسيء الى الطفل ان يتوزع جهده العقلي بين حضارتين منذ الصغر وقبل ان يتقن لغته وينغمر فى حضارته .

ولا سبيل هنا الى التوسع فى مناقشة هذه الفكرة، ونحن ندرك تمام الادراك ان وفاءها حقها يتطلب منا الصفحات الطوال ، فمعذرة ان كان ايجازنا مخلا .

القصة التاريخية فى الادب العربي ـ ترجمة الاستاذ احمد المكناسي : هذه الكلمة ترجمة مع اغناء للبحث القيم الذي نشره الاستاذ هنري بيريس عن القصة التاريخية ونشأتها ، وفيه يبين الكاتب ان القصة التاريخية حديثة النشأة فى تاريخ العرب ، فلا نقع الا على اصول بسيطة لها فى كتب « السير » ولا نكاد نجدها بمعناها الدقيق الا فى القرن التاسع عشر . ويرد الكاتب هذا الى ظهور الحركات الثقافية والعلمية الاجنبية فى البلاد العربية .

ويتحدث صاحب البحث عن اهم من اشتهروا منذ ذلك القرن بكتابة القصة ، فيذكر ناصيف اليازجي واحمد فارس الشدياق ، ويقف خاصة عند جميل نخلة مدور وكتابه « حضارة الاسلام فى دار السلام » كما يتحدث طويلا عن جرجي زيدان ومؤلفاته التاريخية القصصية الكثيرة ، وينتهي به المطاف الى الحديث عن القصص التاريخية بعد وفاة جرجي زيدان ، فيشير الى قصة فرح انطوان « او شليم الجديد » والى كتاب « حضارة العرب فى الاندلس » لعبد الرحمن البرقوقي صاحب مجلة البيان ، وهو كتاب شبيه بكتاب جميل مدور « حضارة الاسلام » .

المعرفة والحدس عند برجسون للاستاذ عبد المجيد مزيان : الحديث عن الحدس البرجسوني قلب الحديث عن فلسفة برجسون .

وفى مقاله هذا ، يبين الاستاذ مزيان معنى الحدس البرجسوني ، والفرق بين العقل عند برجسون كاداة لفركة الاشياء ، وبين الحدس كاداة للمعرفة الحقة الصافية ، ويشير الى هذا المعنى على نحو ما ورد خاصة فى كتاب التطور الخالق حيث يعقد برجسون مقارنة بين العقل والحدس والغريزة وحيث يشير الى فكرة الدفقة الحيوية ، ثم فى كتاب « منبعا الاخلاق والدين » حيث يميز بين الاخلاق المنغلقة والاخلاق المتفتحة .

ويختم مقاله بنظرة نقدية يلقيها على فلسفة برجسون الحدسية ، ويأخذ عليها خاصة نظرتها الى العقل والى العلم .

والحق ان الفلسفة البرجسونية ، على ما فيها من جمال وبراعة ، ورغم انها استطاعت ان تلمع فى الافق الفرنسي والعالمي فترة من الزمن ، لم تستطع ان تستمر كفلسفة ذات اطار واضح ، ولعل ما اتت به فى مجال السلب ، يفوق ما اتت به فى مجال الايجاب ولعلها ، على حد تعبير برجسون نفسه نجحت فيما نقدت اكثر مما نجحت فيما قررت ، بل لعل هذا المصير مصير اكثر الفلسفات فى العالم .

ومع ذلك فقد استطاع برجسون ان يقدم منهجا فى فهم الاشياء والنظر الى الامور غذى الفكر الانساني، وغذى الادب بوجه خاص ، والومضات التي اتى بها ما تزال آثارا بديعية خالدة، وان كان بعضها لا يخلو من خداع بصري كبير .

خلود للاستاذ محمد الصباغ : قطعة من الشعر والشعور ، تنسجها الفاظ مختارة وهمسات نفسية ناعمة ، والاستاذ الصباغ فيها يصيد الالفاظ المختارة صيد اللؤلؤ ، ويعرف ان يولد الصور الفنية الدافئة وان يخلق من الكلم انشودة سحرية ووشيا منمنما .

ووراء هذا الاسلوب الفذ ، وهذه الصور اللعوب ، فى مقال الاستاذ الصباغ ، تجربة وفكر وتمزق لقد استطاع فيه ان يفجر كل ما فى « الكلمة » من سحر وابداع روحي ، وعرف أن يمزج بين عمق التجربة الفكرية وصفاء القالب اللفظي فقد نجح حقا فى ان يهب للفظة كل شفوفها .



نقد وتعليق
بقلم الاستاذ احمد زياد

مضى علي وقت طويل – او يكاد يكون طويلا – لم اتحدث فيه عن الشعر والشعراء ، ولقد كانت لي مع بعض شعرائنا صولات وجولات ، كانت تشكل صورة من صور النهضة الادبية المباركة التي كنا نخوض غمارها جميعا بايمان وعزم ، وكنا نظن ان حلقاتها ستمتد وتلتحم مع حلقات اخرى يظهرها عهد الاستقلال ، غير ان هذه الحلقات انقطعت او كادت ان تنقطع ، اولابعض شعرائنا الذين نراهم ما يزالون يحنون الى ذلك العهد ، فيخرجون على الناس بشيء من الشعر يشهد بأن رمقا منه ما يزال في هذه البلاد ، وان ربة الشعر لم تمت ولو انها على حالة مؤسفة من الضعف ومن العياء ، حتى ان هذا العياء وذلك الضعف قد جعلاها في حالة غير مرضية من الهرم ومن الشيخوخة ، ولو لا ما نراه كذلك من محاولات جديدة في الشعر يكتب لها النجاح حينا وينتكر لها احيانا .

لقد كان امرا طبيعيا ان يتطور الشعر في المغرب وان يكثر رعيل الشعراء في بلدنا بعد الاستقلال ، لان الشعراء كانوا يعتذرون بان الشعر نقيض الخنق والكبت ، وانهم لا يستطيعون قول الشعر والتغني به الا اذا كانوا طلقاء من قيود كان يقيدهم بها الاستعمار الذي تعودنا منه ان يحارب كل مظهر من مظاهر الحرية والانطلاق .

وكنا نقبل هذا العذر ، وكان يقبله معنا الناس ، وكنا ندعو الله جميعا لان يمن على المغرب بالحرية والاستقلال فينعم بها الشعراء داخل نطاق اسرة الشعب المغربي كلها ، واستجاب الله دعاءنا فجاء الاستقلال وجاءت الحرية بمجيء الاستقلال ، ولكن حصة الشعراء لم تزد على ما كانت عليه الا نسبة قليلة وقليلة جدا . وكان من بين الشعراء في عهد ما قبل الاستقلال من يضن بشعره او يتقاعد عن نشره لان الجو لا يسمح بذلك ، فكان الشعر وكان الادب بصوره عامة يخرج من بين فرث ودم ، وبقي كثير من الشعراء على حالهم هذا الى يومنا هذا من عامنا هذا وفي عهدنا هذا كذلك .

وهذا ديوان «دعوة الحق» الذي صدر في العدد الماضي شاهد على ما نقول ، فهو يضم عدة قصائد لبضعة من الشعراء ، يعتبر البعض منهم من الرعيل الاول ، كالاساتذة : محمد بن ابراهيم ، عبد القادر حسن ، محمد الحلوي ، كما يضم قصيدة لشاعر ناشيء نتمنى له التوفيق والنجاح ، ثم ان بعض هذه القصائد قيلت منذ سنين خلت ، فلم يكن بد من ان تدرج في الديوان ، لانه ليس في الامكان ابدع مما كان ، ولان صديقي رئيس تحرير مجلة « دعوة الحق » يقوم بمجهود ديبلوماسي عظيم مع الادباء والشعراء لحملهم على ان يكتبوا ويعطوا لعهد الاستقلال مدلوله الثقافي وطابعه الادبي ، وهو ينجح في الكثير من الاحيان بفضل صبره وجلده ، ولانه يستطيع ان يحمل بعض الناس على استخراج «الاحتياطي» من شعرهم ، ولانه يحمل آخرين على ان يقولوا شعرا لابد منه للديوان . وصحيح ان ديوان « دعوة الحق » ينشر قصائد جديدة ، ولكن الذي يعنيني الآن هو العدد الماضي الذي تكفلت بالحديث عن ديوانه اليوم ، فلنشرع في الحديث عن بعض قصائد هذا الديوان .

*

في ديوان العدد الماضي من « دعوة الحق » قصيدة قيلت منذ سنوات خلت ، واعني بها قصيدة شاعر الحمراء المرحوم السيد محمد بن ابراهيم ، ولهذه القصيدة قصة ربما يكون من المفيد ان نشير اليها بهذه المناسبة لانها تصور جانبا من نفسية الشاعر الراحل .

فلقد زارت جمعية للتمثيل من قدماء تلاميذ المدرسة الثانوية بفاس مدينة مراكش ، وعرضت في زيارتها هذه رواية الشاعر احمد شوقي « اميرة

الاندلس » على الجمهور المراكشي ، ومن المعلوم ان شوقي في مسرحيته هذه يتجه اتجاها يظهر عمل يوسف بن تاشفين مع المعتمد بن عباد في صورة تكتسي شيئا من القساوة او الشذوذ بالطف تعبير . ولشوقي بعض العذر في هذا الاتجاه ، لانه كان ينظر الى هذا الحادث من زاوية الادب لا من زاوية التاريخ ، وهو الجانب الذي نظر اليه يوسف بن تاشفين ، وهو نفس الذي كان يؤمن به شاعر الحمراء ، وما ان ابتدا عرض الرواية على ما كان يرويه ابن ابراهيم نفسه ، حتى احتدم شاعر الحمراء غيظا ، وثار ثورة من ثوراته المعروفة ، فلم يجد بعض اصدقائه بدا من ان يقوموا بمساعي حميدة لعمل شيء يخفف من ثورته ويفرج كربته ، فكان هذا الشيء هو هذه القصيدة التي اتفق الطرفان على ان يلقيها الشاعر على اثر الانتهاء من عرض الرواية ، فجاءت كما هي الآن يبدو على ابياتها طابع الارتجال ، لانها من عفو الخاطر ، ولان ابن ابراهيم كان « يعز عليه ان يرى مصير ابن عباد بعد مجده ، كما كان يعز عليه ان يراه مصفدا يساق الى اغمات » ولكن عمل يوسف بن تاشفين كان «لنصر دين محمد ، وانقاذه من بؤرة الهلك والنكد ، ولكن المقطع الذي قبل هذا يدل على ان شاعر الحمراء كان يرى في تصرف يوسف بن تاشفين عملا ايجابيا حتى انه شبهه بالفاروق عمر بن الخطاب . . »

افاروق افريقيا ! امتشقت مهندا
وقبلته شوقا وطوحت بالغمد

والشطر الاخير من البيت يشكل صورة فنية لا تخلو من ابداع ولو انه ابداع بسيط :

ورحت به ركضا لاندلس بها
تصد ذوي الاغراض عن سيء القصد

فابقيت للاسلام باذخ مجده
ولولاك اضحى الدير مقتعد المجد

الى ان يقول :

ولم تكثرت بالغانيات وعودها
وتسوية الاوتار في نغم (الرصد)

ولم تحتفل بالراح من كف كاعب
لترشف من ثغر وتهوي الى نهد

بك استنجدوا طرا فكنت لصوتهم
صدى شيمة الاسد الضواري مع الاسد

وهذا البيت لم يكن محله هنا وبعد البيت الذي قبله ، لان الانتقال مباشرة من الثغر والنهد الى الاسد الضواري مع الاسد ، فيه ما فيه من اخلال بالعرض الفني ، ومهما يكن من امر فان القصيدة رغم ما يبدو عليها من اثر الارتجال ، فان بعض ابياتها تشهد بهذه الموهبة التي كان يتمتع بها شاعر الحمراء.

واود هنا بهذه المناسبة ان اوجه نداء حارا الى اصدقاء هذا الشاعر والى الذين يتوفرون على قصائد من شعره او يحفظونها ، ان يوجهوها الى « دعوة الحق » لتنشرها حتى لا تظل في زوايا النسيان ، وحتى لا يظل اسم هذا الشاعر نسيا منسيا .

فهناك الكثيرون ممن يحفظون قصيدة « المطعم البلدي » والقصيدة التي يهجو فيها الشاعر الخليفة البياز ، وغيرهما من القصائد ذات الطابع الاجتماعي والفني ، لان نشر مثل هذه القصائد يلقي بعض الاضواء على حياة هذا الرجل الذي يحتل نفس المكانة التي يحتلها كل من الشاعر العبد ، والديب في مصر . ولئن كانت حياة هؤلاء الشعراء تتسم بشيء من الشذوذ فان شعرهم يعد بحق صورة من صور المجتمعات التي عاشوا فيها ، ومن وظيفة الادب ان يملي خبايا المجتمعات ويظهرها في مرآته الصقيلة .

*

وانتقل الى قصيدة اخرى في الديوان وهي قصيدة الشاعر الحلوي ، وصديقنا الحلوي شاعر اصيل كما كان رأيي فيه منذ زمان ، لانه شاعر بطبعه ، وهو ينوع باقاته الشعرية تنويعا يدل على ذوقه السليم .

وقصيدته « سافرة » المنشورة في ديوان « دعوة الحق » نحا فيها منحى الموشحات الاندلسية ، في الاسلوب وفي الوزن كذلك . . الا انه كثيرا ما يخل بالجمال الموسيقي في قصائده ، وتلك آفة تسببها له هذه القوافي التي يدعو بعض الناس الى التحرر منها ، لانها تحملهم فوق ما يطيقونه .

فاين وقع هذا الاخلال في قصيدته « سافرة » ؟ تعالوا معي نقرأ المقطع الاول منها :

اسفرت كالشمس تلقي شبكا ... من سناها ورمت بالبرقع

كاعب بين حسان كالدمى

تتحدى كل ظبيات الحمى

بجمال ابدعت فيه السما

ما رآه الصب حتى ارتبكا ... وتهاوى قلبه في الاضلع

او رأيتم هذه «الاضلع» كيف جاءت نابية في الترتيب الموسيقي ؟ ان تشبيه الحسان بالدمى لم يعد صالحا اليوم ، واضف اليه (الظبيات) فلو ان الحلوي اخذ طابع الموشح وصاغ فيه صورا جديدة ، تناسب بيئة « سبو » التي جعل منها اطارا لقصيدته، لجاء العرض احسن ، وانني على وفاق تام مع السيد الحلوي في ان الشعر يجب ان يظل في اطاره العربي ، ولكني لست معه في ان يظل الشاعر في سنة 1959 يشبه الحسان بالظبا او بالدمى لان التطور شيء بينما المسخ شيء آخر ، وانني مع التطور لكنني اكره المسخ ، ومن تطور الشعر انه لم يعد صالحا ، لان يكون مشتملا على هذه التشبيهات التي تضفي عليه صورا من صور المبالغة والاستعارات التي فات زمنها وانقضى .

فمن الاحسن ومن الانسب للشعر المعاصر ان تكون صوره مستمدة من الواقع او منسجمة معه ، ومن الاحسن والانسب للشاعر ان ينفعل مع واقعه ومع احاسيسه انفعالا صادقا ليأتي بالصور الشعرية الفنية التي ترسم الصور في غير مبالغة ولا تهويل ؛ فلم يعد الشعر صالحا لان تشبه فيه الغادة بالشمس التي تخلف الشمس اذا لم تطلع — كما تقول قصيدة الشاعر السيد الحلوي — فلو ان الله سبحانه حباني شاعرية في قوة شاعرية الحلوي وخصبها لاقتصرت على وصف دفين العواطف وكما هي بدون « رتوش » ولفضلت ان ارى المناظر او انفعل مع الحوادث فأصور الاحساسات بهذا النغم الموسيقي الذي يتوفر لدى شاعرنا الحلوي ، وما زلت اذكر له البعض من مثل هذه الصور التي كان يتفنن في اخراجها وابداعها ؛ فعسى ان يعيش الحلوي مع الواقع المغربي ويتحفنا بقصائد تصور القبائح والرذائل التي يزخر بها مجتمعنا ، لان مجتمعنا ليست فيه السافرة التي يمكن ان تخلف الشمس ، ففيه السافرة الجميلة ، المترعرعة البضة المترفة ، وفيه كذلك السافرة التي تحمل الجرة او اكوام الحطب على ظهرها تقطع بها المسافة الطويلة وهي تئن تحت ثقلها وعبئها ؛ لاننا نعيش في مجتمع متناقض الاجزاء ، فلماذا لا يكون لهذه الصور حظ في شعر الشعراء .

انني ارجو ان ينشط الشعر وان ينشط الشعراء ، وارجو كذلك ان تتاح لهم فرصة الاندماج في مجتمعهم الذي يعيشون فيه لينتجوا شعرا صادقا ، وليستغلوا مواهبهم فيما ينبغي ان تستغل فيه وليكونوا معبرين عن الحياة الانسانية بما فيها من آمال وآلام .

وصورة «سافرة» التي رسمها الحلوي في قصيدته تعتبر شيئا من هذا القبيل لولا ما يشينها من مبالغة او تناقض في بعض الاحيان ، واسوق هذا المقطع للتاكيد مرة اخرى على ان المبالغة تنقص من قيمة الصور الشعرية في بعض الاحيان :

وتناجينا وغنيت لكا ... لحن حب لست فيه ادعي

لست انسى ذكرياتي في (سبو)

مرتع خصب وواد معشب

وشذى يزكم انفي طيب

فما هو هذا الشذى الذي يزكم الانوف يا صديقنا الحلوي ؟ اللهم الا ان يكون شذى السعوط — اي النفحة — .

*

واترك صديقنا الحلوي الذي ما فتئت تعجبني محاورته ، لانني معجب بشاعريته ، واعجابي به هو الذي يجعلني ادقق معه الامور ؛ فاتركه واهنئه على « سافرته » لالتقي بصديق آخر واخ كريم ، هو الاستاذ عبد القادر حسن ، وانا اعرف الاستاذ عبد القادر حسن منذ عهد « احلام الفجر » واحلام الفجر هو اسم ديوانه الذي نشره في سنة 1936 على ما اظن ، ولقد شارك في ديوان « دعوة الحق » برباعيات .. فهل اصبح صديقنا الاستاذ عبد القادر حسن فيلسوفا ، او هل اصبح ينزع الى الفلسفة على اقل تقدير .

انه يتحدث عن «الشك» في هذه الرباعيات كما كان يتحدث عنه ابن مسكويه، ويتحدث عن «الصديق» كما كان يتحدث عنه ابو العتاهية :

قال قوم ما باله زير شك
لا يرى ما يراه كل الانام ؟

تائها فى مفاوز العقل يغدو
ثم يمسي فى حيرة وسقام

*

ليت ما يزعمون كان صحيحا
فيتم انعتاق نفسي وبرئي

ليت شعري متى الوب مساء
لفراشي ولا ادين بشيء

*

لم ازل باحثا احاول كشفا
لخبايا نفسي وسر وجودي

وقيود الارض الثقيلة تابى
غير غمسي فى حمأة التقليد

انه تحليل شعري لفلسفة الشك ـ كماترون ـ وفلسفة الشك باب بارز فى الدراسات الفلسفية ، ويقول الاستاذ عبد القادر حسن فى الصداقة والصديق ما قاله ابو حيان التوحيدي فى كتابه الذي يتحدث فيه عن « الصداقة والصديق » .

انما الاصدقاء فينا صنوف
واخف الجميع عند ابتلائك

هو من لم يطأ قفاك لبرقي
ـ عن قصور ـ ولم يلغ فى دمائك

ان ازيد من عشرين سنة فى الكفاح السياسي والادبي قد افضت باخينا عبد القادر حسن الى ان ينزع منزع الفلاسفة ، والشعر حينما يصطبغ بالصبغة الفلسفية تستأثر به الافكارمن غير ان يقيم وزنا للنغم الموسيقي ، وهذا حال صديقنا الاستاذ عبد القادر فى « رباعياته » فلندعه فى تأملاته حتى يمكنه ان يتحفنا برباعيات اخرى ، يواصل بها كفاحه الادبي الذي كان ـ ولعله سيظل ـ من جنوده الاوفياء . .

اما القصيدة الاخيرة فى ديوان « دعوة الحق » فهي للسيد بنسالم الدمناتي وعنوانها « بحث عن الشعور » وقد قراتها مرات فخرجت منها بهذه النتيجة ، وهي : ان السيد بنسالم ما يزال يبحث عن الشعور .

وحينما يعثر على هذا الشعور سيكون فى امكانه ان ينتج شعرا احسن وافضل ، على انني اقترح عليه ان يكون حريصا على تركيز المعاني فى ذهنه ، والا يحشر الكلمات حشرا دون قيد ولا شرط .

فالشعر كلمات ونغم موسيقي ، وهو فى نفس الوقت معان ينبغي ان تكون مترابطة مع بعضها ، حتى تاتي القطعة الشعرية هيكلا بروح ، على ان نفس القصيدة يدل فى المجموع على استعداد نفسي لدى السيد بنسالم ، ويشهد على ذلك قوله ـ مثلا ـ :

تخلف عن شبحينا الشعور
لانا سلكنا طريق الرجوع

*

وسرنا نطوف .... ندور
نوزع عبر الروابي الشموع

ومع ذلك فانا (ياسيد) ابن سالم ما نزال نبحث معك عن الشعور . .

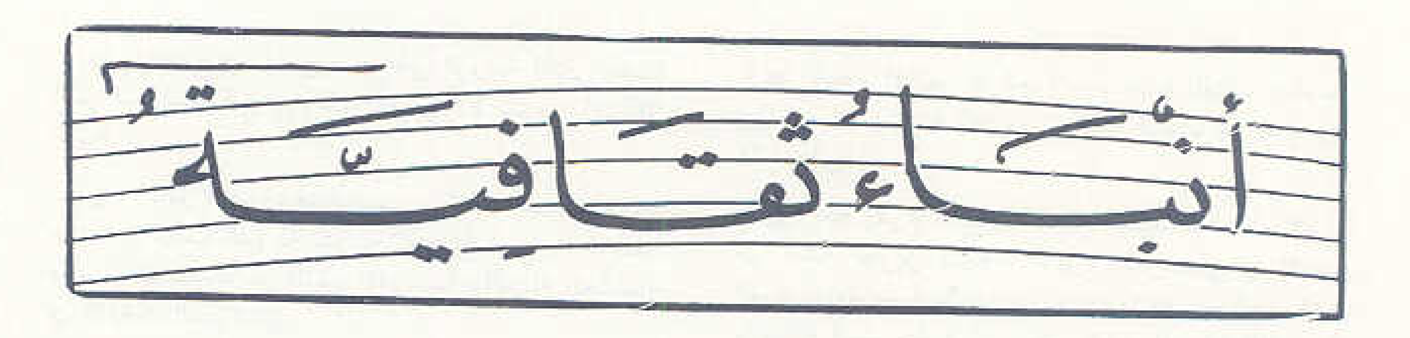
وفى العدد الماضي من « دعوة الحق » قصيدة اخرى لا يتضمنها الديوان ، ومع ذلك فلا ارى باسا من الاشارة اليها ، واعني بها قصيدة السيد عبد الله السعداني التي عنوانها « مجاهدة » وهي من الشعر الجديد ، وانا من اولئك الناس الذين يرون فى الكثير من هذا الشعر انه نثر وانما يكتب متقاطعا ، وان البعض منه لا يتوفر على قواعد الشعر ولا على نغمه وموسيقاه ، ولا حتى على معان ينسجم بعضها مع البعض الآخر ، على انني لا انكر ان هناك من يوفق فى بناء اطار فني لقطعة من هذا الشعر الجديد ، ولكن الذين يتوفقون فى اشادة هذا البناء قليلون وقليلون جدا ، واذكر منهم على سبيل المثال : نازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، وستة او سبعة آخرين من مختلف انحاء العالم العربي ، اما هذا الكلام الذي تصفف فيه الكلمات فى غير انسجام لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى فانما هو هوس والسلام ، ويقتحم بابه بعض الناس نظرا لتحرره من قيود القافية والوزن التي تكون حدا فاصلا فيما بين الشعر والنثر .

وقصيدة « مجاهدة » من النوع الجديد ، ولكنها متوفرة على روح حية ، جعلت الحياة تدب في اجزائها، فجاءت قطعة فنية ، وهيكلا تحركه هـذه الـروح ، وانني احيل القاريء عليها ليراجعها ويقراها بامعـان وتدبـر ، فـسيجد في قراءتها لذة ومتعة ولو انها خالية من النغم الموسيقي الذي — هو — في رايي عنصـر حيوي للشعـر .

*

وبعد فهذه ملاحظات على الشعر الذي نشر في العدد الماضي من «دعوة الحق» وهي آراء شخصية قابلة للمناقشة وغرضي الاول والاخير من ابدائها هو الاعراب عـن بعض الصدى لما ينتج وينشر على الناس ، حتى لا يبقى هذا الانتاج بدون صدى ، ورجائي ان يكون كل مـا ينتج شعرا او نثرا تتوفر فيه الحيوية التي تشعـر القاريء بان الادب في جميع صوره واشكاله انمـا هو مرآة الحياة العامة في جميع صورها واشكالها ، حتـى تزيل عن الادب العربي ما يصفه به بعض الناس مـن من انه كان وما يزال ادبا ارستقراطيا يكتب للخاصة، وسيتحقق ذلك في اليوم الذي ننهي فيه تلقيح هـذا الادب بما هو في حاجة اليه من فيتامينات ، فلنشرع منذ الآن في عملية التلقيح هذه ، وذلك في اطار عربـي سليـم ومرن كذلـك .

ولكي نقوم بعملية التلقيح هذه يجب ان نـستهلك مما ينشر من مختلف انواع الثقافة بنفس الشهيـة التي نستهلك بها الخبز وما يتبع الخبز ، اي يجب ان يكون الغذاء العقلي وجبات منتظمة ننتقي لها هي ايضا كل ما لذ وطاب من انواع المعرفة التي اصبح هـذا العالم يزخر بها ، ويخرج منها في كل يوم جديدا .



※ شارك وفد مغربي يتركب من 35 عضوا في ندوة « حركة التسلح الخلقي » التي عقدت في الاسبوع الثاني من شهر غشت في سويسرا . وبهذه المناسبة وجه جلالة الملك محمد الخامس برقية الى هذه الندوة جاء فيها : « اشكركم على كل ما بذلتموه لفائدة المغرب وان مبادئكم لهي نبيلة جدا ، وهي مبادىء نجدها في الدين الاسلامي الحنيف . فان التسلح المادي قد كشف عن فشله بينما برهن التسلح الخلقي عن اهميته وقوته » .

※ اصدر جلالة الملك محمد الخامس نصره الله امرا باطلاق اسم « جامعة الدول العربية » على اكبر حديقة في مدينة الدار البيضاء بمناسبة انعقاد مؤتمرها الثاني والثلاثين بها .

※ في يوم 20 غشت المنصرم ، يوم الذكرى السادسة لثورة الملك والشعب ، صدر عن المطبعة آخر كتاب ظهر حتى الآن للاستاذ علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال ، وعنوان الكتاب (نداء القاهرة) وهو يشتمل على نص النداء الذي وجهه الاستاذ علال الفاسي من اذاعة صوت العرب في القاهرة في يوم 20 غشت 1953 ، بعد مرور نصف ساعة على تنفيذ الفعلة النكراء التي اقدم عليها الفرنسيون اخيرا بعد كثير من التهييء والتقدير، وذلك باختطافهم ملك البلاد ورمز سيادتها وعنوان نهضتها جلالة الملك سيدي محمد الخامس ، ونقله الى منفاه الاول بكورسيكا ، قبل نقل جلالته مرة اخرى الى جزيرة مدغشقر .

وقد دعا الاستاذ علال الفاسي في ندائه ـ كما هو معلوم ـ الشعب المغربي « ان يواصل كفاحه من اجل الغاية الوحيدة ، التي هي استقلال البلاد ، وان يبذل كل ما يستطيعه من الوسائل للذب عن كرامة مليكنا الشرعي واعادته الى عرشه عالي الراس موفور الكرامة » .

كما يضم الكتاب مجموعة من الاحاديث التي القاها الاستاذ علال الفاسي من اذاعة صوت العرب بالقاهرة منذ ندائه السالف الذكر الى ان عاد جلالة الملك واعلن الاستقلال ، وبعض التقارير ، والرسائل التي كتبها الاستاذ او توصل بها في تلك المدة مما يتعلق بموضوع الكتاب .

وقد علمنا ان هذا الكتاب الذي يقع في 224 صفحة من الحجم المتوسط قد صادف اقبالا كبيرا من القراء ، وان نسخه نفدت من بعض المكتبات التجارية في سرعة غير مألوفة لدى اصحاب المكتبات التجارية في المغرب .

※ صدر في الايام الاخيرة كتاب « الزواج في التشريع المغربي » لمؤلفه الدكتور عبد العزيز الفيلالي وقد علقت بعض الصحف اليومية باسهاب على هذا الكتاب على اثر صدوره ، والكتاب يدل على المجهود الكبير الذي بذل فيه ، كما انه اول دراسة من نوعها تظهر في المغرب .

※ صدر للدكتور عبد الله الدائم الاستاذ بالجامعة السورية كتاب بعنوان « دروب القومية العربية » وهو دراسات في صراع القومية العربية ومكاسبها .

※ في الايام الاخيرة كانت تلتقط مناظر فيلم «سلامبو» في الاطلس المتوسط . وسيكلف انتاج هذا الفيلم ما يقرب من ثمانية مليون فرنك .

※ بمناسبة زيارة الكاتبة الروائية الاسبانية كرمين لافوريط لمدينة طنجة ، قد اقيم على شرفها تكريم من جانب عدد كبير من الكتاب الاسبانيين والاجانب ، وذلك بتاريخ 5 شتنبر المنفرط .

※ جعلت وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية ستة منح رهن اشارة طلاب مغاربة من الذين حصلوا على شهادة الباكلوريا في قسميها الاولى والثانية ، وذلك من اجل الدراسة مدة سنة كاملة في معهد العلوم الاجتماعية للشغل بباريس .

❋ افتتح في تونس معـرض التربية الثاني تحت اشراف رئيس الجمهورية ودام من 11 شتمبر الى 20 منـه .

❋ غادر اخيرا وفد تونسي برئاسة السيد محمود مسعدي كاتب الدولة للتربية القومية تونس ، قاصدا موسكو بقصد درس النظم المدرسية والحياة الجامعية في الاتحاد السوفياتي .

❋ صدرت في تونس مؤخرا رواية بعنوان « مصرع الطغاة » لمؤلفها السيد عبد الله الركبي ، وهي ذات اربعة فصول ، تصور جوانب هامة في الثورة الجزائرية كما تكشف عن الروح النضالية في الشعب الجزائري الباسـل .

❋ اجتمع اخيرا الباحثون التونسيون في العلوم في جلسة عامة فوق العادة بحثوا فيها المشاكل المتعلقة بتنمية البحوث التونسيـة .

❋ توفي في دمشق الدكتور احمد شريف التونسي الاصل . وقد كان لموته اسى في المحافـل

❋ اكتشف اخيرا في سوسة — تونس آثار في غاية من الاهميـة .

❋ في اوائل شهر غشت انعقدت بتونس النـدوة الطالبية الافريقيـة .

❋ اختلس مؤلف هولندي بعض الفصول من كتاب « ابتسامة ما » للكاتبة الفرنسية فرانسواز ساغان وحشره في انتاجه . وقد احدث هذا الاختلاس ضجة في الصحف الفرنسية وغير الفرنسية . ويقال ان هذه القضيـة دخلت الى المحاكم .

❋ اقامت جمعية المتخرجين في نادي حلب في المدة الاخيرة مهرجانا تذكاريا كبيرا بمناسبة مرور 900 سنة على وفـاة ابي العلاء المعري .

❋ تشكر ادارة « دعوة الحق » جميع الصحـف العربية التي كتبت مقدرة مجهودات هذه المجلـة ، ومعبرة عن ارتياحها نحو كتابها ، وخطتها ، ورسالتها العربية والقومية بمناسبة اختتام سنتها الثانية ، كما تجزل الشكر للذين قدموا لها تهانيهم ، وعواطفهـم النبيلة التي تعتز بها وتحمسها لاستئناف خدمـة رسالتها . فشكرا ، شكرا .

❋ سيعقد المؤتمر الثالث للآثار العربية في المغـرب خلال شهر اكتوبر الحالي .

❋ انعقد المؤتمر الرابع لاتحاد طلبة المغرب بثانوية ابن يوسف بمدينة اكادير ، وذلك ابتداء من يوم 22 غشت الى 31 منه .

❋ يكاد يفرغ الاستاذ الكبير السيد عبد الله كنون من اعادة تحرير كتابه « النبوغ المغربـي في الادب العربي » وتوسيع دائرته على ضوء ما جد من المعلومات، واضافة قسم جديد له يربط تاريخ الحركة الفكريـة المغربية المعاصرة بالعهد الذي وقف عنده الكاتـب الجليل على عهد السلطان مولاي الحسن ، وسيكون هذا السفر الكبير اهم واوسع مرجع للادب المغربـي في ما ضيه وحاضره ، وموافقا لما تتطلبه الدراسة المنهجية في كتابة تاريخ الادب على ضوء ذوق العصر ، وسيصدر مقدما بكتابة المرحوم الامير شكيب ارسلان . ونحن اذ ننتظر هذا الكتاب ، كما تنتظره الاوساط الثقافيـة نرجو لمؤلفه الكريم النشاط المتزايد ، والعمل في بعث الحركة الادبية في المغرب الذي هو احد روادها ، وباعث الروح الادبية فيها .

❋ اصدرت وزارة البريد بمناسبة الذكـرى الخمسينية لميلاد صاحب الجلالة ، طابعا بريديا يحتوي على صورة لجلالة الملك .

❋ توفي بتطوان الاستاذ الفنان السيد محمد بن الابار وبغياب هذا الوجه الكريم فقد المغرب احد ابنائـه المخلصين الذين ساهموا في بعث النهضة التعليمية والعلمية فيها فقد كان المرحوم اديبا وموسيقيا ومغنيا يمتاز بصوت رقيق عذب ، ويتمتع بمواهب الفنان الاصيل ، بالاضافة الى ثقافة عربية اسلامية رصينة ، وخلال نبيلة كريمة. فقد كان رحمه الله من طلائع النهضة في المغرب . وقد خلف مآت المقالات في شتى ميادين المعرفة ، كان ينشرها في شتى الصحف التطوانية كمجلة « المغرب الجديد » وجريدتي « الحرية » و « الحياة » الى جانب تسجيلات غنائية في الطرب الاندلسي ، والطرب المغربي الشعبي يحتفظ بها بعض اصدقائه وعند ما فتحت وصيتـه وجد فيها انه اوصى بان تحبس مكتبته الخاصة التي تضم كثيرا من امهات الكتب العربية وروائعها علـى مكتبة المعهد الحر الذي كان احد اساتذته وتخرج عليه جيل من المثقفين . رحم الله الاستاذ ابن الابـار ، واسكنه فسيح جناته . وتعزيتنا الحارة الى ذويه ومقدري مواهبه .

❋ عاد الى المغرب الاستاذ محمد ابن تاويت مدير معهد مولاي الحسن بتطوان ، واحد كتاب مجلة « دعوة الحق » بعد ما قضى ما يقرب من سنة في الدراسـة باحدى جامعات لندن .

* اكتشف الشاعر احمد عبد المجيد الغزالـــي مخطوطة قيمة تحتوي على القصائد الخاصة التي كان ينشدها ابو نواس في ليالي الرشيد ووزرائه البرامكـة وذلك في مدينة فاس المغربية ، وستطبع هذه المخطوطة مصدرة بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد .

* سيقوم الدكتور حسين مؤنس مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد بزيارة الى المغرب بقصد القـــاء سلسلة من المحاضرات في كلية الآداب بالجامعـــة المغربية وذلك في شهـر نوفمبـر المقبـل .

* نشرت مجلة « الاديب » اللبنانية في عددهـــا الصادر بتاريخ غشت الماضي الرسالة الملكية التي بعث بها صاحب الجلالة محمد الخامس ــ شفاه الله ــ الى نجله الكريم كرائعة ادبية ، وذلك بمناسبة الاحتفـــال ببلوغه الثلاثين من عمره .

* ذكر وزير التربية في الندوة الصحفية التـــي عقدها يوم 27 غشت الماضي ان وزارته قد عزمت علـى احداث مجلة عنوانها « التربية الوطنية » لتجعل منها اول حلقة للاتصالات الضرورية التي ينبغي ان تكون بين الآباء والمربين . ومن المتوقع ان تسهل هذه المجلة مهمة المجلس للتربية الوطنية وتقوي فاعليتها .

* في عدد 2441 من الجريدة الرسمية للدولـــة المغربية الصادرة بتاريخ 7 غشت صدر ظهير شريف تحت رقم 390 158 في شان احداث جامعة الربـــاط وتنظيمها .

* صدر في الجريدة الرسمية في عدد 2437 قرار وزيري يحدد لائحة اعضاء المكتب الدائم للجنة الوطنية للتربية والعلم والثقافة . ويتكون على حسب القرار من هؤلاء الاشخاص : الرئيس محمد الفاسي . نائـــب الرئيس ابو بكر بومهدي . الكاتب العام احمد الاخضر . الكاتب العام المساعد عبد الحفيظ الادريسي . امين الصندوق عمر السنوسي . المستشارون : السيـــدة لطيفة الحصار . الدكتور المهدي المنجرة . احمـــد المعربوي . الحسين البكاري . عبد الهادي التازي .

* زار المغرب في عطلة الصيف وفد من الطلبـــة والطالبات من العراق ، وقد استغرقت زيارتهم عشرين يوما زاروا خلالها اهم المدن المغربية .

* قام الاستاذ محمد الفاسي عميد الجامعـــة المغربية في منتصف شهر غشت الماضي برحلة ثقافية الى الولايات المتحدة استغرقت ستة اسابيـــع ، زار خلالها اكبر جامعاتها ، ووقف على المظاهر الثقافيـــة والاجتماعية للحياة الجامعية في اميركا .

* صدرت في المغرب جريدة باسم « الفلاح » وهي لسان حال الاتحاد المغربي للفلاحة ، وتعنى بكل مشـاكل الفـلاح ومصالحه .

* اصدرت وزارة الانباء والسياحة كتابا عـــن « الرحلة الملكية الى كورسيكا ومدغشقر » مزينا بعدة صور لجلالة الملك اخذت في هذه الرحلة الميمونة .

* فاز الطالب السيد محمد بن الحاج من المغرب بالجائزة الاولى في المسابقة الدولية للعزف علـــى الاكورديون التي اقيمت في باريس ، ويبلغ الفائز مــن العمر 10 سنين . فنهنئه ، ونتمنى له في عالم الموسيقى مستقبلا زاهرا .

* قررت غانا تنفيذ نظام التعليم الاجباري المجاني . وقدرت نفقاته لتنفيذه بمبلغ 28 مليون استرلينية . وستنشأ لهذا الغرض اربع كليات لتدريب المعلمين تضم في مجموعها 900 طالب .

* قررت الوزارة السنغالية تدريس اللغة العربية في جميع مدارسها .

* يعقد مؤتمر الادباء الزنوج اجتماعه الثانـي في اوائل العام المقبل في احدى المدن الافريقية والاجتماع الاول للؤتمر سبق ان عقد في روما منذ شهور حيـث اتخذت قرارات من اهمها العمل على احياء التـراث الادبي للزنوج في جميع انحاء العالم .

* سيعقد في القاهرة اوائل يناير المقبل مؤتمـر الفلاسفة .

* خلال هذا الشهر سينظم مؤتمر بالقاهـــرة لدراسة مصادر العلوم الاجتماعية ومظاهر تقدمها في الدول العربية .

* صدر حديثا في القاهرة الجزء الرابع عشر من كتاب « البطالسة » للدكتور حسن عميد الابربن . « ارض مصر واهلها » كتاب صدر في القاهرة حديثـا للدكتور نجيب محمود .

* سينقل المجمع اللغوي الى المجمع الثقافي الذي يقام حاليا بشارع قصر النيل بالقاهرة .

* يقوم المجمع اللغوي بالقاهرة بطبع مجموعة مصطلحات جديدة في الكيمياء والجيولوجيا والتاريخ والرياضة والميكانيك والجراحة والاحياء والفلسفة . وستصدر في الجزء الثاني من القاموس العلمي الفني الذي يصدره المجمع .

* في يناير المقبل سيعقد مؤتمر لبحث الاحتياجات التربوية للدول العربية .

* « أيام في باريس » اسم كتاب جديد سيصدر لتوفيق الحكيم .

* عقد في القاهرة مؤتمر الخريجين العرب في شهر شتمبر الماضي .

* سيصدر المجمع اللغوي بالقاهرة الجزء الثاني من « قاموس الفاظ القرآن » .

* صدرت للدكتور صلاح الدين المنجد الطبعة الثانية من كتابه « الحياة الجنسية عند العرب »

* سيعاد في مشروع الالف كتاب نشر كتاب « محمد اقبال » الذي قام بتاليفه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام .

* اصدر الدكتور محمد مندور كتاب « المسرح النثري » مشتملا على مجموعات من المحاضرات التي القاها في معهد الدراسات العربية بالقاهرة .

* انتخب الدكتور رياض تركي مدير المركز القومي للبحوث في القاهرة عضوا في اكاديمية العلوم السوفياتية وهو أول عربي يحصل على هذه العضوية ، وقد قام بابحاث كثيرة في الكيمياء العضوية والكهربية .

* تجري الاستعدادات في القاهرة لانشاء متحف للمسرح العربي يضم الآثار الشخصية والمعاصرة .

* قام الدكتور لطفي عبد البديع بترجمة كتاب « انا وحماري » الى العربية للشاعر الاسباني خوان رامون خيمينث الفائز بجائزة نوبل للآداب لسنة 1956 .

* صدر للدكتور حسين مؤنس مجلد ضخم عن تاريخ الاندلس في 750 صفحة ، وسيصدر له بعد ذلك جزآن عن « ظهر الاندلس » و « غروب الاندلس » .

* اجل الاحتفال بذكرى الشاعر خليل مطران الى شهر اكتوبر وستوجه الدعوة الى كل الدول العربية وسيكون مقر الاحتفال في القاهرة ؛ لا كما اعلن انه سيكون في الاسكندرية .

* نعت القاهرة عباس حافظ رئيس تحرير وكالة رويتر بالقاهرة .

* ستؤسس في الهرم بالقاهرة مدينة الفنانين .

* صدر عن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بالاقليم الجنوبي تقويم للشعر السنوي .

* تم في القاهرة وضع الحجر الاساسي للمسرح الذي سيقام في الازبكية لتمثل عليه المسرحيات العالمية باللغة الفصحى .

* ظهر في مكتبات الاقليم المصري للدكتور احمد هيكل كتاب « الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة » وهو الجزء الاول من أربعة اجزاء يدرس فيها المؤلف الادب الاندلسي كله ، وهي أول دراسة منهجية مبسطة .

* قررت لجنة الترجمة في الاقليم الجنوبي من ج . ع . م . ان تقدم مختارات من كتابات مشاهير رجال الفكر التي قام باختيار كبار الادباء ، ومن بين هذه المختارات كتابات لداروين واخرى لفولتير وغيرها من الروائع .

* « وداعا يا كلمبوس » اسم كتاب جديد لفليب روث جمع فيه عددا من القصص القصيرة التي تسخر من اليهود ومن نظرتهم الى القيم العليا .

* سيصدر للقاص نجيب محفوظ قصة جديدة بعنوان « اولاد حارتنا » . وذلك في فصل الشتاء المقبل.

* المجلس الاعلى لرياعة الفنون والآداب بالاقليم الجنوبي من ج . ع . م . وافق على تاليف لجان اتصال ثقافية وفنية تشارك فيها الهيئات الحكومية والاهلية ، ومهمة هذه اللجان تنسيق الجهود الفنية مع المجلس .

* عقدت اخيرا اتفاقية ثقافية بين السودان وبلغراد .

* صدر للشاعر السوداني اسماعيل حسن ديوان بعنوان « خواطر انسان »

*** توفي في دمشق العالم الباحث والكاتب الشاعر المعروف خليل مردم رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق عن 63 سنة . وللفقيد عدة مؤلفات ومباحث قيمة . وقد نعاه المجمع العلمي ، وشيعت جنازته في موكب رسمي .**

* اذاعت مديرية الآثار العامة في دمشق انها اكتشفت في الحفريات التي تقوم بها الآن في مدينة تدمر في بادية الشام حماما اثريا يعود الى عهد الملكة زينوبيا ملكة تدمر في القرون الاولى بعد الميلاد . وقالت ان هذا الحمام يضم باحات مزينة ومزخرفة باعمدة رخامية وبركة مثمنة الاضلاع قطرها 7 امتار ، ومسبحا مستطيلا ينزل اليه بدرج تقوم على جانبيه تماثيل رخامية لاشخاص عراة .

* اعلنت مديرية الآثار الدمشقية انها تسلمت 584 نقود ذهبية وفضية يرجع تاريخها الى ما قبل 400 سنة من شخص عثر عليها في احد اقبية منزل مهجور في دمشق .

* اقيم في بلدان - سوريا خلال شهر غشت الماضي المؤتمر الرابع للتربية تحت اشراف الجامعة العربية .

* « بياض في سواد » هو عنوان لكتاب صدر للكاتبة السورية وداد سكاكيني .

* من 22 الى 31 غشت الماضي عقد بمدينة دمشق المؤتمر الثقافي العربي الرابع حول موضوع « التربية الوطنية في التعليم العام بالبلاد العربية » اشترك فيها مندوبون رسميون ، انتخبتهم حكومات الدول العربية وجامعاتها والجمعيات والهيئات العلمية المهتمة بموضوع المؤتمر . وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر وفد متكون من السادة : عبد الهادي التازي ، محمد مشبال ، ابراهيم حركات ، محمد ابن المفتي من السفارة المغربية بالجمهورية العربية المتحدة .

* صدرت في صور - لبنان مجلة جديدة باسم « المنهل » لرئيس تحريرها الاديب المعروف صدر الدين شرف الدين الذي سبق ان اصدر في العراق جريدة « الساعة » وفي بيروت مجلة « الالواح » التي كان لها انتشار واسع وساهمت في النهضة الادبية اللبنانية المعاصرة .

* سيصدر للبيليوغرافي اللبناني الاستاذ يوسف اسعد داغر الجزء الثالث من كتابه « مصادر الدراسة الادبية الذي ترجم فيه لثلاثمئة اديب معاصر .

* توفي في بيروت العلامة فائز الخوري الذي فقدت البلاد العربية بوفاته رجلا من المع رجالاتها واخلصهم وقد كان الفقيد استاذا للحقوق في الجامعة السورية بدمشق حيث تخرج عليه نخبة من رجال القانون في البلاد العربية .

* توفي في زحلة - لبنان صاحب جريدة « زحلة الفتاة » التي اسسها سنة 1910 .

* صدرت في بيروت حديثا جريدة « الراصد » في حلة جديدة قشيبة .

* وصل الى بيروت الشاعر السوري المعروف عمر ابو ريشة ليمضي فترة هناك للاشراف على طبع نتاجه الاخير الذي يضم الشعر والقصص وبعض المسرحيات

* قررت الحكومة اللبنانية أن تبني لطلبتها في فرنسا جناحا خاصا في الحي الجامعي بباريس .

* ساهمت الحكومة العراقية بمبلغ خمسة آلاف دينار في انشاء معهد علمي سيفتح في دكار بالسنغال .

* صدر في بغداد ديوان جديد للشاعر عبد الوهاب البياتي بعنوان « عشرون قصيدة من برلين » .

* قرر اللواء قاسم ان يمنح الصحفيين مائة قطعة ارض في منطقة الوزيرية ليبني الصحفيون دور سكناهم

* اصدر نهاد عبد المجيد الناصري مدير المكتبات العامة والمدرسية بوزارة المعارف العراقية دليلا باسم « دليل المكتبة العامة في بغداد »

* تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني » اسم لكتاب مثل للطبع اخيرا في العراق وهو من تاليف عبد الرزاق الهلالي .

※ قررت مديرية الآثار العراقية العامة اجـــراء تحريات في 19 تلا أثريا في موقع خزان دربندي خـــان الذي ستغمره المياه بعد عامين ، وذلك لتخليص الآثار الموجودة هناك اسوة بما تم في موقع خزان دوكـــان . ويأمل خبراء الآثار في العثور على اثريات ترجع الــى مختلف ادوار التاريخ ، ولا سيما العصور الوسطى مضافا الى ذلك البحث عن العواصم التي اقيمت في هذه المنطقة لقدامي العراقيين .

※ اكتشفت في عمان آثار وصفت رسميا بانها تعود الى العصر الحديدي الثاني اي الى 800 سنة قبـــل المسيح ، فقد عثر فريق من الفلاحين الذين كانـــوا يحفرون اساسا بمنزل جديد على مغارة تحتوي على اوان مزخرفة واساور برونزية ومرآة نحاسية ، وقد عرف حقيقة الادوات التي تم العثور عليها الدكتـــور عوني الدجاني نائب مدير دائرة الآثار .

※ اهدت المملكة العربية السعودية عددا ضخما من الكتب في شتى الميادين الى نيجيريا .

※ صدرت اول قصة سعودية للاستاذ حامـــد دمنهوري تجري وقائعها في الحجاز .

※ تنوي حكومة الكويت انشاء اول متحف للآثار فيها .

※ اصدر معهد الثقافة الهندي في بانجالور سلسلة من المطبوعات عن الآداب العالمية المعاصرة تزود متحدثي الانجليزية بفكرة عن الآداب المعاصرة في الاميركتين وآسيا واستراليا واوروبا . وتتضمن هذه المطبوعات عرضا للادب الايطالي الحديث والأدب النرويجي ، والادب الاسبـــاني ، والادب السويـــدي ، والادب الهولندي ، والأدب الفرنسي . ويحتوي كل مطبوع على مقدمة قصيرة ومقال عن ادب البلد ، وموضوع الدرس ، وقائمة بالمراجع .

※ ستصدر بباكستان مجموعة قصص عربيـــة مترجمة الى الانجليزية وهي من مختارات محمـــود تيمور وتوفيق الحكيم ، ويوسف ادريس ، وسعيـــد عبده ، ويوسف الشاروني .

※ خصصت الباكستـــان اعتمادا بمبلغ 100 الف روبية لانشاء دار للنشر للكتاب باشراف جمعيـــة الكتاب الباكستانيين .

※ بمناسبة مرور مائة سنة على ولادة رابندرانات طاغور قررت حكومة الهند تاسيس جامعـــة للرقص ، والدراما ، والموسيقى ، في كلكتا تخليدا لذكرى هـــذا الشاعـــر .

※ يباع في مكتبات طشقند والمدن الاوزبكية الاخرى الكتاب الاول من المجلد الثالث لمؤلف « القانـــون في الطب » الذي وضعه ابو علي بن سينا ، والمجلد الثالث هو اكبر مجلدات « القانون » الخمســة . وهو يتضمن اكثر من مائة ملزمة طباعية . ومن اجل التسهيل على القراء تقرر نشر هذا المجلد في كتابين ، وسيصـــدر الكتاب الثاني قريبا .

※ في اذربيجان اكتشف مخطوط اثـــري للشاعـــر مشرف بن مصلح الدين بن السعدي يعود تاريخه الى 400 سنة .

※ سينشر ورثة فرويد الخطابات التي تبادلها مع كارل يونج في كتاب سيلقي الضوء على اسباب الخلاف الذي وقع بينهما في علم التحليل .

※ اقيم برجنز اجمل مصايف النمسا معرض رائع لاوبريت الف ليلة وليلة للفنان الخالد جوهان ستراوس، ودام من 20 الى 19 غشت .

※ انعقد المهرجان الدولي السابع عشر للشباب في هذه السنة بمدينة فيينا ، وقد شاركت فيه وفود الشباب من 124 بلغ عددهم 18485 شابا .

※ انجزت في الاتحاد السوفياتي الطبعة الاولـــى للانسكلوبيديا البحرية العربية للقرن الخامس عشر ، وهي كتاب احمد بن ماجد قبطان بعثه فاسكودي جاما الذي اكتشف في عام 1498 طريق الهند عن طريق راس الرجاء الصالح . وتسجل هذه الانسكلوبيديا تاريخ الملاحة منذ قبل 1498 حتى نهاية القرن الخامس عشر . ويقول المستشرقون السوفييت ان هذا المؤلف سيضيـــف الشيء الكثير الهام الى الفقه العربي والتاريـــــــخ والجغرافيا .

※ ستبنى في موسكو أعلى منشأة في العالم . وقد ارسل تصميمها الى المعرض السوفياتي بنيويورك .

واعلن المهندس المعماري ديمتري بوردين ، احد واضعي التصميم قائلا : « يبلغ علو البرج 508 امتار اي بزيادة 200 متر على برج ايفيل الباريسي ، وبزيـــادة

خمسين مترا عن بناية « الامبايرستايت » وقاعدته تذكرنا بجسم جبار مخروطي الشكل . وسوف يضم الاستوديوهات وبنايات مركز التيلفون . وقد وضعت اسطحة «بانورامية» فى الاعالي، وكذلك سيقام فيه اعلى مطعم فى العالم على علو 400 متر ، وسيسع لالف شخص ، وبداخل البرج سترفع اربعة مصاعد سريعة تجتاز المسافة بـ 80 ثانية . وزاد قائلا : « لاول مرة سنبني منشأة كهذه لا بواسطة الهياكل المعدنية بل بواسطة الباطون المسلح الجاهز » .

* « اناشيد العالم القومية » بهذا العنوان اصدر معهد العلاقات الاجنبية فى ستوتجارت مطبوعا يجمع الاناشيد القومية فى جميع بلدان العالم . ويشمل المطبوع النص الموسيقي لكل نشيد مع لغته الاصلية والترجمة الالمانية له .

* اودع مندوب ايران الدائم لدى اليونسكو وثائق تصديق حكومته على الاتفاقية الدولية الخاصة بحماية التراث الثقافي اثناء قيام نزاع مسلح ، وهي الاتفاقية التي وقعت فى مؤتمر من ممثلي الحكومات عقد برعاية اليونسكو فى لاهاي فى 14 ماي 1954 . وتقضي هذه الاتفاقية باحترام الاطراف المتعاقدة عليها للكنوز الثقافية الموجودة فى اراضيها او فى اراضي الاطراف الاخرى المتعاقدة . وقد صدقت 28 دولة على هذه الاتفاقية قبل تصديق ايران ، ومن هذه الدول من الشرق العربي الجمهورية العربية المتحدة والاردن وليبيا .

* لاول مرة نوقش بحثان عربيان فى المؤتمر الدولي السابع عشر للكيمياء الذي عقد فى مونيخ فى 26 غشت الماضي . وموضوع الاول انتاج حامض الليمونيك من المولاس بالطرق الميكروبية للدكتور عز الدين طه ، والثاني موضوعه حفظ الاطعمة بالمواد المتآلفة . ومثل الجمهورية العربية . م . فى هذا المؤتمر ستة خبراء من المركز القومي للبحوث وجامعة القاهرة .

* تكونت جمعية جديدة للكتاب المجريين فى بودابست . وتعتبر هذه الجمعية امتدادا لجمعية الكتاب السابقة التي توقفت عن النشاط فى يناير سنة 1958 .

* عقد المعهد الدولي للمسرح مؤتمره الثامن فى هلسنكي بحضور رئيس جمهورية فنلندة ، وممثلي منظمة اليونسكو وقد وافق المعهد على اصدار صحيفة بعنوان « التمثيليات الجديدة العالمية » التي ستشمل على احصاءات وصور ونسخ ملونة فضلا عن الانباء التي تتعلق بتسعة وثلاثين مركزا قوميا لمعهد المسرح الدولي . وقد انشيء معهد لاتيني امريكي يضم بلدان اميركا اللاتينية ، ووافق المؤتمر على ميثاقه التاسيسي كما تاسست لجنة لدراسة المسائل المتعلقة بتزويد الشباب بالتعليم المسرحي . ووافق المؤتمر كذلك على عقد المؤتمر المقبل فى مدينة فيينا فى شهر يونيو سنة 1961 . وقد نظمت خلال ايام المؤتمر فى هلسنكي حلقة دراسية حول « اتجاهات المسرح المعاصر » اشترك فيها مديرو المسرح والمخرجون الذين وفدوا من 33 دولة . وقد كان مقرر الحلقة الكاتب المسرحي المعاصر ايجين ايونسكو .

* اجرت منظمة اليونسكو اخيرا تحقيقا حول حاجيات الدول العربية لتطور التعليم فيها . وتناول التحقيق مجموعة من الاسئلة وجهت الى السلطات القومية المختصة بقصد جمع معلومات شاملة من ناحيتي الكم والكيف تعطي فكرة دقيقة عن وضع التعليم فى مختلف مراحله فى هذه المنطقة من العالم . ودارت الاسئلة حول موضوعات اربعة : التنظيم العام والتمويل . احصاءات عن التلاميذ هيئات التدريس ، التعليم العالي . وعندما يتم جمع هذه البيانات ، ستعهد منظمة اليونسكو الى خبيرين بمهمة القيام بتحقيق عملي فى البلاد العربية لاستكمال المعلومات الضرورية ، وجمع الاقتراحات التي يراها اصحاب الشان كفيلة بتطور التعليم فى كل دولة من تلك الدول . وعلى ضوء هذا التحقيق ، ستضع سكرتارية اليونيسكو فى نهاية هذا العام تقريرا مؤقتا توطئة لدراسة فى اجتماع يعقد فى اوائل سنة 1960 ، ويجمع كبار المسؤولين من رجال التعليم فى الدول العربية . وستجمع اليونسكو قرارات هذا الاجتماع فى تقرير نهائي يدرسه مؤتمر اليونيسكو العام فى دورته المقبلة فى نوفمبر 1960 .

* تصدر اليونيسكو فى القريب مجموعة من الافلام الثابتة الملونة تعرض روائع الفن العالمي التي نشرتها اليونيسكو فى «البومات» كبيرة بقصد التعريف بالاعمال الفنية الاصلية خلال حقبات الفن الكبرى . وتتناول المجموعة الاولى رسوم المقابر والمعابد المصرية التي يعود عهدها الى الاسرة الثامنة عشرة ، حيث

عرف الفن المصري القديم أعلى مراحله . كما تضم المجموعة نسخا تبرز تطور هذا الفن في عهد رمسيس ، تحت الاسرة التاسعة عشرة . واما المجموعات الاخرى وستظهر في الشهور القريبة المقبلة فتشمل اللوحات الجدارية اليوغسلافية في العصور الوسيطة ، ونسخ للوحات من الفن الهندي في اجانتا ونسخ للمصغرات الإيرانية . وتشمل كل مجموعة ثلاثين صورة ، ويصحبها دليل يتضمن بيانات وافية بالافرنسية والانجليزية والاسبانية . وتباع هذه المجموعات للمعاهد التربوية والثقافية والفنية .

❋ من قرارات مجلس اليونسكو التنفيذي في دورته الاخيرة قرار اجماعي بتقديم مساعدة مباشرة لاعادة بناء مركز بحوث علم الطبيعة في البرازيل ، وهو المركز الذي اعدمت النار مكتبته والكثير من معالمه .

❋ اصدرت شعبة اليونسكو القومية الفرنسية بالتعاون مع منظمة اليونسكو مجموعتين رائعتين من الصور الفوتغرافية الشفافة للمعارض التي اقيمت في باريس بمناسبة انعقاد مؤتمر اليونسكو العام في مقر المنظمة الدائم الجديد .

❋ اصدر المجلس الدولي للسينما والتليفزيون تقويما دوليا لمختلف الاجتماعات والاحتفالات والمهرجانات والمؤتمرات والمعارض الفنية التي تتعلق بالسينما والتليفزيون . وتتناول هذه الفترة بين ماي ودجمبر 1959 كما تشمل معلومات عن الاحداث الفنية المحتملة في عام 1960 . والقصد المباشر من اصدار هذا التقويم افادة المنظمات الاعضاء في المجلس الدولي للسينما والتلفزيون ، ولكنه ايضا سجل نافع لجميع المهتمين بهذا النوع من النشاط الفني ، كالفنانين والمؤلفين ورجال الصحافة الفنية . وستصدر لهذا التقويم اعدادا دورية كل ستة شهور ، ويرحب المجلس بكل ما يصله من بيانات او اقتراحات من المنظمات الفنية او الافراد المشتغلين بشؤون السينما والتلفزيون .

❋ رات بلدية باريس تكريم رجال العلم الذين وفدوا من33 بلدا لحضور مؤتمر اليونسكو عن الحساب الالكتروني ، فقررت منح عشرة منهم وسام مدينة باريس . وقد احتفل بتقديم هذه الاوسمة في مكتب مدير اليونسكو العام بالنيابة ، وقدمها نائب رئيس مجلس باريس البلدي . واما العلماء الذين نالوا هذه الاوسمة هم : هوار ايكن (الولايات المتحدة) داه بازيليفسكي (الاتحاد السوفياتي) ايزاك اوربناخ (الولايات المتحدة) موريس ويلكز (المملكة المتحدة) ادريان فان فجنجاردن (هولندة) هـ . ياماشيتا (اليابان) الوين والتر (المانيا الاتحادية) الدودجيزتي (ايطاليا) ستيج كومت (السويد) ا . ا . دوررود نيتسين (الاتحاد السوفياتي) .

❋ انعقد في قاعة جامعة السربون الكبرى المؤتمر الدولي للادمغة الالكترونية ، واشترك فيها حوالي الف عالم رياضي ومهندس ينتمون الى بلدان مختلفة .

❋ جاء في بحث مقدم لحلقة الدراسات التي عقدت مؤخرا في تريستا ان العلم سيمكن من منع الزلازل ، او من التنبوء بها على الاقل قبل وقوعها بزمن طويل لتامين حياة سكان المناطق التي تهددها .

❋ نعت باريس الناقد الكبير روبير كمب .

❋ اقيم في نوهان بفرنسا معرض لاحياء ذكرى جورج صاند استمر حتى اوائل شتمبر .

❋ اعلنت الكاتبة الفرنسية الشابة فرانسواز ساغان ان قصتها « حتى الآن ، هل تحب برامز ؟ » ستظهر في شهر شتمبر الماضي .

❋ احرز كتاب « المجموع والباقي » للكاتب الفرنسي هنري لوفيفر على جائزة النقد الفرنسية .

❋ فرغ الشاعر الفرنسي الاكاديمي جان كوكتو من تهييء فلم بعنوان « وصية اورفية » وابتدا العمل في تصوير مناظره في الشهر الماضي .

❋ صدر للاديبة الفرنسية سيمون دي بوفوار كتاب جنسي مثير بعنوان « مذكرات فتاة وجودية » تحدثت فيه الكاتبة بصراحة وجراة عن مسائل جنسية وعاطفية لم يجرؤ كاتب قبلها على معالجتها .

❋ عقد في برشلونة ومدريد مؤتمر تاريخي دولي مهم حول موضوع « تاريخ العلوم الدولي » ، وقد اشرف على اعداد هذا المؤتمر جامعة برشلونة ، وشارك فيه مندوبون عن بعض البلاد العربية كالجمهورية العربية المتحدة ، وعمان ، ولبنان ، وتونس ، وذلك ابتداء من فاتح شتمبر الماضي الى منتصفه .

❋ توفي اخيرا ببرشلونة الشاعر الكتلاني الكبير كارلوس ريبا الذي كان يكتب كل انتاجه باللغة الكتلانية ، وقد احدثت وفاة هذا الشاعر حزنا عميقا في الاوساط الثقافية الاسبانية .

* اخبرت السفارة الاسبانية بالرباط ان الحكومة الاسبانية خصصت اربعين منحة لطلبة المغرب الذين يرغبون في الدراسة بالجامعات والمعاهد الاسبانية . وقد خصصت هذه المنح للسنة الدراسية 59 1960 . وتبلغ كل منحة 3 000 بسيطة .

* ظهر حديثا في ايطاليا للكاتب الايطالي سيزار بافير كتاب بعنوان « النار الكبيرة » .

* صدرت مجموعة قصصية جديدة للكاتب الايطالي البرتو موارابيا وتتضمن عشر قصص قصيرة .

* تستعد جامعة لندن لتنظيم سلسلتين من المحاضرات في هذا الشهر حول الوسائل الفنية الحديثة التي تكفل الوقاية من خطر الاشعاع الذري . والسلسلة الاولى من المحاضرات ستنظم في المستشفى الملكي في مارسدن بينما يتولى تنظيم السلسلة الاخرى مستشفيا سان بارتولوميو وميدلكس . وقد جاء هذا على اثر توصيات لجنة خاصة انشاتها الهيئة البريطانية للطاقة الذرية لدراسة المشاكل الخاصة باخطار الاشعاعات . هذا وقد نظمت هيئة الطاقة الذرية البريطانية دراسات صيفية في شهر غشت في كلية اكسفورد الجديدة ، واشترك فيها موظفو الصحة العامة وممثلو الصناعات المختلفة .

* صدر عن جامعة بنسلفانيا كتاب ضخم عنوانه « دراسات في المسرح العربي » من تاليف جاكوب لاندو ومقدمة المستشرق الانجليزي السير جيب . وقد تناول المؤلف ظهور المسرح المصري والسوري واللبناني ، كما تناول الدور الذي لعبه جورج ابيض ، والمسرح الغنائي .

* قضى ثلاثة من المدرسين الاميركيين خمسة اسابيع في الاتحاد السوفياتي وبلندن لدراسة مناهج تدريب المعلمين والبرامج التعليمية في البلدين ، وخاصة مناهج تدريب مدرسي الرياضة والعلوم والفنون الصناعية للمدارس الابتدائية والثانوية . وتنظم وزارة التعليم في الولايات المتحدة مثل هذه البرامج لاطلاع مدرسيها على تطورات التعليم وسياساته في البلاد الاخرى وسيعد المدرسون الثلاثة تقريرا تنشره وزارة التعليم الاميركية .

* في نطاق برامج الامم المتحدة للمساعدة الفنية نظمت اليونسكو في مدينة مكسيكو باميركا اللاتينية حلقة اقليمية ابتدات من 28 شتمبر الى 17 اكتوبر الجاري لدراسة الوسائل البصرية المستخدمة في التدريس وتعليم الكبار . وقد دعت دول اميركا اللاتينية الى ايفاد ممثل لكل منها ومندوب مناوب . والقصد من تنظيم مثل هذه الحلقات الاقليمية العمل على تشجيع استخدام الوسائل البصرية في اطار مناهج التعليم الحديثة في مناطق العالم جميعا . وستدرس حكومة مكسيكو الى جانب هذا ، الوسائل التي تكفل لمعهد السينما التربوية في اميركا اللاتينية الاسهام في تقدم التعليم باستخدام الوسائل البصرية .

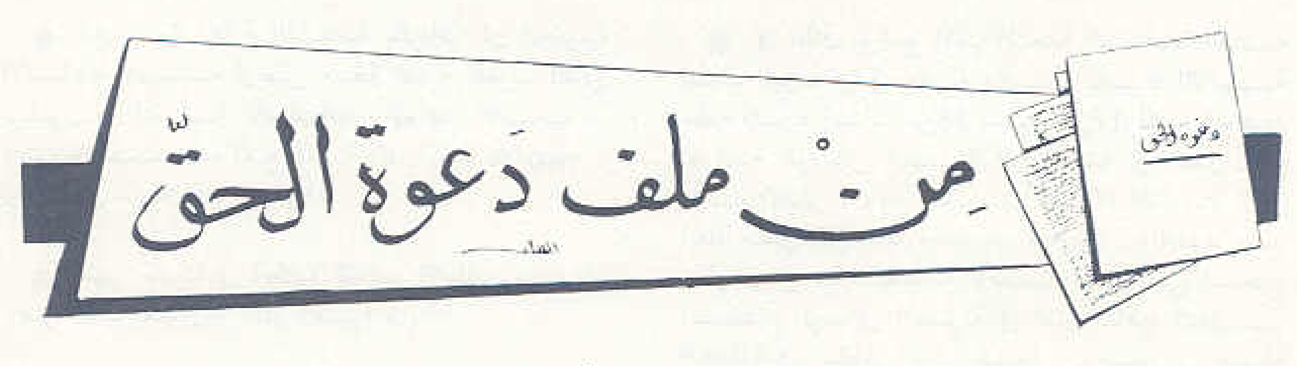
* عقد في بوينوس ايريس في منتصف شهر غشت مؤتمر علمي دولي .

* يعكف الروائي الاميركي ارنست همنجواي على كتابة رواية جديدة . ويؤكد هذا الكاتب ان الرواية الجديدة ستكون اروع انتاج له .

* يقوم المستشرق الاميركي كنث نولن بترجمة بعض القصص المصرية لكتاب يمثلون اتجاهات مختلفة في الكتابة القصصية ، وذلك لاجراء دراسة عن القصة المصرية المعاصرة .

* عقد طلاب العرب في الولايات المتحدة الاميركية مؤتمرهم السنوي الثامن في اليوم الاول من شهر شتمبر المنصرم واستمر حتى الخامس منه ، وذلك بقاعة جامعة جنس في جامعة سيزورس .

* جاء في كتاب الاحصاء السنوي للامم المتحدة عن سنة 1958 ان عدد سكان العالم يزداد بمعدل 85 شخصا في الدقيقة الواحدة اي حوالي مليون شخصا في السنة . وقدر مجموع سكان العالم 2800 مليون نسمة عند انتهاء الفترة التي يتناولها التقرير . ففي الصين 630 مليون والهند 400 مليون ، والاتحاد السوفياتي اكثر من مائتي مليون ، والولايات المتحدة اكثر من 170 مليونا . ويزيد عدد السكان في اليابان واندونيسيا وباكستان والبرازيل وبريطانيا وجمهورية المانيا الفيديرالية عن 500 مليون نسمة . واذا بقيت نسبة تزايد عدد السكان الحالية على ما هي عليه فان آسيا قد يصبح منها حوالي 60 في المائة من مجموع سكان العالم في سنة 2 000 .



وجه العرب في المغرب

نشرت جريدة (الزمان) العراقية على الصفحة الاولى من عددها الصادر بتاريخ 13 غشت 1959 تعليقا على العدد الاخير للسنة الثانية من مجلة « دعوة الحق » ما يلي :

اهدانا سيادة الاستاذ الصديق العلوي القائم باعمال السفارة المغربية في بغداد ، العدد السنوي الممتاز لمجلة ـ دعوة الحق ـ المجلة التي تصدرها وزارة الاوقاف في المغرب ، وتضيف بها الى مآثرها في خدمة الوقف الاسلامي عناية موصولة بتراث الاسلام ، واهتماما محضا بالفكر العربي طريفه وتليده ، حاضره وقديمه ، وحرصا بالغا على كل المقومات التي تخدم لغة القرآن وتنبعث عنها ، ومناهضة مخلصة في الذب عن حومة العقل الادبي في صراعه بوجه التيارات العامة بما تنطوي عليه من غلو الشعوبية وتنمر الحاقدين على الامة العربية وعلى مقوماتها المادية والمعنوية .

ولابد لنا قبل الحديث عن هذه المجلة الراقية ان نذكر باعجاب ذلك الدور الباهر الذي وقفته افريقيا العربية في مواجهة اكبر غزو فاتك قامت به فرنسا منذ قرنين ، كانت تسعى فيه الى وأد المعالم الاسلامية، واشاعة انسانية القيم الغربية ، واهدار العربي بما كانت تنفثه من سموم ، تارة على شكل دعوات انقسامية ، ومرة عن طريق معاهد الثقافة الاستعمارية ومرات باستخدام احط الوسائل لقطع ما وصله الله بين المغرب العربي وبين المشرق ، والعمل على بتر الروابط التي تصل بين تخوم هذه الارض الطيبة او تلك ولكن شعوب المغرب المؤمنة وقفت كالطود في وجه كل محاولة استعمارية ، بل لقد زادها الظلم والاكراه ايمانا واستحليت من عقيدتها الصافية قوة صمدت فيها بوجه تلك الوسائل ، فحفظت للاسلام بيضته وللفكر العربي حرمته ، وصانت لغة القرآن من العبث ، وردت عن المفاهيم العربية السليمة ما كان يكيده لها الكائدون ويحوكه الماقتون ، حتى ظهرت بلدان افريقيا في نهاية الجولة ذلك الركن الرصين في كيان الامة العربية لا تلين له قناة ولا تخضد منه شوكة ولا يفت له في عضد .

ومن نافلة القول ان مجلة (دعوة الحق) التي تصدرها وزارة الاوقاف المغربية ويسهم في تحريرها اعلام الفكر ، جاءت مصداقا لروح المناضلة الطويلة من اجل الفكرة العربية وما يتصل بها من المواريث والامجاد ، سيظل الشاهد العدل على سرمدية الامة العربية وخلودها .

ولا تقتصر مجلة (دعوة الحق) على ان تكون مرآة صافية لوجه المغرب العربي ... بل عمدت مشكورة الى ان تكون من افضل الوسائل للتعريف بتراث العرب في الاندلس ، ذلك التراث الذي لم ينل من اهتمام الناقدين والكتاب العرب حتى الآن الا الحظ المحدود .. هذا مضافا الى انها جاءت ترجمانا صادقا للاتجاهات الادبية في افريقيا العربية برمتها ...

ان جهد وزارة الاوقاف المغربية في نشر هذه المجلة الراقية يجب ان يكون محل اكبار ابناء العرب في جميع اقطارهم ، فنبارك لها هذا المسعى ونرجو ان تكون في عملها قدوة لغيرها من ادارات الاوقاف في هذه الارض العربية او تلك ...

فهرس العدد الاول - السنة الثالثة

الصفحـــة